أصحاب الامتياز
منير البعلبكي - سهيل ادريس - بهيج عثمان

المدير المسؤول: بهيج عثمان
رئيس التحرير: الدكتور سهيل ادريس

Rédacteur en chef : SOUHEIL IDRISS
Directeur : BAHIJ OSMAN

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
تصدر عن دار العلم للملايين - بيروت

ص: ب ١٠٨٥ — تلفون ٢٤٥٠٢

AL-ADAB *REVUE MENSUELLE CULTURELLE*
BEYROUTH - LIBAN B.P: 1085
Tél - 24302

العدد التاسع
ايلول (سبتمبر) ١٩٥٤
السنة الثانية

No. 9 - Septembre 1954
2eme Année

هل أفاد العرب من الأونسكو ؟

جواب الأستاذ ساطع الحصري

لاحظت ان عدداً غير قليل من المثقفين قد انخدعوا كثيراً بما سمعوه وقرأوه عن الاونسكو وتوهموا أنها مؤسسة ستفتتح عهداً جديداً في تاريخ الحضارة وستوجد انقلاباً في تاريخ الانسانية ، وقد رأيت من واجبي أن أضع حداً لهذه الأوهام فكتبت عدة مقالات بينت فيها أن هذه المؤسسة ليست الأولى من نوعها كما أنها لم تكن أحسن نظاماً ، ولا أنقى خميرة ولا أسمى هدفاً من سابقاتها . وكثيراً ما حذرت من الانخداع بالكلمات الخلابة التي تلقى حولها ومن الاسترسال في التفاؤل بها والاعتماد عليها .

وألخص هنا ما سبق لي أن ذكرته في مناسبات مختلفة ، ان الغايات المذكورة في نظام الاونسكو في واد ، والخطط المرسومة لها في النظام نفسه في واد آخر . فاذا كانت الاهداف المعينة لهذه المؤسسة سامية حقاً ، فان الخطط المرسومة لها تجعلها تابعة لهيئة سياسية هي منظمة الامم المتحدة وتبعدها عن تلك الاهداف السامية بصورة طبيعية ، وأنا أعرف أن رجال السياسة بارعون في ستر الحقائق ، ولا أشك في أنهم لن يتأخروا عن السعي وراء جعل هذه المؤسسة وسيلة لستر مطامح الدول الكبرى بالتعبيرات الانسانية الخلابة والدعايات العالمية الخداعة . واذا كان بعض العلماء والمفكرين يخدمون الاونسكو مع علمهم بدوافعها السياسية ، وربما لعلمهم بتلك الدوافع — فلا شك في أنه يوجد بين العلماء والمفكرين عدد كبير ممن ينخدعون بتلك الكلمات الخلابة ، ويضعون علمهم تحت تصرف هذه المؤسسة عن غفلة وحسن نية .

وقد تتبعت أعمال الانسكو ، فازددت يقيناً بخطر المنحدر الذي تنزلق اليه هذه المؤسسة يوماً عن يوم ، فهي لا تبذل أي جهد للتخلص من سيطرة السياسة .. وما دامت كذلك فستظل بعيدة عن مناحي الاتجاهات العلمية الحقيقية والنزعات السلمية الخالصة .

وفي ميدان السلام العام ، الذي تتكلم عنه كثيراً منظمة الانسكو ، لا أغالي اذا قلت أنها بعيدة عن السبل التي قد تؤدي إلى ذلك بعداً كبيراً جداً . وربما كان من أقطع الادلة على ذلك : انها تعتمد كثيراً في هذا المضار على «تعليم انظمة هيئة الامم المتحدة ونشر اغراضها» في مختلف بلاد العالم ، وتزعم ان هذا التعليم من أفضل الوسائل لنشر فكرة السلام بين الأنام ، في حين ان أعمال الهيئة المذكورة لا تدل على شيء غير استمرار مبدأ «غلبة القوة على الحق» . فلا يجوز لنا أن ننخدع بالدعايات القائمة حول السلام العام وان تتقاعس عن استكمال وسائل الدفاع عن انفسنا وعن حقوقنا ، على ضوء الحقائق والوقائع الراهنة .

وقد اطلعت أخيراً على «الألبوم المعرضي عن حقوق الانسان» الذي نشرته منظمة الاونسكو . وهو مؤلف من (١٤٣) لوحة في حجم كبير ، الغرض منها تبيان التقدم الذي أحرزه البشر في سبيل تقرير «حقوق الانسان المختلفة» منذ اقدم العصور الحجرية والهمجية .

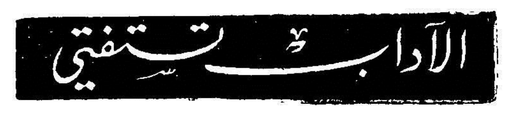
وبالرغم من الفكرة المفيدة التي دعت إلى اظهار هذا الالبوم فقد صدمت ببعض الصور المنشورة فيه ، فاللوحة الحادية والعشرون تحمل عنواناً مثيراً : «حقوق الانسان في خطر» وهي تبدأ بالعبارة التالية : «هذه كانت فتوحات البشر في ميادين حقوق الانسان ، عندما استولى هتلر على الحكم في المانية .»

إن على كل قارىء ان يتساءل بعد قراءة العبارة المذكورة ، هل كانت حقوق الانسان في حرز حريز من الأمان ، قبل ان يتولى هتلر الحكم في المانية ؟

وأظن انه ليس في استطاعة أي منكر منصف أن يرد على هذا السؤال بالايجاب ، إلا اذا اعتبر عالم المستعمرات خارجاً عن الكرة الارضية ، و «أهالي المستعمرات» خارجين عن نطاق شمول مفهوم الانسان .

صحيح ، إن هتلر تعدى على مبادىء حقوق الانسان في هولاندا وظلم الهولانديين بالاستيلاء على بلادهم ، ولكن الهولانديين انفسهم ، اما كانوا يتعدون على حقوق الانسان في اندونسيا ، قبل قيام الحكم الهتلري ؟ أما كانوا يظلمون الاندونسيين منذ مدة طويلة ؟ ثم ألم يعودوا سيرتهم الأولى ، في ظلم سكان تلك البلاد ، عقب تخلصهم من احتلال الالمان ؟

صحيح ان هتلر تعدى على مبادىء حقوق الانسان في فرنسة ، ولكن الفرنسيين ، هل كانوا يراعون مبادىء حقوق الانسان في مستعمراتهم الكثيرة ؟



«اشتركت البلاد العربية منذ تسع سنوات في منظمة الأونسكو ، وأسهمت في نفقاتها الباهظة ، أملاً في أن تحقق للعالم العربي فوائد جمة في ميدان الثقافة . فهل تعتقدون ان العالم العربي قد جنى شيئاً من هذه الفوائد؟»

فكيف يسوغ لهيئة علمية ، ان تغض النظر عن كل ما يجري ولايزال يجري في المستعمرات ، فتقول : ان حقوق الانسان تعرضت إلى خطر عند ما تولى هتلر الحكم في المانيا ؟

وقد وقفت ايضاً عند اللوحة (٤٦) من الالبوم المذكور فرأيتها تمثل: عربة زبالة يدفعها رجل ، اختفى وجهه وراء جندي واقف بجانبه . وهناك جندي او شرطي يبتسم ، وفي الجهة الثانية من الشارع رجل وشرطي يتكلمان..

وفي الشرح العائد لهذه الصورة : يهودي يجبره النازيون على نقل الزبالة».

إذن إن غاية مؤلفي الالبوم من طبع هذه الصورة كانت اظهار ضرب من ضروب التعدي على حقوق الانسان ، ولكن يجدر بنا ان نسأل هؤلاء ، هل هذا النوع من التعدي يختص به النازيون دون غيرهم ؟ وهل إن المتعدى عليهم ، هم اليهود وحدهم ؟

إني عرفت الكثيرين من رجال العرب الذين قضوا شطراً من حياتهم في المعتقلات الفرنسية او الانكليزية او الاميركية وكلهم كانوا يجبرون على تكنيس المحلات وحمل الزبالة، بل على نقل القاذورات ... وقد صادفت احدهم في هذه الايام وعرضت عليه الصورة المطبوعة في آلبوم الاونسكو ، وسمعته يقول : ليتنا كنا نحظى بمثل هذه العربة ، لأننا كنا نضطر الى نقل الزبالة والقاذورات في السطول بأيدينا ...»

لماذا خص رجال الاونسكو بالذكر النازيين واليهود وحدهم ، في مثل هذه الامور العامة؟ لأن معظم موظفي الاونسكو من اليهود، وهؤلاء ينتهزون كل الفرص لدس قضاياهم في كل شيء لاستدرار عطف العالم لقوميتهم، والجو السياسي الذي يحيط بمنظمة الاونسكو من كل جانب ، جو يفسح مجالاً واسعاً لمثل هذه الدعايات السياسية .

إنني ، لم أعلق على الاونسكو آمالاً كباراً منذ تأسيسها ، ولا يجوز أن ننتظر منها خيراً .

جواب الاستاذ واصف البارودي

كما أنه لم يكن يجوز لنا أن نتوهم ان الانتساب اليها يفتح لنا ابواب العلم والثقافة ، بل كان يجب علينا ان نعلم ان للعلم والتربية والثقافة منابع أصلية عديدة هي المعاهد والجمعيات والمنظمات العلمية الحقيقية ، فيجب علينا أن نغترف العلم والثقافة من هذه المنابع الاصلية ، ونهتم بتلك الهيئات أكثر من اهتمامنا بالاونسكو .

ما اطلعت على نص هذا الاستفتاء حول الاونسكو ، حتى تساءلت ، في نفسي : وماذا كان عسانا ان نأمل في منظمة الاونسكو ، لنتساءل عما جناه العالم العربي ، من فوائدها ، في ميدان الثقافة ؟ ! ...

أكنا نأمل ان نتكل عليها في ادارة مراكز البحث وتحضير المربين للتربية الاساسية والتوجيهية في الشعب ، وفي توجيهها ؟ ! ... وهي مراكز إنما تؤتي اكلها بجهود المواطنين ؛ على ان تكون منبثقة عن نفسية الشعب الذي يعمل على تقدمه اولئك المواطنون ! ? ... وهل اخرنا ، وحرمنا متعة تنشئة مشاريعنا الوطنية ، سوى اتكالنا على الآخرين ، وقناعتنا بان نكون تبعاً لغيرنا ? ! ... ألم نبتل بذلك ، في ادوار تاريخنا ، عزائم الناهضين فينا ، وهاجر بعضهم ، وخمل آخرون ? ! ...

أم كنا نأمل ان تغطي سياسة المستشارين ، بسياسة الخبراء والاساتذة فيكونوا وسيلة للحد من نشاط المواطنين، من الاساتذة والخبيرين ، ومن انطلاقهم?!... قد تقولون، ان الحياة تعاون ؛ وما تقدم ذكره ، انما هو مظهر من مظاهر التعاون بين الدول ، او بين الامم ، اذا شئتم ! ? ... فانا ممن يرى من المعقول، ولحد ما ، ان تتعاون الدول ، أو الامم ، في ميادين السياسة والاقتصاد وغيرها ... ما عدا التربية أو الثقافة ، وهي تكون الامم وتوجهها ، فانني ارى انها تفاعل داخلي ذاتي ، تتضاءل فاعلياته ، بقدر تدخل الاخرين !? ... فكيف بكم اذا ما حد هذا التعاون المفروض من نشاط المواطنين ؟ ! ... واذا ما قلتم بتأخرنا ، وحكمتم بعجزنا ، وحاجتنا ، فانني اؤكد ان ذلك غلو في الوهم ، لان التقدم الحيوي الصحيح يكون بفاعلية الاعضاء وتفاعلها ، في الفرد وفي المجتمع ؛ ولا يستطاع تقدم حيوي صحيح اذا ما كلفت الاعضاء ، في فاعلياتها وتفاعلها ، اكثر مما تستطيع ، افتعالا واصطناعاً ؛ ثم أؤكد انه لم يثبت صحة تفوق كل هؤلاء الخبراء ، ولا سيما بالنسبة لفاعلياتنا وتفاعلنا ، وصاحب الدار ادرى بما في داره !! ? ... وهذا حديث طويل لا تتسع صفحة الآداب الواحدة ، للاستفاضة فيه !! ..

وعلى كل ، فاذا اردنا ان نتخذ الاحصاء والحساب مقياساً للفوائد التي جنيناها ، ونجنيها من الاونسكو ، فهناك اساتذة وخبراء ، قد ارسلوا ، ولا أعلم عددهم ، ولا الخطة المرسومة لتكامل ازديادهم! وهناك مراكز للبحث والتدريب قد انشئت في البلاد العربية كمعهد سرس الليان ، في مصر ومركز الابحاث التربوية ، في لبنان ، مثلا ، وهي في سبيل التكامل ... ولا يستطيع الحاضر ان يحكم على المستقبل !! ... حكماً جازما ؛ مادامت التربية قضية حيوية ، وليست قضية احصاء ولا حساب ! ?...

ولعله اصبح من حق القارىء ان يسألني عما كنت انتظر من الاونسكو . انني قد كتبت في توضيح اهدافه ، حين انعقاده ، في لبنان ، مقالين (١) ثم القيت محاضرة (٢) ، وقدمت تقريراً رسمياً .

كنت شديد التفاؤل ، ولكن تفاؤلي هذا انقلب تشاؤماً عندما لمست الواقع ! ولا يجوز لمتحضر ان يخشى التشاؤم ! ... فعلى تفاعلاته بنيت الحضارات ، لانه ينشأ من الواقع ، بينما يصدر التفاؤل عن الوهم ! وقد اودى التفاؤل بهتلر واحلافه ، وانقذ تشاؤم تشرشل بريطانيا واحلافها ، في الحرب الكونية الثانية ، وارجو ان لا يضيق صدركم ، ولا صدر رجال الاونسكو بتشاؤمي هذا !! ... بل علينا ان نتفهم على ضوء هذه الفكرة حوادث فلسطين ! ? .. فليس كل تشاؤم شراً ، ولا يحصر الخير في التفاؤل ! ... لن اتخذت منظمة الاونسكو شعاراً لها هذه الفكرة : « في نفوس البشر تتولد فكرة الحرب ، وتنشأ ؛ ففي تلك النفوس يجب ان نشيد حصون السلام . » فهل اتجهت الاونسكو للاقوياء في تشييد تلك الحصون ? ! ... وهل يكون من الاكتفاء بتشييدها في نفوس المستضعفين سوى تركيز لسلبية ، تثير الاطماع ، فتنشأ عند الاقوياء ، فكرة الحرب باردة جافة ، او ساخنة ، حتى الغليان ? ! .. والسلبية تضعف روح المقاومة في النفوس ! ... فتضعف الشعوب ! ...

كنت اوضحت ، سنة ١٩٤٨ ، في مقالي : (اتحقق الاونسكو اهدافها) المبادىء الاساسية في تكوينها ، وخشيت عليها من السياسات الضيقة ، وممن تعودوا استغلال المبادىء السامية ، في تحقيق مآربهم الخاصة لانهم يفسدون عليها سيرها ، ثم قلت :

« الاونسكو ، اليوم ، قريبة من واقع عدوان صريح ، يقع في جوار لبنان ، مقر المؤتمر الثالث ، في فلسطين الدامية ، حيث اوحت

---

(١) مقالات في التربية والتعليم الطبعة الثانية ص. ١٠٦ (الاونسكو امل) و ص. ١١ (اتحقق الاونسكو اهدافها ?)

(٢) محاضرات في التربية والتعليم، الطبعة الثالثة. ص. ١٧٢ من وحي المؤتمر (بين مؤتمرين)

بين يدي الاستفتاء

لم تلق « الآداب » عنتاً وصعوبة في استفتاء لها ، كما لقيت في هذا الاستفتاء ..

ظنت أنها حين توجه هذا السؤال إلى بضعة عشر نفراً من المتصلين بهذا الموضوع ، ستتلقى اجوبة منهم جميعاً ، او من نصفهم على الاقل ...

وهذا ما كان يحدث في سائر الاستفتاءات ، ولكن النتيجة كانت مخيبة للآمال ، اذ لم يجب على هذا السؤال سوى أربعة من نحو عشرين كاتباً ...

فماذا تراه يكون السبب ؟

ايكون موضوع السؤال تافهاً لا يستحق الجواب ؟ لا نظن ذلك ، فهو شديد الاتصال بحياتنا الفكرية التي تحاول الاونسكو أن تقوم فيها بدور الموجه والمشرف والمراقب على نفقتنا ، وبطلب منا احياناً ...

ام يكون المسؤولون لا يحسنون الجواب ؟ لا نظن ايضاً ، ما دام بعضهم قد مثل حكومته في دورات الاونسكو ، وبعضهم الآخر يتبوأ مناصب ثقافية تحتم عليه أن يكون على صلة واطلاع بشؤون الاونسكو وعلاقاتها مع بلادنا ..

لم يبق اذن ، الا تقدير واحد ، وهو أن هؤلاء السادة يجدون حرجاً في أن يقولوا ما يعرفون من أمر الانسكو ..

وما أسرع هؤلاء وما أجرأهم حين يتناول الموضوع قضايا مطلقة ، ومعاني عامة ، لا تمس حياتنا الا من بعيد ..

اننا نعيش في دوامة من التيارات الفكرية التي تتصارع بعنف ، وتجرف في صراعها أدباء ومفكرين ، وشباباً مثقفاً ... كما تطل علينا بين حين وحين هيئات ومشروعات تتقنع بقناع الثقافة مرة ، والاقتصاد مرة أخرى ، ووراءها تكمن أشباح مخيفة من الاستعمار والاستثمار ، وقد عزمت « الآداب » منذ ظهورها ، على أن لا تتخلى عن واجبها في كشف الظلمات التي تكتنف حياتنا الفكرية ، وها هي تختار « الاونسكو » وعلاقتنا بها موضوعاً يعالجه مفكرونا في هذا الاستفتاء ..

غير أن أكثر المسؤولين ، آثروا السلامة التي رأوها في السكوت المطبق!

وإذ تنشر « الآداب » الاجوبة التي وردت إليها ، تفتح صفحاتها مرحبة بكل رأي يبديه القراء حول هذا الموضوع .

« الآداب »

السماء بافضل المثل التي يجتمع المؤتمر ، اليوم ، في سبيل تحقيقها ! ؟ ... في هذه الارض المقدسة ، التي تتجه اليها قلوب معظم البشر ، على اختلاف اديانهم ونزعاتهم ، يقع افظع عدوان عرفه التاريخ البشري ! .. وفي جوارها يعقد مؤتمر عالمي للسلام ، على اكمل شكل استطاعه الانسان ، الى اليوم ! ... فهل هي الحياة تهزأ بالبشر ؟ ! . ام هي الصدفة العمياء تخبط خبط عشواء ؟ ! ... ام هي الحكمة الالهية ، تريدها عبرة واقعية يستمد منها مؤتمر اعظم منظمة سلمية ، عرفها التاريخ ، قوته ووسائله ، ليبرهن رجاله على اخلاصهم ، وترفعهم عن النزعات السياسية الخلابة ؟ ! .. ام هي تجربة من تجاريب الحياة في البشر ، لتختبر ما في نفوسهم ، ولتستخرج ما تستطيع من مكنونات قلوبهم .... علهم يخجلون من وضع المبادىء السامية طليعة للشرور ! ... ومن جعل المثل العليا ملجأ للاشرار ! .. فليعمل الشر للشر ، صراحة ، فيرتاح الانسان مما هو اشد شراً من الشر ، وافتك ، حين تلبس الشرور لباس الخير والفضيلة !! ...

اننا لا ندفع الاونسكو لاي عمل سياسي ... وانما نريدها دراسة علمية وبحثاً فنياً ! .. وأصح الدراسات ، وخير البحوث ، هي التي تبنى على الوقائع ، ولا سيا الوقائع القريبة .... الخ »

فماذا صنعت الاونسكو ؟ ! .. اعتقادي انه كان عليها ، هي ، ان توجه علمياً السياسة الدولية ، لا ان تتوجه بها ! .. وإلا فما معنى وجودها ؟ ! ...

وزيادة في ايضاح رأيي في هذه المنظمة العالمية ، وهي على سمو مبادئها لا تزال ، دون مستوى هذه المبادىء ، في تنظيمها وهيآتها ؛ اسمح لنفسي بايراد بعض نبذ وردت في تقرير قدمته للمراجع الرسمية ، عقب المؤتمر ، سنة ١٩٤٨ ؛

بعد ان بينت وضعي في ذلك المؤتمر ،قلت « وقد فسح لي هذا الوضع ان احضر اجتماعات الاجتماع العام ، وكثيراً من جلسات اللجان ، كلجنة النظام والميزانية والعلوم . فلم اجد فيها ، جميعها ، اية دراسة فنية ، او مناقشات علمية . وانما كانت مداولات حول امور تنظيمية ، او ادارية . هكذا كان حتى في لجنة العلوم البحتة !! ؟ .... ولعل هذا الاتجاه هو الذي عطل امكانات الاستفادة ، فنياً ، من المستشارين الفنيين ! ...

فقد كان العمل محصوراً بطلب تعديل يقدمه رئيس الوفد وهو من رجال السياسة عادة ؛ او بتقديم اقتراح بامور لم تتجاوز الحدود السياسية او الادارية التي المعت اليها سابقاً . وكان كل رئيس يتصرف ، على ما تبين لي ولكثير من الاعضاء الفنيين ، في الوفود ، وفقاً لتعليمات حكومته الخاصة . وكان هذا طبيعياً ، بالنظر لاتجاه الاعمال .... وقد كان من الطبيعي المحتوم ، نتيجة لذلك ، ان لا يجد ، من لم يتلق تعليمات حكومته ، اي مجال للعمل المستند على تفكيره العلمي الذاتي ،او آرائه الفنية الشخصية !! ؟ ..

وقد رأيت في ذلك انحرافاً صريحاً عن مبادىء فكرة الاونسكو ، من الوجهات العلمية والفنية .... وفي تقييد حرية التفكير والنشاط ، في مؤسسة ، انشئت لتقريب الشعوب ، وتحقيق السلام ، عن طريق العلم والتربية .... اي عن طريق التفكير الصحيح الجلي ، والدراسة العلمية الذاتية الحرة ؛ ... لا عن طريق التسابق في الظهور ! ...

وان ما اعرضه ، لا يعبر عن رايي الخاص ، وحسب ! .. بل استطيع التأكيد أنه يعبر عن آراء الكثيرين من الاعضاء ، ولا سيا الفنيين منهم ، في الوفود العربية ، وغيرها ! ...... الخ ... »

ثم ساعدتني الظروف على ان احضر مؤتمراً ثانياً للاونسكو سنة ١٩٥١ في باريس ، فلم اجد اي وضع جديد ، يدفعني لتعديل تقريري السابق الا فيا توفر لدي من ادلة جديدة ؛ : ...

وكل ما اتمنى هو ان تنسجم الاونسكو مع مبادئها ! ... وهي مبادىء

الحضارة في اوجها ، وفي كل ادوار التـاريخ ! ... واكتفي بذلك ، على مضض ، خشية من سخط رئيس التحرير ، وقد خصص للبحث صفحـة واحدة ، وهو حديث ذو شجون ، ومجـاله وسيع ! ... فلعل الزمن يساعد على الانطلاق في عرضه يوماً ! ؟ ... فالصراحة في النقد اساس الاصلاح ! ...

جواب الدكتور جورج طعمة

تعاني اليونسكو ازمة عدم اهتمام من الجمهور وعدم معرفة كاملة بجميع اعمالها كما تعاني هذه الازمة المنظمات المتخصصة الاخرى . ذلك ان الرأي العام في بلادنا وفي الخارج – وهو مغلوب عـلى امره سياسياً – يؤخذ بالقضايا السياسية التي تناقشها الجمعية العامة او مجلس الامن في الامم المتحدة ويهمل النواحي الفنية مما لا تعيرها الصحافة أي اهتمام ، اللهم الا ما يعرف المتتبعون عنها .

اما ان تكون البلاد العربية قد استفـادت من اليونسكو مقـابل مساهماتها فهذا في رأيي امر لا جدال فيه ويكفي ان نذكر بعض المشاريع التي حققت بواسطتها في البـلاد العربية او ستحقق في المستقبل لنتثبت من ذلك . فمنها مركز التربية الاساسية في سرس إليان في مصر . وتعليم ابناء اللاجئين العرب من فلسطين بالتعاون مـع الاونروا . وارسال الخبراء الفنيين في مختلف نواحي الاختصاص بالاشتراك مع البرنامج الموسع للمعونة الفنية . وإيفاد طلاب وموظفين للدراسة والتدرب في الخارج . وترجمة الروائع العربية الى اللغات الاوروبية وبالعكس . والسعي في المستقبل من اجل توحيد المصطلحات العلمية . واحصاء المخطوطات العربية . والاهتمام بالتعليم الالزامي الذي سيعقد مؤتمر من اجله في مطلع السنة القـادمة في القاهرة الى ما هنالك من مشاريع كثيرة .

على انه يجب ان لا نكتفي بهذه النظرة الاقليمية على اهميتهـا الاولى بالنسبة لنا . فالتقدم العلمي الثقافي التربوي الذي تسعى اليونسكو اليه فيه فائدة للعرب ايضاً وغير العرب .

غير ان الفائدة يمكن ان تكون اكثر ممـا تم بكثير حتى الآن لو اعارت البلاد العربية اهتماماً اكثر لليونسكو ووحدت مساعيها ضمنهـا كما تسعى الى توحيد هذه المساعي في منظمة الامم المتحدة ذاتها .

جواب الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا

يخيل الي ان اقصى مـا يرجى من الاشتراك في منظمة كالاونسكو ينحصر في شيئين :

الاول تبادل الاطلاع في بعض المجالات « التربوية والاجتماعية والثقافية » على نطاق دولي واسع ، بحيث يتكامل ما لدينا منها مع مـا لدى الدول الاخرى .

والثاني – الاستفادة من الارشاد والخبرة والتنظيم التي تهيئها المنظمة لتحقيق اهدافها التربوية .

ولعل الاول ينطبق على الدول الكبرى ذات الثقافة الحية والتجربة المطردة في تنمية المجتمع ، بينما ينطبق الثاني بوجه خاص على دول كالدول العربيـة التي يهمها ، في هذه المرحلة من تاريخها وتوثبها ، ان تجرب شتى الوسائل العلمية ، وان تكون على اتصال بالمشاريع التربوية التجريبية التي تبتكرها دول سبقتها في هذا المضمار .

والذي اعرفه هو أن الدول العربية تستفيد فعلاً من مشاريع الاونسكو المختلفة ، كمشروع الدجيلة في العراق ، والتعليم الاساسي Fundamental Education وارسال البعثات ، والمؤتمرات المختلفة ، والمعـارض الفنية ، والمساهمـة ولو الى حد ما – في مشروع ترجمة روائع العالم .

لست اعرف المبالغ التي تنفقها الدول العربية من أجل عضويتها في هذه المؤسسة ، لكي نحكم اذا كانت النتائج تبرر المصاريف . ولكن حتى لو عرفت تلك المبالغ فانه من الصعب تقييم النتائج تقييماً مادياً .

فالاونسكو تهيىء فرصاً علمية وتربوية ، والاستفادة منها تتوقف على قابليتنا لانتهاز مثل هذه الفرص . غير أنه من السخف ان نتوقع رقياً فجائياً في الثقافة . بمجرد اشتراكنا في اية منظمة عالمية . فالرقي الثقافي لن ينبثق في النهاية إلا من اعماقنا النفسية نحن .



امين نخلة شاعر كبير وكاتب اكبر ، ومع ذلك يعتمد كثيراً على الدعاية في ترويج بضاعته ، فهو وسعيد عقل في هذا اخوان ، كلاهما يفوق الاميركان في الاعلان . فاذا صح وجود برج عاجي للشعراء والادباء ، فلا شك أن ذاك البرج في بيت امين ومكتب امين ؛ بل في كل مكان تطأه رجل امين اذ لا بد لهذا القمر من هالة حيث يطلع .

انّ هذه العنجهية اتصلت اليه بالارث ، فهو ابن أب شاء ان يتزعم فاستطاع وأتته الزعامة منقادة. وهو ابن محيط مغلال، تُزرع فيه حبة الاستقراطية فتعطي الفاً لا مئة ... نشأ الاستاذ امين على ما كان عوّده ابوه ، فخرج فوق ابيه ، كما قال الجاحظ في وصف ابن احد بخلائه العبقريين .

وها هو امين يرسل في السوق ديواناً سماه (دفتر الغزل) كما سمى الجاحظ من قبل دفتر المعلمين . والغزل شيخ السفرة في ادبنا العربي، او «الهوزدوفر» بلغة العصر. فاي شاعر ما تغزل. كلهم قد قالوا الغزل . ولماذا لا ، فهذه التوراة ، وهي كتاب مقدس ، فيها مأدبة غزل اشبعت الذرية ولا تزال . فسليمان الحكيم يصف حبيبته الشولمية من عينيها الى سرتها ولا ينسى دوائر فخذيها وما بينهما من صبرة حنطة يسيجها السوسن ... اللهم نجنا من اكل الدجاج والوقوع في السياج ...

الغزل لغة الحب ، وداود ابو سليمان يرثي يوناثان في اول فصل من سفر الملوك الثاني فيقول ، وكأنه ينسب ويتغزل : قد ضاق ذرعي عليك يا اخي يوناثان . لقد كنت شهياً الي جداً وكان حبك عندي اولى من حب النساء وقد احببتك حب ام لابنها الوحيد ...

اجل لقد بشمت ثعالب البشرية وما فنيت العناقيد ، ولا بدع ، فالحب ملاك الحياة . وجد لحفظ النوع فهو لا يفنى الا بفناء هذا الكون، وهو اذا شاخ مع الفرد فان نواته لا تموت ابداً.

وبعد فلنؤدِّ حساباً عن كلمة سبقت اي عن الدعاية عند امين الشاعر الطيب المبدع . صدّر امين (دفتر الغزل) بدعاوتين ، واحدة عربية والاخرى يونانية ، فكأنه اراد الشهادة فيه شرقية غربية .

قال بولس الرسول : على فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل كلمة كما قلت سابقاً ، وهذا بابا دي ياناقوس يوناني كمار بولس ، فلا شك ان شهادته مقبولة ، وكذلك احمد شوقي ، فهو كما يزعم عربي تركي يوناني شركسي بجده لابيه وامير شعراء فهو مقبول الشهادة ايضاً . ناهيك ان امين نخلة هو كالمسيح او اعظم وسيأتيك الخبر — قال المسيح : انا اشهد لنفسي وابي الذي في السماء يشهد لي . اذن اجتمع لدينا اربع شهادات . ولم يبق علينا الا ان نبدأ المحاكمة .

نودي على الشاهد الاول شوقي ، وبسبب غيابه غيبة لا رجعة بعدها ، نظر فيما كتب :

هذا وليٌّ لعهدي ... وقيّم الشعر بعدي

ترى من قال لشوقي اننا نعترف بولايته حتى ينصب ولي عهد ، فكل شيء يورث إلا العلم . ومتى كان الشعر وقف ذرية حتى نجعل له قيّما ؟ فليت الصديق اميناً الذي لا أشك في امانته الادبية خبأ هذه الوريقة الشوقية وحفظها للعزيز سعيد ، حرسه الله ، مع ما يحفظ من وثائق... انها لا تحله في اعيننا محلاً ارفع مما له عندنا. وهي من جهة اخرى تدل على قلة كياسة شوقي التي عبر عنها في هذا البيت التالي :

فكل من قال شعراً ... في الناس عبد لعبدي

هذا كلام رجل لا اجد له نعتاً والاشبه عندي ان العمر هو الذي انطق احمد شوقي ، في غير ساعة رضا بهذا الهذيان والهذر .

اصدق شوقي انه امير والشعراء عبيد ، حتى يكونوا جميعاً عبيد عبده ؟ انا لا اشك بامانة امين ، كما قلت ، ولذلك كلت اللوم للشاعر المجنون الذي اطراه الشعراء وعظموه وامّروه حتى تعنفص وتفايش .

وفي ثالث بيت يقول شوقي ايضاً :

كأن شعر امين من نفح بانٍ ورند

قلت لا شك ان شعر امين ذكي الرائحة له طعم غير طعم الشعر . ولكن اختلاف الطعوم ليس حكماً بالاولية والاسبقية وولاية العهد ... ان مصر بلد الشاعر شوقي نفت الملك وولاية عهده ، بينا نرى شاعرنا الامين يريد بسط جناح ملكه على العالم العربي بكلمة من شوقي ... ويقول شوقي ايضاً :

او من عناق التصابي وقرع خد بخد

او من حديث ابن هاني يعيد فيه ويبدي

يظهر ان هذا البيت الاخير هو الذي أوحى الى امين بقصيدة (ام موسى) ليعيد ويبدي كابي نواس ، ويكون عند ظن شوقي فيه . كما يقول شوقي . وسننظر في هذه القصيدة حين نصل اليها ، لنريك ان الظرف طبع لا تطبع .

ويختم شوقي قصيدته بقوله :

والعصر عصر (امين) خير ومطلع سعد

وهذه ايضاً ثخينة يا امين ، اعرفك رجل دعاية ، ولكن ما كنت احسب انك تشتط بهذا المقدار .

واذا قلبنا الورقة من هذا الدفتر — دفتر الغزل — وقعت عيننا على قصيدة يونانية للاستاذ بابا دي با ناقوس .

جاد امين على بابا دي با ناقوس بلقب شاعر اليونان ، ولا اعرف اليونانية لارى ما خلع شاعر اليونان هذا على امين من ألقاب . لابد من ان أمينا هز بجذع النخلة حتى تساقط رطبا جنيا ، والا لما ذاق هذا (القرط) من ثمارها ...

حقا انها مصيبة ، فانا لا اعرف اليونانية ، ولا وصول لي الى الدكتور طه حسين ليترجم لي هذه الابيات . اما تلقيب بابا باناقوس بشاعر اليونان فاظنه مثل تلقيب ذاك التاجر ابا الفتح بصاحب الدولة ، في مضيرية بديع الزمان ، ولكني اعتقد في كل حال ان هذا الشاعر اليوناني يحترم نفسه ولا ينزل في (المغطس) الذي تنعم فيه شوقي وانعم .

يظهر ان امين يفهم اليونانية ولكنه تواضعاً لم يترجم لنا ابيات با ناقوس ... والا لما قال في المقدمة في وصف غزل الشاعر اليوناني : « ولا رقة في الغزل وراءه »

اما شوقي فكان حظه ضئيلا جداً من مقدمة امين مع انه جعله ملكا على الشعراء بعده . ويختم امين مقدمته الحلوة الطريفة بهذه العبارة :

(وهكذا فانه قد اجتمع لهذا الكتاب ، بفضل منك ، وفضل من صاحبك — اي بابا وشوقي — ما لم يجتمع لكتاب : يد يونانية فوق يد عربية .)

قال المسيح : من منكم اذا اهتم يقدر ان يزيد على قامته ذراعا ... وانا اقول لصديقي امين لو قام هوميروس وفرجيل ، واعاظم شعراء الدنيا ، وكتبوا ما كتبه لك شوقي لما زادوا على قامة شعرك قيراطاً واحداً . انت شاعر مجيد ولكن هذه البراءات هي كالتي عندي وعند ابيك ، لا تنفع شيئاً ، متى وقفت في محكمة التاريخ حافياً عرياناً مجردا من كل مجد باطل .

اما الان فلنمر مرة عجلى في ديوان الاستاذ ، عفواً ، في دفتر غزله وإن اشبه افعال المقاربة في التسمية ...

ان شاعرنا الامين لشاعر محكك وربما ظل يفتش عن كلمة من الحول الى الحول . هو كاهن فن مولع بالكلمات فيعقد بينها برباط مقدس فيكون زواجا مباركا لا يعقبه طلاق ، وله ميل يشبه الهوس الى كلمات دون غيرها ، وكثيرا ما يقعدها غصبا عن رقبتها في المكان الذي يشاءه لها . لقد انبأنا في اخر دفتره هذا ان ليس من عادته ان يرسل الشعر كما يجيء ، ولهذا نرى معظم قصائده قصيرة النفس محكمة النسج . اظن ان ارستقراطية الاستاذ لا ترخص له بترقيق حواشي العبارة واللجوء الى الصور التي يتطلبها الغزل ، ليفهم عنه الحبيب . فهو يهبط في غزله من عل ، فلا تظهر الحرقة فيه كما تظهر ، مثلا في شعر بشارة الخوري . انه لا يخاطب من العليقى كرب موسى بل يؤثر الطور . يطوف في الاثير ، حتى يموج هواه في آه المغني ، واذا كان المسيح مشى على الماء ، فأمين يمشي مع الصوت ، ولكن ببطء السلحفاة ، وهذه معجزة اعظم .

قال البهاء زهير لاحبابه :

فلو صدق الحب الذي تدعونه واخلصتم فيه مشيتم على الماء

الا تراه لو كان في (عصر امين) الذي بشر به شوقي ، كان قال ، كما قال امين :

ففي النغم العميق اليك امشي   واسلك جانب الوتر المرن

ان قصيدة (الحبيب الاول) هذه تستحق الجلوس حيث احلها امين على الرحب والسعة ، في صدر الدفتر ، وان كنت ارى قصيدة (العقد الطويل) اقرب منها الى الشعر المطبوع. والغزل حتى يبلغ قرارة النفس يجب ان يكون ألين من شعر امين . فامين مثلا يرى حبه وحب حبيبه نعيماً ، بينما يراه بشارة الخوري ناراً آكلة :

فحرقنا نفوسنا   في جحيم من القبل

يظهر ان بشارة من اصحاب (ابجد هوز حطي) ، اما امين فيحوم ويحوم ، ومن صبر نال ومن لج كفر .

ولعل قصيدة العقد الطويل والقصيدة السوداء ، وان كانت صاحبتها جنة ماشية لا معلقة ، هما في نظري خير من قصيدة الحبيب الاول التي تصلح اكثر منها للانشاد والغناء .

اما في قصيدة الاشرفية ، فلأجل كلمة ، (اختها) التي ارادها امين قافية رأيته يحط من قدر الجمال حين فضل نكهة العنب عليه فقال :

ذقت الثمار ونكهة ان لم تكن   هي نكهة العنب الشهي فاختها

وبعد ، فمن يدري فلعل امين نخلة عنّاب ، او انه يغمز ابن الفارض من بعيد ...

واذا بلغنا (بئر السامرية) وضعنا عصيّ الحاضر المتخيّم. كما قال زهير . ان الآبار واحات ، ولعل سامرية امين احدى واحات ديوانه ، بل واحة الشعر الحديث ، ومع ذلك لا بد من قول شيء لتعود حليمة الى عادتها القديمة . استهل امين هذه القصيدة بقوله :

شرب المسيح فما لها لا تشرب   والبئر سقسقة وماء طيب

أتتعجب يا اخي امين كيف لم تشرب ؟ يظهر ان بنت الحلال لم تكن عطشانة ... الماء ليس خمرا ولا عرقا لتتعاطيا على خرزة البئر . اما قدم لها المسيح ماء لا يعطش من يشرب منه ؟ يقول المثل عندنا : الماء لا يمر على عطشان وصاحبتنا السامرية جرتها على كتفها .. فلو كانت عطشانة لشربت . اما البئر فيظهر انك لم ترها . انها عميقة جدا ، لا (سقسقة) فيها. عندما اراد الكاهن القيم على ذلك المكان ان يرينا عمق بئر يعقوب ، اضاء شموعا واسقطها الى حمام الماء .

وبعد ، فلماذا استحليت يا امين كلمة مقدمة !! العهد بك لغوي من الطراز العالي . كيف لم تشك بفصاحتها حين احللتها المحل الارفع ، أي في مطلع قصيدتك ؟! رايتك تقول في تمحل العذر لكلمة (شلاّل) : ولا حرج في ان يقال شلّ السيل او النهر ماءه فهو شلال ، وان لم يرد في متن اللغة . فان العرب تقول : شلّت العين دمعها ارسلته – والعربية كما لا يخفى يقع فيها النقل لادنى ملابسة .

طيب . فماذا تقول في سقسقة ؟ فاذا كنت تعني سقسقة نهر الباروك وغيره ، كما تقول العامة ، فبئر ابينا يعقوب ، كما قلت لك ، ليس بنبع خرار ولا جدول ثرثار . واذا كنت تعني غير ذلك فياليت شعري ماهو ... فهذا الحرف سق ، وسفسق وسقسق لا تعني اجلك الله ، الا ذرق الطير ، ولذلك قالت العرب : هذا كلام يذرق عليه .

هنا اسمح لي ان انتقل الى لفظة ثانية من هـذه البضاعة ، وهي قولك :

انا في رحاب السامرية واقف   ظمآن باسم الناصري اتبتب

فتب الرجل معناتها شاخ . ولو قلت : اطبطب كان لنا مخرج منها ومعتصر ، كما قال الاخطل الكبير . فمعنى طبطب اليعقوب – الحجل – صوّت . ولعلك بهذا تكون قد دنوت من العوام اكثر ، وهم فصحاء غالباً .

عفوك إذا ذكرت هاتين الهفوتين فقط فانت قلت في هذه القصيدة :

خلع اخضرارك آيتين على فمي   فتصفحي الانجيل هل هو محصب

استغفر الانجيل ان قصيدتي   عربية كالشمس وهو مقرب

إن شمسك يا امين فيها كلف كثير ، ابعد الله عنا نهاية العالم ... وهذا الابتهار يدل على ما هو اكبر من الغرور . أتجر سلاحك يا صاحبي على الشاعر المفرد ، على المسيح وانجيله !. لقد أزعجتم الانجيل والتوراة باستمدادكم مواضيعكم منهما . وهذه موضة قديمة . ترى هل اجدبت الحياة ؟!

ويقول امين في وصف السامرية :

النبت يطلع حيث تنقل خطوها

لعل هذه الفكرة شكسبيرية ولكن الزجال البعلبكي قال في هذا ما هو اجمل من قول شكسبير وامين ، قال :

من فوق عالي التلوج من فوق عالي التلوج

واخضرّ عشب الجبل هلداستو خدّوج

– البقية على الصفحة ٧٧ –

خمسة دنانير

الى المعلمة الفلسطينية اللاجئة
في مُخيَّم الكرامة وراء الاردن

دنانيرنـــا خمسة للطعامْ ... نُقدّمها صفقة رابحـــه
نعيش بها وسط هذي الخيامْ ... نُسامر أرزاءنـــا الفادحه
رياح السموم لها غدوة ... علينا ضحـىً
وهـذا الغبار له ثورة ... أضاعت هدىً
يُجرِّح أبصارنـا بالنصال
ويُلقي علينا سواد الظلال
وشمسُ النهارْ
وراء الستارْ
تُرى سابحه

وأيامنا بيـن تلك القفار ... نُبعثر كالأمـل الضائعِ
لنـا صحوة في مساء النهار ... وأخرى على فجره الساطعِ
وبين الأصيلين فوق الجمارْ ... نذيب الهمم
نُقدّم اعصابنا للصغارْ ... بقايا الرّمم
موائد علم كمـا يـدّعون
واكواب سُمّ كما يبتغون
وعند الغيابْ
يُطلُّ الجواب
عن البارحه

وأمي الجريحُ وراء الحِصاص ... وفي قبوهـا القاتم المعتمِ
هنالك في القدس حيث الرصاص ... يـدمدم منتشياً بالدم
تقود الضرير أبي في الظلامْ ... الى جُحرها
وتجمع أطفالها كالحمـامْ ... على حجرها
تعيش على الامل الشاحب
بيوم أُصيبُ به راتبي
تنال الفتاتْ
ورؤيا الشتاتْ
لها واضحه

ويبقى لنا بعد هذا العناء ... لكل المرافق طول الشهَر
لمسح الحذاء ولبس الكساء ... وأخذا الدواء وقص الشعَر
لطيِّ الطريق ولقيا الصديق ... دنانيرنا
ثلاثتها عنـد وزن الحقوق ... مقاديرنا
نبيـع الشباب بها والأمل
ونحسب أنا نجيد العمل
ونلقي الزمامْ
كبعض السوامْ
غدت سارحه

وهذا الطبيب الوسيم الجميلُ ... كنوزُ الربيع وضوء القمرْ
دنانيره خمسة تستحيلُ ... مناماً وثيراً وعيشاً أغر
وأعماله ساعتان اثنتان ... اذا تكثر
ومن حوله ضحكات الحسان ... له تُنثر
وتبقى المئات الثلاث السمان
وخمسون أخرى جميعاً تُصان
ويشكو الزمان
ويهجو المكان
لمن صارحه

كديك الطواويس عند المسيرْ ... ولفح الجمار اذا ما نظرْ
رطانته عجمة كالصُّخورْ ... تُحطِّم في حلقه أو تُجرْ
يحدثنا إن اراد الكلامْ ... كمن يبصق
ويحدجنا بالعيون اللئامْ ... كمن يسرُق
ويمضي مُدلاً بسياره
تتيه على الارض جباره
وفوق الترابْ
رءوس الحرابْ
لنا جارحه

نعضُّ الصلاب ونحني الرقابْ ... ليرقى الى ناطحات السحابْ
ألوفٌ تغصُّ بمرِّ الشراب ... ليسقى الطبيب الرحيق المذاب
وهذا النظام كما يزعمون ... هو المنزل
عـدالته أنهم ينعمون ... اذا نُقتل
وان لهم فيه ما يشتهون
ونحرم حتى بريق الظنون
وعند السؤال
نُيوبُ الضلال
لنا ذابحه

ويرجون أنا نطيق البقاء ... طويلاً نُجرّع هذا الشقاء
وبالحقد تصرخ فينا الدماء ... وللنور يفزع فينا الرجـاء
ستسحق أقدامنا الكبرياء. ... بلا رحمه
وتشدو لنا اغنيات الاخـاء ... على نغمه
تبيد الكروب ... وتحيي الشعوب
وتنبع من خفقات القلوبْ
ونبني الحياه
وايدي البناه
هي الكادحه

بيرزيت رام الله

عبد الرحمن رباح الكيالي

ماهو النقد؟

بقلم جوليان باندا

« تهمني الآثار * اكثر مما يهمني مؤلفها . كم اودّ ان تُقرأ آثاري كما لو انّها وُجدت من غير توقيع ، في زجاجة ملقاة في البحر. احبّ ان تكون هناك آثار لا نعرف شيئاً عن مؤلفيهـا : التوراة وملحمة هوميروس وقصيدة لوكريس وكتاب الاقتداء بالمسيح ومآسي شكسبير . »

هذه العبارة التي أعطيت موضوعاً للمعالجة في دار المعلمين العليا منذ سنوات توجز نظريتي في النقد . والواقع ان جميع الطلاب الذين تناولوا هذا الموضوع قد رفضوا هذا الرأي ، وكانوا يريدون ان تكون الآثار مرتبطة باشخاص يستطيعون ان يتحدثوا عنهم . والحق اننا نضع يدنا هنا على خطأ شائع في ايامنا هـذه : فان الكثيرين يخلطون بين دراسة اثر فكري ودراسة مؤلف ، فبدلاً من ان يقوموا بنقد ادبي ، يقومون بدراسة نفسية . وهذا شديد الوضوح الآن بصدد الكتب التي تظهر عن « بروست » : فان المؤلفين يبرزون فيها موروثات الروائي ، والتربية التي تلقّاها ، والوان تعاسته الجسمية ، وساعة نهوضه في الصباح ، وساعة نومه ، والذين يعاشرهم ، وغرائبه في ارتداء الملابس ، وطعامه المفضّل... اما آثاره وقيمتها « في ذاتها » فالحديث عنها قليل : والحق ان دراسة هذه الآثار هي التي تشكل النقد الأدبي .

ورب معترض يقول : ان معرفة شخص المؤلف ضرورية لفهم تكوّن اثره . والحقيقة ان تكوّن اثرٍ ما شيءٌ ، وهذا الاثر مصنوعاً شيءٌ آخر . وان هـذا الأثر المصنوع هو موضوع النقد الأدبي : تقييم هذا الاثر كحادث ادبي ، جمالي . وانا لا ادري ماذا يفيدني في تقييم رواية « سالامبو » ان اعرف ان فلوبير سقط من شاهق ، او في تقييم « تشايلد هارولد » ان اعرف ان بيرون كان يحب اخته من ابيه ؟

إن المسؤول الاكبر هنا هو سانت بوف الذي يهتمّ بأشخاص المؤلفين اكثر من اهتمامه بآثارهم ، وبالحادثة النفسية اكـثر من اهتمامه بالحادثة الادبية إذا سمّيناها كذلك ، مستقلةً عن مؤلفها ، على ان من البديهي ان مأساة « فيدر » تعيش حياة ذاتية ، مستقلة عن حياة راسين . فلنتأمل بهذا الصدد المكان الذي يخصصه الناقد الكبير لأشخاص (نساء وقضـاة وعسكريين وبلاطيـين) لا اهمية لهم على الاطلاق من حيث القيمة الأدبيـة ولكنهم يوفرون له فرصة تصوير ووصف . والحق انه يُعنى بالآثار الكبيرة ، لعدد من كبار الادباء ، اقلّ من عنايته بمذكراتهم ومسوداتهم ورسائلهـم الخاصة التي هي اشدّ تعبيراً عن نفسياتهم .

وهذا الاهتمام بتكوّن الأثر ، لا بالأثر المصنوع ، يؤكده مفكر فرنسي ، غاستون باشولار Gaston Bachelard ، إذ يصرح في « الماء والاحلام L'Eau el les Rêves » بصدد الحديث عن قصيدة لادغار بو ، انه لا يهتمّ اطلاقاً بهذه القصيدة كما يراها تحت ناظريه ، وانما بالنشاط النفسي الذي ولّدها . كما وكّده اندريه جيد اذ صرح ان الذي يعنيه انما هـو الانفعال الذي خلق الاثر ، لا التعبير عنه ، هذا التعبير الذي يبدو له شيئاً ميتاً ، اذ هو شيء مجمّد . والحق ان هذا « الشيء المجمّـد » هو الذي يكوّن الأثر ، والنقد انما هو درسه وتمحيصه . اما الحركة التي تحمل على الاهتمام بالاشخاص اكثر من الاهتمام بالآثار فان سببها بسيط جداً ، وهو ان الاشخاص اكثر تسلية ، وان الجماهير تريـد ان تتسلى . ويبقى ان نعرف اذا كانت مهمـة الناقد ان يتبع الجماهير ويسايرها . إن نفسية مؤلف ما ، تحليل نفسيته ، امر عظيم الاهمية . ولكني اقول إن النقد الأدبي امر مختلف تماماً عن ذلك ، واثور ضد الخلط الذي يقعون فيه بهذا الصدد.

ذكرت ان الذين تحدثوا عن بروست يتكلمون عن الرجل ، وقلما يتكلمون عن آثاره . وهم اذا تكلموا عنها ، فلكي يرفعوها الى السماء . وهنا نعرض لآفة اخرى من آفات النقد المعاصر : هي الحديث عن بعض المؤلفين المعاصرين بلهجة تقريظ وغناء ، مع رفض النظر الى نقائصهم التي ليسوا هم منزهين عنها ، مهما بلغوا من العظمة : ككلوديل وفاليري وبيغي . واحسب ان جميع القراء يقرونني على ان التقريظ ليس هو من النقد .

وهناك مفهوم للنقد يلقى نجاحاً كبيراً في الوقت الحاضر ، ويبدو لي انه مخطىء تماماً ، على الاقل في الصورة المجرّدة التي يتلبّسها ، وهو المفهوم الذي يذهب الى القول بان على الناقد ان « يتلاءم » و « يشارك » المؤلف الذي ينقده ، وهـذه

* انظر العدد ١٧ من مجلة La Nouvelle Nouvelle Revue Française

نظرية يعرضها بوضوح كلٌّ من شارل ديبو Charles Du Bos ، وغبريال مرسيل Gabriel Marcel وتيبوديه Thibaudet . وانا اقرّ – وان كان هناك مجال للمناقشة – ان على الناقد ان « يبدأ » بهذه المشاركة ؛ ولكنني ارى ان عليه بعد ذلك ان « يخرج منها » ليرتفع فوق اثر المؤلف ويحكم عليه . واحسب ان ديبو ورفاقه يردون بان هذا الأمر الثاني ليس الا امتداداً للأول . وهذا ما انكره انكاراً تاماً ؛ فانا ارى بصورة عامة ان التفكير بالحياة ليس هو إطلاقاً الامتداد الطبيعي للحياة ، ولكنه نشاط من طبيعة اخرى .

وقد يسأل سائل : « كيف تشرح هذه الظاهرة في ان يكون بعض المؤلفين ، ولا سيما الشعراء ، نقّاداً ممتازين ؟ » ويُذكر هنا اسم بودلير على سبيل المثال ؛ فأجيب بكل بساطة إن بودلير قد اوتي هذه الميزة بان يجمع موهبة الشعر الى موهبة النقد ، وهذا ما لا يمنع ان تكون هاتان الموهبتان متميزتين تماماً .

واعتراض آخر اهمّ : « إنك اذ تفرق بين المؤلف والناقد تقرّ بان نشاط الناقد ليس خلاّقاً » ، والحق ان نشاط الناقد يستطيع ان يكون خلاّقاً « كناقد » ؛ فبوسعه ان يُريك اثراً معروفاً جداً من زاوية جديدة تماماً ، وان يضع يدك على صلات لم تكن تعرفها بين آثار مختلفة ، وهذا هو شأن « النقد المقارن » الذي يبدو لي ارفع الوان النقد .

ولا بدّ هنا من مناقشة قول « ديتوش » Destouches المنسوب خطأً الى بوالو : « إن النقد يسير والفن عسير » . والحقيقة ان النقد ليس يسيراً على الاطلاق وانه يتطلب استعداداً نادراً جداً . والملاحظ ان الفنانين الكبار كثيرون جداً ، كالشعراء والرسامين والموسيقيين ، وان كانوا لا يملأون الشوارع ... اما النقاد الكبار ، فمعدودون على الاصابع ، منذ وجد النقد .

وهذا شكل آخر من النقد الذي يتذوقه الناس كثيراً ، ولكنه يبدو لي غير ذي قيمة ؛ وهو ما ادعوه « بالنقد العاطفي » ، الذي هو عبارة عن تقديس » مبالغ فيه لكاتب كبير يصبح تحت يد الناقد بمنجى من كل نقد صحيح .

واود اخيراً ان اشير الى مزيتين احسب انهما ضروريتان للناقد الحقيقي . اولاهما تتضح من مقارنة مع عبارة قالها لوسيان دو ساموسات Lucien De Samosate عن المؤرخ : « عليه الاّ يكون له وطن ابداً ؛ عليه ان يرتفع الى الحقيقة من فوق حبه لأمته » . وكذلك اقول إن على الناقد الحقيقي ان يبحث عن الحقيقة وهو ينفصل عن حبه وكلفه بعصره . والواقع ان الناقد اليوم لا يتولى فقط عن هذا الانفصال ، بل هو يجد فيه نقيصة ؛ وقد قرأت اخيراً قول احدهم إن مالرو هو اكثر الكتاب « معاصرة » . وهذا في رأيي مقياس خاطيء لتقييم الادباء . ولنذكر بهذه المناسبة مأخذاً ينبغي ان يوجّه للنقد . فإنهم ينعون عليه دائماً انه لم يكتشف رجالاً عظاماً في اوقاتهم : كبودلير وفرلين وابولينير ورامبو ومالارميه ؛ ولكنهم ينسون ان النقد نصب تماثيل لآلهة مزيفة امثال دوليل ودولافيني وهرفيو وبورتوريش وهنري باتاي وسواهم . إن على النقد ان يحصن القيمة الحقيقية للآثار من اهواء الجماهير ؛ والواقع انه يتملق اليوم هذه الاهواء بدلاً من ان يقف في وجهها . وانا اذكر هنا قول باريس Barrès : « إن بعض الاشخاص يصلون الى اعلى المراتب ، لا لأن كفاءتهم تدفعهم اليها ، ولكن لأن من الضروري ان تُشغل هذه المناصب » ولهذا نجد في ايامنا كثيرين يقارنون بفلوبير وبلزاك وديكارت وكانت ، لأنه « يجب » ان يكون لهذا الجيل روائيوه وفلاسفته الكبار .. وإن من مهمات الناقد اليوم ان يفضح هذا المفهوم الخاطيء .

ثم إن احترام الناقد لتقييم الجماهير يلبس شكلاً آخر ارى فيه الحكم بالاعدام على النقد . فهناك نقاد يعتقدون ان مقياس نجاح اثر ما هو سعة انتشاره . وهذا لون منحطّ جداً من الوان النقد . إن على النقد ان يقيم تقديره على مقياسٍ شرطه الاول ان يكون مستقلاً عن موافقة الجماهير او استنكارها .

والمزية الثانية التي ينبغي ان يتحلى بها الناقد ، وهي قريبة من الاولى ، هي النزاهة والتجرد في النقد ، مقابل الاستجابة للمزاج الشخصي . وليس نادراً ان نسمع من يفخر ويتبجح بأنه انما يقيّم الآثار وفقاً لتأثراته الشخصية ؛ والحق أن على الناقد ان يتجاوز شخصه حين يريد ان ينقد . وقد ضرب لنا جول لوميتر Jules Lemaître مَثَلاً طيباً في ذلك حين نقد آثار اميل زولا فبدأ بالقول انه لا يكره شيئاً كما يكره فن هذا الروائي ، وانه مع ذلك سيجهد في كبح جماح هذه الكراهية وفي تناول آثاره بالتجرد والنزاهة . وقد كتب في الواقع ثلاث مقالات رائعة في تفهمها وعدالتها . وانا احسب ان الناقد لا يستطيع دائماً ان يستوحي حرية فكر كهذه الحرية ؛ فمفهوم ان التجرد الكلي مستحيل ، وان اسقاط الذاتية من النقد ليس الا شيئاً مثالياً ؛ ولكن ينبغي مع ذلك ان يجهد الكاتب في هذا السبيل ، بدلاً من ان يرفض المبدأ ويتبجح بالذاتية .

ترجمة « الآداب »

... وانتظرني

حينَ تبدو الحياة في يومك المقفر منى كئيبة مملوله
ويلح الشوق اللجوج فتدعوني ودوني مجاهل وبراري
واماممي شوامخ الاسوار
فامض نحو الجسر الكبير مع الذكرى ورعشاتها العذاب الجميله

***

ستراني هناك امشي الى جنبك . انت استغراقي وابتهالي
وانا كنزك الذي تحتويه بيديْ باخل وحرص ضنين
وتواريه عن فضول العيون
والاصيل الملون الحلو يطوينا حبيبين ناسجيْ آمال

***

وسنمضي معاً الى الضفة الاخرى بعيداً عن اصطخاب المدينه
في الطريق الممدود نمشي وللصمت خشوع يلف جو هوانا
ليس الا النجوى ووقع خطانا
وطمأنينة تكال روحينا وأمن وراحة وسكينه

***

وسنمشي ونحن نجهل من يدفعنا في المدى وما سنلاقي
وسنمشي معاً بعيداً ولا ندري متى ينتهي الطريق الوثير
او الى اين سوف يفضي المسير
ونداء المجهول صوت خفيّ هاتف من قرارة الاعماق

***

وسنبقى هناك نمشي ولا نعلم الا شيئاً يحسه قلبانا
هو ايماننا المقدس بالحب ثوى في اغوارنا المجهوله
وحدانا على الدروب الطويله
وزكا شعلة تنير لنا الافق فنمضي على سناها كلانا

***

هكذا كلما الحّ عليك الشوق عد للماضي وعش في الذكرى
واحي ايامنا ونحن على النهر ونيسان ضاحك في الضفاف
راقص الظل رائع الاطياف
وانتظرني . غداً سيجمعنا الحب شتيتين في حماه استقرا

نابلس **فدوى طوقان**

تذوّق الادب

بقلم عز الدين اسماعيل

يتذرع الكثيرون بلفظة « الذوق » عندما يتناولون عملا أدبياً بالقراءة أو يستمعون إليه ويطلب منهم بيان رأيهم فيما يقرأون أو يسمعون . وقصارى كل حكم نقدي أن يقول بجمال هذا العمل أو قبحه ، فيعلن بذلك عن رضا « المتذوق » عنه أو نفوره منه . وعندئذ يبدأ ظهور الجانبين التقليديين للمشكلة . اما الجانب الأول فهو : الجمال أو القبح في العمل الفني ، وأما الجانب الثاني فهو : رضا المتذوق أو نفوره .

وهنا نتساءل : هل هناك علاقة بين الرضا والجمال ، وكذلك بين النفور والقبح ؟

قد يبدو للوهلة الأولى أننا نرضى عن الشيء لأنه جميل ، وأننا نفر منه لأنه قبيح . ولكن ألا يحدث كثيراً أننا نقف أمام الشيء الواحد فيرضى عنه بعضنا وينفر بعض ؟ وعندئذ نتساءل : ترى هل هذا الشيء جميل قبيح في وقت معاً ؟ والجواب بالايجاب يغضب المنطق . فبماذا يجيب الناس عن هذا التناقض الواضح ؟ إنهم يحلون الاشكال في كثير من البساطة فيقولون : إنها « مسألة ذوق » .

وقد شاعت منذ القدم عبارة De Gustubus Non Disputandum ، أي أنه لا مشاحة في الذوق . وقد عملت هذه العبارة عمل السحر في عقول الناس وعقول كثير ممن يتعاطون صناعة النقد ؛ فوجدوا في هذا المبدأ مخلصاً من كل إشكال يعرض لهم حول القول بجمال الأشياء أو قبحها ، فيكون تعليلهم لكل حكم نقدي يصدرونه أن المسألة مسألة ذوق . ويغنيهم هذا التعليل عن كل تعليل .

ثم إن هذا المبدأ كان من الخطورة بحيث أتاح الفرصة لكل شخص أن يحكم على الأشياء بالجمال أو القبح ؛ بالنجاح أو الفشل ، سواء أكانت له خبرة كافية بهذه الأشياء أم لم تكن لديه هذه الخبرة . وتأتي الخطورة من أنك لا تستطيع — بحسب ذلك المبدأ — أن تناقش هذا الحكم . لماذا ؟ لأنه — ببساطة — حكم الذوق ، ولا مشاحة في الذوق .

ولكن هل اختلاف الاذواق في الحكم على الجميل معناه أن الأشياء تكون جميلة وغير جميلة من فرد إلى فرد ، وعندئذ يكون الذوق نسبياً ، أم أن في الأشياء جمالاً لا يختلف من شخص إلى آخر هو موضوع لذوق مطلق ، وعندئذ يكون الاختلاف لسبب آخر غير جمال الجميل وقبح القبيح؟ وبعبارة أخرى موجزة : هل يختلف الذوق لسبب في الشيء المحكوم عليه أم لسبب في الذوق نفسه ؟ .

ولسنا نهدف الى نفي اختلاف الاذواق أو نسبيتها ، كما لا نبالغ في حتمية اتفاقها أو مطلقيتها ، ولكننا لا نريد أن يستبد بنا هذا الاختلاف فنقف أمام الأحكام الجمالية مكتوفين ، لا لشيء إلا أنها أحكام ذوقية ، وأن اختلاف الاذواق لا مشاحة فيه . المسألة في رأينا موضوع نظر ، ويمكن الاهتداء فيها إلى حل .

من مظاهر اختلاف الاذواق التي يمكن أن نلاحظها أن بعض الناس من بيننا يفضلون الجمال الأشقر ، وبعضهم يفضل ذات العينين الزرقاوين ، وآخرون يفضلون ذات العينين السوداوين والشعر الفاحم ، دون أن يقدر واحد منهم على أن يقول السبب لتفضيله . وهذا الاختلاف في الذوق ليس له ضابط في قوانين الطبيعة البشرية العامة ، ولكن لا بد أنه ينشأ من شيء مختلف في الأمم المختلفة ، وبين الأفراد المختلفين في الأمة الواحدة.

هذا هو التفسير الجنسي والبيئي لاختلاف الأذواق . واختلاف الأجناس والبيئات معناه اختلاف المجتمعات . ومن ثم كان من الطبيعي أن تختلف الأذواق من مجتمع إلى آخر ؛ فيختلف الذوق البدوي عن الحضري ، والذوق في المجتمع التجاري يختلف عنه في المجتمع الصناعي أو الزراعي الخ .. وهذه كلها أصبحت الآن أفكاراً متداولة .

وليس غريباً في مثل هذه الحالات أن يختلف الناس ، بل الغريب ألا يختلفوا . إنهم يختلفون في التقديرات المنطقية والأخلاقية والاقتصادية ، ويختلفون على

● « ان النور ذاته يتلاشى إذا لم يوجد في العالم سوى عميان »

شارل برنار

● « يجب أن تصبح العين معادلة ومشابهة للشيء المرئي كيما يمكن استخدامها في تأمله . ولن ترى عينٌ الشمسَ دون أن تصير مشابهة لها ، ولن ترى نفسٌ الجميل دون أن تكون جميلة » .

أفلوطين

السواء أو ربما كان اختلافهم أشد في التقديرات الجمالية . وإذا كانت بعض الأسباب ... كالسرعة والتحيز والعواطف الخ . يمكن أن تقلل من أهمية هذا الاختلاف فإنها بهذه الطريقة لا تنفيه . فاختلاف الناس إذن حقيقة قائمة . وستظل كذلك ما دامت الأشياء في تغير مستمر . فاللوحات الزيتية تصبح معتمة، والفرسكات تصير شاحبة ، وتفقد التماثيل الأنوف والأيدي والأرجل ، وتصبح العمارة حطاماً (كلياً أوجزئياً) ، ويضيع الأصل القديم لتنفيذ القطعة الموسيقية ، ويفسد نص القصيدة عن طريق النساخين الرديئين أو الطبع الرديء . هذه أمثلة واضحة للتغيرات التي تحدث كل يوم للأشياء والمثيرات الفيزيائية .

اما فيما يختص بالحالات النفسية فلن نعتمد على حالات الصمم والعمى ... فإن هذه الحالات ثانوية وأقل أهمية إذا هي قورنت بالتغيرات الأساسية اليومية الدائمة ، والتي لا يمكن تحاشيها في المجتمع حولنا ، وفي الحالات الداخلية لحياتنا الفردية .

وإذن فبجانب الأسباب الاجتماعية والجنسية والبيئية لاختلاف الأذواق هناك حالات يكون فيها اختلاف الذوق نتيجة لاختلاف الزمان الذي يتضح في مايعتري الاشياء والنفوس من تغير . وهناك إلى جانب ذلك الأسباب الفسيولوجية (الصمم ، العمى ، الخ ..) التي تكفي وحدها لاحداث هذا التفاوت . أما اختلاف الاذواق الناتج عن السرعة في الحكم أو التحيز أو العاطفة ، فهو وإن كان لا يعبر عن حقيقة ، فإنه يقع في بعض الحالات ، وحدوثه راجع إلى قوة الشخصيات أو ضعفها ومدى تأثرها بغيرها او تأثيرها فيها . وفي هذه الحالة يحكم الشخص حكمه الجمالي من خلال الشخصية التي يتحيز لها او يتأثر بها .

وترجع بعض الاختلافات الى الخلط بين معنى الجمال وغيره من الصفات كالامتاع والملاءمة . كما ان هناك عوامل أخرى تؤثر في تقديرنا للجمال ؛ فالشيء المألوف لنا قد يبدو جميلاً لمن يراه للمرة الأولى ، وإن كانت الغرابة تدعو إلى الكراهية في كثير من الحالات . واختلاف العقائد والتقاليد والأجناس والبيئة الزمانية والمكانية وأشكال الأشخاص وأحجامهم وألوانهم ، كل ذلك له اثره في اختلاف الاذواق . ثم في الشعر يختلف تأثير الألفاظ من فرد الى آخر ، ومن أمة الى أمة .. الخ . ومحاولة الربط بين كل هذا وبين جمال الجميل تجعل مجال اختلاف الاذواق فسيحاً . فمن الصعب في حكمنا بالجمال أو القبح على شيء ان نفصله عن كل إدراكاتنا وأحساساتنا وذكرياتنا وتقاليدنا وتكويننا الفكري والنفسي والجسماني . وفي مجال الأدب يضاف مأثورنا المذخور في اللغة ذاتها .

ويميل جاريت إلى الأخذ بأن جمال الشعر لا وجود له إلا في اذهاننا حين نستمتع به . وهو في ذلك يوافق قول بعض الفلاسفة إن الأشياء لا تحمل معنى ولكن المعنى في عقولنا . فالفنان يقصد من عمله الفني معنى ، وكل منا يقدر هذا المعنى تقديراً خاصاً فيحدث لذلك التفاوت . ويضرب مثلاً لذلك التفاوت في فهم هاملت لشكسبير . وقد يحدث أن تكون عبقرية القارىء تفوق عبقرية الفنان فيستخرج من عمله الفني صورة خيراً مما في عقل صاحبها .

ويتبين لنا من كل هذا كيف أن مشكلة الذوق شديدة المساس بمشكلة الموضوعية والذاتية . فالأذواق تختلف لكثير من الأسباب وليس منها سبب واحد موضوعي (اذا استثنينا التغير الذي يصيب الاشياء) . وهنا نستطيع أن نخلص إلى النتيجة ، وهي ان اختلاف الأذواق ليس سببه راجعاً إلى الاشياء المحكوم عليها دائماً . وهي حين تختلف فإنها لاتختلف في قضية جمالية بالمعنى الدقيق وإنما هو اختلاف في اشياء أخرى ولأسباب مغايرة . وهذا يترك لنا المجال للبحث عن الجانب الجمالي البحت في الشيء ، هل تختلف فيه الآراء أم تتفق ، وإذا هي اتفقت فكيف ، ومتى ؟ .

ونحب هنا ان ننكر تلك المبالغة الواهمة في اختلاف الاذواق ؛ فقد درب الناس على ان يتمسكوا بهذا الاختلاف ويبالغوا فيه ، في حين نجدهم يتراجعون أمام المعرفة العقلية او العلمية ويتصورون فيها لونا عظيما من الثبات . والواقع ان المسألة — في تصورها المعقول — خلاف ذلك ؛ فالحقائق العلمية في تغير مستمر ، وهي تختلف اليوم عنها بالأمس . فإذا نحن قارنا مثلا بين علمي الفلك والطبيعة على يد طاليس وانكسمندر وبينهما على يد نيوتن وأينشتاين وجدنا الفرق واضحاً — كما سبق أن قرر جارود Garrod استاذ كرسي الشعر في جامعة هارڤارد — بين العالم كما فهم قديماً والعالم كما فهم حديثا . اما فهمنا للشعر فيبدو — نسبيا — أنه لم يحدث به تغيير . وقد يقال إن فهمنا طبيعة الشعر ليس هو تقديرنا او حكمنا الجمالي على الشعر . ولكن ألا يقوم هذا الحكم على اساس من ذلك الفهم ؟ هذا سؤال قد يبدو بسيطا ، وقد يحمل في ذاته

تقريبا ، ولكنه في الواقع غاية في الاهمية بالنسبة لما نحن بصدده من تضييق النطاق الذي تحدث فيه اختلافات الأحكام. ذلك ان تفاوت الناس في القدرة على الفهم يكفي لتفاوت أحكامهم . ولكن إذا كانت المسألة مسألة فهم صحيح وفهم سيء فقد أصبح الاختلاف هيناً إذا أمكن الوصول الى الفهم الصحيح . وبعبارة أخرى فإنه اذا كان اختلاف الأحكام راجعاً إلى اختلاف قدرات الناس على الفهم كان ذلك تأكيداً لامكان الوصول إلى فهم واحد صحيح يمكن الاتفاق عليه بين الجميع اذا ما قورنت المفهومات المختلفة وصححت . وفي هذه الحالة تتحطم مسألة التفضيل ، لأن التفضيل لا يدل على ان وراءه بالضرورة فهماً هو أصح الأفهام ، فقد تفضل انت صورة من الصور وأفضل انا أخرى عليها ، ثم نمضي نناقش موضوعيهما . وإذا كان اختلاف الذوق قائما على أساس اختلاف في الرأي كهذا فإن هذا الاختلاف سيزول بتصحيح الرأي . ولكن هذا يعقد المسألة من جهة أخرى ، إذ متى و كيف يكون الفهم الذي بين ايدينا هو الفهم الصحيح او هو أصح الافهام ؟ قد يمكن ان نجيب ببساطة فنقول إنه الفهم الذي يلقى قبولاً شبه إجماعي ، ويدل على ذوق هو احسن الاذواق . وهنا يسألنا باتو Batteux : هل هناك ذلك الشيء الذي يقال له ذوق حسن؟ وهل هو الذوق الحسن الوحيد؟وابن يكون؟ وعلام يعتمد؟ هل هو يعتمد على الشيء ذاته ام على العبقرية التي انتجته ؟هل توجد — اولا توجد — قواعد ؟ هل سرعة البديهة وحدها Wit هي اداة الذوق أم هل القلب وحده ؟ أم هما معا ؟ . ويعلق على هذه الاسئلة بقوله : ما أكثر الاسئلة التي وردت في هذا الموضوع المألوف الذي كثيرا ما طرق ، وما اكثر الاجابات الغامضة والملفوفة التي اعطيت !

ومن جهة أخرى نجد «كانت» يعترض الطريق . والجمال عنده بإيجاز هو ما يُمتع دون غاية (اللذة او المنفعة) ودون مفهوم (الفكرة) . فكل ما يرضينا عقليا لاننا فهمناه ،وكل ما يرضينا لأنه مفيد او يستهدف غاية ما يعدّ شيئا طيبا.ويقول إنني يجب دائماً لكي اقول إن الشيء طيب ان أعرف أي نوع من الاشياء ينبغي هو ان يكون . يجب ان يكون لديّ مفهوم له . وهذا ليس ضروريا لكي اجد الجمال في شيء ؛ فالازهار والاربسكا والخطوط الزخرفية في الزخارف الورقية Foliation ليست تعني شيئا ، وليست تعتمد على أي مفهوم محدود ، وهي مع ذلك تمتعنا ...

ومن هذه الانواع الثلاثة من الرضا يمكن ان نقول : إن رضا الذوق عن الجميل هو الرضا الوحيد الصادق الحر ... والذوق هو القدرة على تقدير شيء أو نوع من الفكرة من حيث إرضاؤها او عدم إرضائها دون تحقيق غاية .

ومعنى ذلك أننا إذا كنا قد رأينا أنّ مسألة التفضيل لا تدل على الذوق الجماليّ بمعناه الدقيق لما تنطوي عليه من استهداف غاية او منفعة فانّ «كانت» يرفض بجانب ذلك مسألة الفهم ايضاً ؛ لأننا اذا افترضنا ان اختلاف الاذواق راجع الى تفاوت الناس في الفهم فان الجمال البحت لا يتضمن — بحسب كانت أي فكرة ، كالأربسكا مثلاً ، وهو بذلك لا يحتاج لأي فهم لادراكه . وبذلك تتحطم فكرة القدرة على فهم الشيء والتفاوت في هذه القدرة بين الناس ، من حيث هي أساس لتفسير اختلاف الاحكام من جهة ، وطريق الى القول بامكان الحكم العام من جهة اخرى .

ولكن هذا لا يدعونا لليأس بقدر مايفيد في تحديد المسألة. فمن السهل ان نلاحظ الآن ان الذوق يكون ذاتياً او نسبياً عندما ينصبّ الحكم الجمالي على المحتوى في العمل الفني حيث يحقق هذا المحتوى للأفراد غايات مختلفة ، كما يمكن ان يمدهم بمفهومات متفاوتة ، ذلك ان الجمال الصرف لا يكمن في هذا المحتوى . والحكم الجمالي الصرف هو إذن ما انصب على الشكل . الشكل الذي يمتع دون غاية ودون مفهوم . وهذا يساعد على القول بذوق عام . والقول بالذوق المطلق نظرية عقلية ترد الذوق الى مفهومات واستدلالات منطقية . والمطلقيون يفهمون الجميل من حيث هو مفهوم او نموذج يحققه الفنان في عمله ويستفيد منه الناقد فيما بعد في الحكم على العمل ذاته . اما النسبيون فانهم يرددون الحكمة القديمة القائلة انه لا مشاحة في الذوق، معتقدين ان التعبير الجمالي هو من نفس طبيعة الممتع وغير الممتع التي يشعر بها كل انسان بطريقته الخاصة ،والتي لا مشاحة فيها . ولكننا نعرف ان الممتع وغير الممتع حقيقتان عمليتان نفعيتان ، ومن ثم ينكر النسبيون الطابع الخاص بالحقيقة الجمالية ، ويخلطون مرة اخرى بين التعبير والتأثير ، اي بين النظري والعملي .

ويبدو ان كثرة الالفاظ الاصطلاحية قد تحدث شيئاً من الارتباك فلدينا الآن الحسيون والعقليون . او النسبيون والمطلقيون او التأثيريون والتعبيريون . ولكن هذه الالفاظ كلها تدور

— البقية على الصفحة ٧٨ —

أعقاب السكاير

قصة بقلم موريس كامل

جاء الدنيا من غير اذن الناس ، وعاش في دوار ، وحيداً مع امه .. مع قلقه ، يكر على ماضيه بعناد يحاول ان يتذكر وجه أبيه فيعيا ككل «النفايات» التي خرجت الى الدنيا سراً ، فتنكر لها اصحابها والناس وانكرت نفسها تعيش في الظلام .

كان ميخائيل يعض شفتيه حتى الدم ، حين يعترضه في الشارع انسان لا ككل الناس يسأله بخبث عن اسم ابيه ، ويسرع في مشيه متشنج الاصابع يهرب من ضحكة شامتة تطن في اذنيه طنيناً مزعجاً ، كأن اسم ابيه ، فيما لو كان له أب ، يخلصه من حياة الذل والبؤس التي يتمرغ فيها كثيرون غيره يعرفون « اسماء » ابائهم .

شغل بالسؤال ، على مر الايام . نسي نفسه وامه وراح يفكر بأبيه تفكيراً متصلاً في الليالي الطويلة ، تلفه عتمة كثيفة في غرفته الضيقة الضائعة في حي قذر من احياء العاصمة . كانت امه تنام وسرها في اعمق زاوية من الغرفة ، تسعل بين الفينة والفينة سعالاً حاداً يقطع النفس ، ثم تتوجه اليه تكلمه بصوت تخنقه البحة : « ميخائيل يا ابني ، آن لك ان تنام » ، وتتنهد ، فيرفع اللحاف عن وجهه ليسألها بدوره ، دون ان ينتظر جواباً : « الم تغفي بعد ؟ » ويغرق في سويدائه ليفيق منها ، بعد حين ، على بكاء متقطع يصدر من الزاوية — من « قفة » الحزن والهم .

★

اعوام تمر ، وميخائيل يعيش في حقده وقلقه . يذهب ، صباحاً ، الى عمله في مصنع النسيج ، في الطرف الشمالي من المدينة ويعود ، عصراً ، الى البيت مكفهر الوجه ضيق الصدر ، يفتش عن مخرج لعذابه . ومثله ابداً وجد نفسه في أصيل يوم من خريف ١٩٣٩ ، في طريق العودة الى البيت ، يمشي مجهوداً حذراً ، ينظر بضيق الى حركة الناس ، تدفعه حاجة غامضة الى سلوك طريق ضيقة خلف غرفته تقع فيها خمارة يؤمها رجال الحي مساء .

لم يكن قد تخطى باب تلك الخمارة يوماً ؛ لكنه في ذلك الاصيل وقف امام واجهتها كالابله ؛ ينظر الى داخلها بعينين كبيرتين لا يفقه سر فوة مجهولة تسمره في مكانه كشيء عادم القيمة لا ارادة له . حاول ان يبتعد ، لكن رجليه تحركتا من الوجهة المعاكسة ، ووجد نفسه في داخل الخمارة ، امام الدكة ، يطلب بصوت غريب عنه : كأس عرق .

خرجت الكلمتان من فيه ثقيلتين كالرصاص : خيل له معها ان زبائن الحانة سمعوا صدى وقعها على صفيح الدكة . ادار عينيه في جميع الزوايا يستطلع الوجوه حقيقة الامر فطالعته عيون حمراء كالدم تنظر اليه نظرتها الى حيوان غريب .

اضطرب على كرسيه ، ولم يلحظ في اضطرابه وجود حنا بائع الخضار في الزاوية خلفه . رآه ، فجأة ، منتصباً على قدمين مترنحتين يدني من وجهه وجهاً شوه السكر تقاطيعه ، يلح عليه بصوت كريه أن يقوده الى امه : مريانة .

دارت به الارض . احس بالنار تلسع أذنيه . احس شيئاً ثقيلاً كالحجر يعصر قلبه . وبحقد ارتفعت يده في الهواء لحظة ثم هوت عنيفة كالمطرقة على وجه حنا فانهار دفعة واحدة , مرسلا أنة اقشعر لها بدنه

راح ينظر اليه بعينين ضائعتين ، لا يستطيع ان يفكر ، كأنه افرغ من كل حس . تسمرت قدماه في الارض وسال العرق في ظهره بارداً . كان الصمت عميقاً يترك في خلايا المخ نشيشاً يبلد العصب ، هيمن لحظة استولت فيها الدهشة على جميع من في الخمارة .

حار ميخائيل في امره . بجهد خطا خطوة واحدة يطلب الشارع ، لكن همهمة عميقة ترددت مبهمة غامضة ثم تجلت قوية واضحة تتحللها شتائم قذرة ، واحاطت به اجساد مترنحة تمسك بقميصه . وكلمح البصر هوت القبضات على وجهه ، على عنقه ، على صدره ، تضربه دون شفقة ، فضت عيناه من ضربة اصابت جبهته ، وارتسمت على وجهه تكشيرة ألم . شعر بلذع الكلمات عنيفاً يسلق جسده سلقاً ، وانسدلت غشاوة على بصره كاد يختنق بسائل مالح ملأ فمه وخياشيمه ، لكن برودة كالثلج تمشت في اطرافه وخديه ، عقبها خدر عميق خف معه ألمه ، غاب بعده عن وعيه .

★



عاش ميخائيل ، بعد هذا التاريخ ، اشهراً ظل يذكر في غضونها كيف غادر البيت في الفجر العميق لا يلوي على شيء ، تملأ نفسه رغبة في الهرب بعيداً الى اطراف الدنيا . خرج يجر رجليه جراً ، يمشي في الشارع الهادىء حزيناً تعباً تملأ جسمه بقع زرقاء كبيرة ورفع يديه يضغط صدغيه ضغطاً عنيفاً عله يضع حداً لدوي مزعج ملأ رأسه . كانت عيناه تنظران بغير اكتراث الى عمال التنظيفات في اثوابهم المرقعة يغسلون ارض الشارع ودماغه يفكر تفكيراً عميقاً بأمر طالما شغله في الفترة الاخيرة من حياته . فقد ، على مر الدقائق كل شعور بالألم وتركز تفكيره على نقطة بالذات ، ارتسمت امام عينيه على شكل اشارة استفهام كبيرة تحيط بحياته ، كل حياته تسمها بطابع الذل والحقارة .

رويدا ، رويدا ، تقلصت الاشياء تقلصاً عجيبا وغابت خلف غشاوة سميكة ووجد نفسه في محطة سكة الحديد ، بعيدا عن البيت .. عن أمه .

في صالة الانتظار ، امام شباك التذاكر ، سمع رجلا يطلب تذكرة الى حلب ففعل مثله . دفع ما معه : ليرات قليلة جمها قرشا قرشا ، ومشى ، تدفعه جماهير المسافرين الى عربة الدرجة الثالثة يأخذ مكانه بين عجوز تملأ البثور وجهها ، وبدوية تفوح رائحة نتن من ثيابها القذرة .

كيف عاش ميخائيل ايامه الاولى في حلب ؟ ماذا فعل ؟ اين نام ؟

يعرف انه لم يمشها وحده .. لم يفعل شيئاً بنفسه . نزل من العربة يرتجف من الجوع والبرد ووقف منفردا ينظر الى المسافرين يغادرون المحطة بسرعة . كان في حيرة من أمره يفكر بحل عندما اقترب منه رجل كهل رث الثياب تشع عيناه ببريق غريب وسأله عود كبريت .

قدم له علبته وراح ينظر اليه يشعل عقب سيكارة ، فابتسم الغريب وقال له ببساطة : « اني ادخن اعقاب السكاير » واضاف : « اسمي هرشو » ومد يده بعقب سيكارة أخذه ميخائيل وأشعله وراح يسحب الدخان بشره .

كان اول عقب سيكارة دخنه في حياته ، ربطته تواً بصاحبه صداقة ما عرف انها ستنقطع يوما بشكل غريب . عرف « هرشو » قصته في دقائق ، قاده بعدها الى مطعم حقير في زقاق ضيق يقدم له صحنا من الفول ، اتبعه بعقب سيكارة . كان يتصرف معه تصرف انسان واثق من نفسه لا يعرف هماً من هموم الدنيا : وما لبث ان مشى به ، في الازقة الضيقة ، حتى بلغا بيتا مهدما تقوم في زاوية منه ظلة من تنك ، كوم تحتها شبه فراش .

★

عاش ميخائيل مع «هرشو» يدوران في الازقة كالكلاب الجائعة ، يجمعان اعقاب السكاير ويأويان ليلا الى الظلة يتحدثان او يقرأ ميخائيل في كتب عتيقة ، كان « هرشو » يحملها له لا يدري من أين ، فيفتح عينيه ويصغي ملء جوارحه ، ثم يهز رأسه ويبتسم ساخراً يقول :

– لا تصدق شيئا . ليس في الدنيا انسان يعرف الحياة . وانت اين تعلمت ؟

ثم ينظر الى الارض وعلى جبينه تجاعيد يغيب في عالم بعيد .

في آخر ليلة قضاها ميخائيل مع « هرشو » قص عليه هذا الاخير مرحلة من مراحل حياته – اسودها كما قال – ضغط يديه وحدق الى وجهه فاغر العينين :

– البؤس ، يا بني ، خطر على الانسان . انت ، في المرة الاولى ضربت . ضربت جنا . في المستقبل قد تقتل مثلي انا ، دون ان تكون لك رغبة في القتل ، أتدري لماذا قتلت ؟ كنت شقيا جائعا لا اجد رغيفاً . ثقل علي شقائي ورأيتني ارفع المجرفة اهوي بها على رأس زوجتي ، في دقيقة جنون بلل فيها المطر النافذ من شقوق السقف ، فراشنا الوحيد ... كأنها هي المسؤولة ...

قام « هرشو » يبتعد عن ميخائيل . ابتعد اكثر من اللزوم ، رحل تلك الليلة ولم يعد ، فانتظره ميخائيل ، اياما ، ثم قصد مصنعا من مصانع النسيج يعمل فيه .

كان يقضي نهاره بين جدران المصنع يفتك برئتيه غبار القطن ، ويدور ليلا على الخمارات يشرب العرق وحيدا ، او بصحبة كوستا رئيس فرع الميكانيك في المصنع حين يكون هذا الاخير على خلاف مع صديقة له تعمل في حانة من حانات سوق الجميلية .

عاش شهورا عيشة انسان شبع من حياته . عاش عيشة انسان ينتحر . وفي مساء ممطر شاعت فيه السويداء في نفسه توجه الى الحانة التي تعمل فيها صديقة كوستا . وجد صديقه جالسا معها قرب دائرة الرقص ، فجلس الى طاولتهما وطلب ، على غير عادته كوبا من البيرة .

شرب كوستا تلك الليلة بشره . شرب حتى الضياع وراح يحدث ميخائيل عن اليونان .. عن حياته الماضية . قص عليه خبر فتاة قروية رآها على الصخور تنظر الى البحر فحملها عنوة ومددها على الرمل ..

لم يتركه ميخائيل يكمل حديثا يطعنه في صدره يذكره بماضي أمه .. بعذابه . انقض عليه كالمجنون وراحت يده تمزق وجهه المجدور بقسوة . كان يضربه باعصابه وقلبه ، على اسنانه ، على أنفه ، على صدره . زاغ بصره واستحال كوستا بين يديه رجلا آخر – كائنا يشبه ، قهراً ، رجلا لوث امه وتركه هو نفاية في الدنيا – عقبا من اعقاب السكاير لا اسم له . وبحقد اطبق اصابعه على عنقه يشد ويشد فاسرع الخدم وانقذوه من بين يديه في لحظة رأى فيها الموت بعينيه .

أفاق ميخائيل يلهث . ادرك في لحظة انه كاد يقتل مثل هرشو : كاد يصير مجرما ، فتصبب العرق من جبينه العريض ونظر حوله بذهول . كانت صديقة كوستا ساهمة تنظر الى الواجهة والمطر يتساقط على زجاجها دون ان تمد يداً الى كوبها ، فلما هدأت السماء قامت الى الباب تمشي على مهل . ومن على العتبة نظرت الى ميخائيل تدعوه الى اللحاق بها فمشى با كتئاب ورافقها الى غرفتها الصغيرة . لم يسألها شيئاً ولم تخرج بدورها عن الصمت . كانت تنظر اليه بحنان عميق ، فلما تمدد على سريرها تكومت بين يديه وضغطت صدره تغيب فيه ... وكطفل صغير ارتعش ميخائيل وكرت من عينيه دمعة فرح . دمعة كانت الاولى في حياته .

عرفت هذا الشق من حياة ميخائيل ، ايام الحرب الاخيرة ، عهد اقامتي في حلب ، قصتها عليّ امرأة سمراء تبرق عيناها كالماس ، كانت تعمل في حانة من حانات سوق الجميلية ، فلما سألتها عن مصير ميخائيل رسمت بيدها حركة في الهواء واجابت مثل من يفيق من كابوس مزعج :

– ميخائيل ؟! مات .. دهسته سيارة في هذا الشارع بالذات بينما كان يشعل سيكارة .

ثم اضافت بغصة : قتلته السيكارة .

موريس كامل

المسـؤولية في الأدب

بقلم أحمد كمال زكي

في هذه الأيام ترتفع أصوات فريق من الأدباء داعية إلى الالتزام في الأدب ليقوم بدوره في خدمة المجموعة الانسانية، بينما يذهب فريق آخر إلى ضرورة تحرره من أي قيد خلقي أو مجتمعي باعتباره فناً جميلًا. وبين صيحات أولاء وهؤلاء تتجمع في الشرق العربي سحب خلاف يزيده اتساعاً ان الأدب في حقيقته لا يعرض للأشياء كما هي في ذاتها أو كما هي في علاقاتها الموضوعية، فيحيل من قيم الواقع ويدفع بنا الى واحد من الطرفين المتضادين.. الافراط أو التفريط!

ولقد قامت مجلتنا «الآداب» بدورها في الوقوف عند هذه الظاهرة وبسطها للقارىء وتوضيحها، فرأينا من بعيد أو قريب مدى خطورتها من حيث إنها ذات أثر عظيم في حل كثير من مشكلات الفن والابداع، ومن حيث إنها تتصل بطبيعة الفن نفسه وبالموضوع الذي يختار وبوسائل التعبير عنه وبغير ذلك مما يعرض لجماع الشكل والمضمون في العمل الأدبي الأصيل.

ومن الملاحظ على أي حال أن الدعوة الى الالتزام لم تكن جديدة اذا توسعنا في فهمها ووقفنا عند ادراك القدماء – عرباً كانوا أم غربيين – للأدب. وليس المجال مجال استشهاد ولا سوق أمثلة، ففي كتب الأدب العربي ونقده لمحات ذكية وإشارات واعية الى لب المشكلة، ولنا فيما كتب الجاحظ وقدامة الجرجاني ما يغنينا عن التقصي والاستطراد.

أما في أوروبا فقد أسهم الأدباء في بناء مجتمعها الناهض، ومرّ الجميع بتلك الأزمات التي امتزج فيها التشاؤم بالتفاؤل، واستطاع بعض الشباب ان يقابلوا اليأس بروح التحدي، واندفعوا يعبثون بكل القيم، وانتهزوا فرصة إغراق الرومانيين في التعبير عن مشاعرهم الشخصية، فنادوا بضرورة معالجة مسائل الفن لمجرد الفكرة التي توحيها هذه المسائل، وقام تيوفيل جوتييه ينكر عليهم مذهبهم ويكيل الثناء للشاعر بودلير لأنه حافظ على الاستقلال المطلق للفن، وأنكر أن تكون للشعر أية غاية خارجة عنه، ولن تكون له رسالة إلا ما يبعثه في نفس القارىء من الادراك للجمال بمعناه المطلق.

وليس من شك في أن هذه الدعوى في إنكارها للرومانسية من ناحية وفي هدمها للمثل الأخلاقية والمعنوية وفي عدم تأييدها لنظم اجتماعية معينة من ناحية أخرى، إنما تصدر عن إيمان بالفلسفة المثالية وبخاصة فلسفة «كانت». وكان هذا الفيلسوف يرى أن أساس الشعور بالجمال هو اللذة التي تحدثها الصورة. حتى ليبدو صحيحاً – وهذا عجيب – أن العناية بالصورة هي كل عمل الفنان، ومن هنا لا ندهش لما قاله والتر باتر من أنه في كتاباته لا يستهدف إلا صقل العبارة ليصل إلى الجمال لذاته، ولم يحاول قط أن يكتب شيئاً له غاية خلقية أو اجتماعية.

على أن ذلك، إذا صح، كان علينا أن نقول مثلًا إن الشعر هو بما فيه من موسيقى وإيقاع، حتى ولو خلا من كل مضمون. وبالطبع ليس ذلك صحيحاً، لأن الفن بهذه الكيفية لا وجود له على الاطلاق، فضلًا عن أن مادة العمل الأدبي إما أن تكون مستمدة من العالم الذي يحيط بالفنان، وإما أن تكون نابعة من العالم الذي ينطوي عليه. وهو في أي الحالين يحدد موقفه من إحدى ظواهر الكون، كما يدل دلالة واضحة على ان الخلق الأدبي مرتبط بمبادىء وآراء خاصة، فيصح من هنا ما قاله بلزاك في مقدمة الملهاة الانسانية La Comédie Humaine من أن الحد الذي يجعل الأديب أديباً بل ما يجعله قريناً لرجل الدولة أو ربما أعظم منه، هو حكمه في مشكلات الحياة الانسانية وارتباطه بموقف لا يحيد عنه. ومعنى ذلك بعبارة أخرى أنه لا بد للأديب من أن تكون له فلسفة في مسائل الحياة التي تضطرب من حوله.

ولأمر ما غير ذلك كله تردد كثير جداً من فناني الانجليز في قبول مبدأ الفن للفن ونشبت المعارك بينهم وبين خصومهم من الفرنسيين، وتصدى جون راسكن في نهاية القرن التاسع عشر للردّ عليهم، وكان من رأيه ان الفن ليس تهويماً أو سراً أو شيئاً من هذا القبيل، ولكنه مشكلة قائمة تتطلب العلاج.. هكذا في بساطة وصراحة وبغير التواء!

على أننا لم نعدم في الانجليز من نحا نحو باتر وراح يرى رأيه في الفن .. لم نعدم فيهم اوسكار وايلد يناهض فكرة الالتزام في الأدب ، ولكنها رغم ذلك ظلت قائمة حتى لقد أصبحت السنوات الأولى من القرن العشرين تنوء بهزيمة فكرة الفن للفن ، إلا أن هذه عاشت حتى الحرب الأخيرة ، وفي تلك الآونة جرّد الأدباء – وخاصة أدباء فرنسا – أقلامهم يدعون لوطنهم وينعون على الذين يتعاونون مع الألمان موقفهم ، ورأينا من هؤلاء البير كامو يخلص لبلده ويدعو له ويكتب من أجله ، بل يشقى احياناً بالانسانية كلها ويروح يبحث فيما يكتب من قصص عن مصير الانسان ، وعن تردده بين الخير والشرّ ، وعن حظه من العدل والظلم .. من العقل والدين.. من الحرية والعبودية .. من اليأس والرجاء .

وهكذا تتكشف لنا حقيقة الأدب ونوع مسئوليته كما نرى إلى أي حدّ نشز اصحاب الفن للفن وكيف غاب عنهم ان يفهموا ان الأديب الذي يحكم في إحدى مشكلات الحياة لا يصرف الأدب عن حقيقته ولا يخرج به عن دائرة الفن .

غير ان هذا لا يعني على الاطلاق سلامة منطق الالتزاميين في دحضهم آراء خصومهم ، فلقد ظنوا هم أيضاً ان في دعوة الفن للفن تحولاً بالأدب عن أداء رسالته وتنكباً عن طريقه السوي . والذي لا شكّ فيه انه مع التسليم بما في « الفن للفن » من ميل الى السلبية واستنامة الى الدعة ، فهو لا يخلو من فكرة ولا أقول غاية ، ذلك ان الصياغة السليمة من الناحية اللغوية والتصويرية والمنطقية لا تحدث في النفس أثرها حتى تنطق بها شخصيات إنسانية فيها ما في الانسان من تركيب نفسي ومحصول تجريبي .. فنظرية الفن للفن إذن ليست شراً كلها كما أنها لا تقف ضداً لدعوة الالتزاميين .

فلنسلم إذن بالمسئولية ما دام هناك التزام على الأقل ...

نسلم بالمسئولية أياً كان لون الأديب ، وأياً كان طبعه ومزاجه وثقافته وتجربته وموقفه من الحياة . وفي هذه الأيام بالذات يتجه الأدب الحديث الى فهم النفس البشرية فهماً قائماً على تصوير الواقع دون زيف فيه ولا افتراء.. فهو أدب تحليل وتفصيل بعد ان كان قبل – وخاصة في تراثنا العربي – أدب تجميع وتلخيص . وفي هذه النزعة المحللة المفتتة يصطدم الأديب بمواضعات المجتمع ولا يتقبل كل الآراء التي تشيع من حوله ، فيحدث ذلك التصدع الذي يدعوه الى الابداع والى الدعوة الى معايير فيها ما فيها مما لا ترضى عنه المجموعة أول الأمر في كثير من الأحيان .

فالمسئولية بهذه الكيفية ليست سلبية بالنسبة لمن حوله ، لأنه بطبيعته يسعى لاحداث أثر كتب من أجله . وبين هذه الغاية وموقف المجتمع منه وموقفه هو من المجتمع ، ورغبته في تحقيق فلسفته ودعوته الى معاييره التي أخلص لهـا ، تكبر المسئولية وتتعقد .. فإذا هي ممتدة في نفسه متشعبة ، وإذا هي متصلة بالمجتمع تصطرع من أجله ، ثم إذا هي لا تخلص من قيود الفن وطبيعته ...

ولكننا نسأل ما لون المسئولية ، ما طبيعتها ؟

ما حقيقة هذه المسئولية في التزام الأديب ما يلتزم بالنسبة لفنه وبالنسبة لمجموعته ؟ أفيستطيع في محافظته على سلامة المبادئ الجمالية وفنيتها ان يحسن التعبير عن نفسه ويصدق ، ثم يوجه المجتمع الى غايته ؟ أليس من الممكن ان يصبح ذلك كله مجرد مران عقلي أو مجرد مهارة ذهنية فيبعد بالأدب عن دائرة الفن ؟

الحق ان التجربة قد وقفتنا على ان الاعمال الكبيرة في الأدب Chef-d'oeuvre لم يكتب لها حظ البقاء إلا لأن اصحابها وفوا لأنفسهم في الوقت الذي وفوا فيه لمجتمعهم ، وبين الشكل السليم والمضمون المجدي تقلب الناس وانفسح السبيل أمامهم ليقوموا بحركاتهم الاجتماعية الموفقة .

أجل .. فليس شك في ان كل عمل فني ينبع بالضرورة من ذلك الصوت الذي يهيب بالأديب ان يكتب ، كما لا ينفصل عن ضرورة كونه إنساناً منفعلاً له حساسيته ، والمسئولية بهذا الاعتبار ثالوث له أصل واحد ، او هو فعلاً شيء واحد .

والأديب المسئول لا يمكن ان يقنع بالتهويمات الصوفية ويطيل التأمل في أحلامه الشعرية ، وليس في وسعه ان يعيش في السحب منعزلاً عن عذابات البشر وافراحهم ، لا ولا يستطيع ان يعلق نفسه دون ما يضطرب في مجتمعه من آراء في السياسة والاجتماع والاقتصاد والدين ، بل هو بالطبيعة شديد الوعي لما حوله ، شديد الالتصاق بالأرض ، شديد الاخلاص للواقع التاريخي الذي يحيا في امتداد له . ومعنى ذلك كله ان الجمال بمعناه الفني عنده هو الحياة كلها بماضيها وحاضرها ، بتليدها وطريفها .. هذا هو الجمال الذي ينشده ، وليس هو ما تغنى به المثاليون من عهد افلاطون الى يومنا هذا..هو ما حدا بأرسطو

ان يقول مرة إنه يفضل ان يضع اغاني أمة على ان يضع قوانينها، وفرق ما بين ارسطو وافلاطون هو الفرق ما بين الحقيقة والحلم.

عــلى ان الأمر ليس بهذه السهولة؛ فثمة حقيقة من طبيعة الأديب الكبير ان يكون واعياً لها.. فهو في إيمانه بأنه يسعى بالبشرية إلى أمام، وان أدبه عامل في تطهير المجتمع، فلا بد ان تكون المسئولية نابعة من نفسه، فهي مقررة ولكنها ليست محسوسة، وذلك يستلزم منه ان تكون آراؤه في الحياة جزءاً منه .. جزءاً من تكوينه العقلي والوجداني، فتصدر عنه في تلقائية وعفوية بعد عملية تمثيل بطيئة طويلة كاملة أشبه بعملية التمثيل النباتي Assimilation .

ومن هنا لا نحس آراءه مقتسرة مفروضة علينا فتكون أشبه بالشجى في الحلوق، ويكون أقرب منا واكثر فعالية فينا واعظم دفعاً لنا الى الأمام. فإذا كنا نطالب الأديب اليوم بالمضمون الاجتماعي، فلسنا نريد ان نضطره الى ذلك اضطراراً وليس من حق احد عليه ان يجبره على لون معين من الكتابة، ولا ان يلزمه برأي خاص من الآراء، وإلا استحالت عليه عملية التمثيل اللازمة لفعالية أدبه، وانقطع هــذا النوع من التعاقد الذي يقوم بينه وبين المجتمع، وضاعت غاية الالتزام الذي ننشده.

هذه هي المسئولية التي نريد، وهذا هو النطاق الذي تتحدّد به، فإذا لم تستطع ان تثير من القضايا الفكرية والفنية والمجتمعية ما يفسح السبيل للبشرية ان تسير، فيجب ان نعود الى انفسنا ونبدأ من جديد.

القاهرة

احمد كمال زكي

عضو الجمعية الادبية المصرية

العــودة

بيتي إذا عدتُ أرى ما به ... يهش بالايناس والبهجةِ

من قطه المكـّار.. يصحو إذا ... تبيّن الأصداء من خطوتي

لساعةِ الحائط.. للمنحنى ... في الردهةِ الزرقاء... للهدأة

أرى حياتي فيه قد لُونت ... أصباغها من قلب محبوبتي

فكفها قد طرّزت عيشتي ... بالحب. والفرحة. والنعمة

لا تطعم الراحة إنْ أخّرت ... شواغلي العودَ إلى شقتي

تجلس في الردهة مشغولة ... لهيفة ... تنسج بالابرة

تنسج لي هذا الصدار الذي ... تذيب فيه أقدس الحبّةِ

والقطّ «بوسي» ماسح وجهه ... حيناً ... وحيناً نائم اليقظةِ

وعينها في ساعةٍ عُلـّقتْ ... لتسأل الساعة عن أوبتي

وسمعها للباب.. إن غرّدت ... أصابعي.. طارت إلى قبلتي

فتضحك الجدران.. حتى إذا ... أقفلت أبوابي عــلى جنتي

جلست أحكي كل ما سرني ... وساءني منتفضَ النشوة

وزوجتي تنصت في غبطة ... قريرة ... هانئة النظرةِ

القاهرة

كمال نشأت

من رابطة «النهر الخالد»

طريق

شعر عبد العزيز خاطر

أنا قد عفت ترهات الغيوب
يا نديمي أترع بدمعك كوبي
نحن في هذه الحياة
كمجتاز صحارى رمالهامن كروب
كل شبر منها ينبت منه الد
مع شوكاً يدمي شغاف القلوب
ليعيش الانسان جيلًا فجيلًا
يذرف الدمع للدم المسكوب
ظامئاً للحياة في كنف الحـ
ـب كطير في عشه المحبوب
ليس يلقى سوى سراب الاماني
وهو من مدمع سخين صبيب
يتلهى بجنة منه والنا
ر حواليه في جحيم الخطوب
كل بيت وكل مأوى وملهى
محشدٌ للشقاء والتعذيب
بسمات على السمات تسابقـ
ـن ستاراً يحجبن مرأى النحيب
فكأن الحياة ملهاة مجنو
ن نواه في ضحكة وقطوب
وكأن الوجود مجزرة عظمى
وطاحونة الفناء الرهيب

*

يا أخي في توقد البرحاء
انت يا اخت في عذاب الذكاء
اخوتي في الحياة قد اظلم الدرب
تُرانا على الطريق السواء
وترى هذه تهاويل انسان
مروع او غارق في شقاء ؟
أن في نفسي الشقية حلما
قد تردت اشباحه بالدماء

ان في قلبي المعذب إرهاصا
بنار تشب للأحياء
خبروني – والنار تنجب نارا –
هل مصير الانسان نحو الفناء ؟
الحرق الانسان تشعل هذي النار
أم للشرور والأرزاء ؟
هل يعيش الانسان مثل قطيع
في مراعي الأشواك جم الثغاء
فرحاً بالحياة يحمل في جنبيه
قلبا كالصخرة الصماء
وكهوف الغابات فيها ذئاب
تتلظى بالشهوة الحمراء
ليلة الهول اطبقت والمنايا
في عيون الذئاب كالاضواء
ودنت ساعة المذابح والقطعا
ن تلهو في سكرة بالضياء
وتنادى الذئاب هبوا الى المجـ
ـد اقيموا ولائم الاشلاء

*

من مجيري من لافحات الظنون ؟
اين امضي في العاصف المجنون ؟
اين أمضي والليل موصول اذيا
ل بليل مسربل بالدجون ؟
أين امضي وقد تشابكت السبـ
ـل فكل الثرى مسالك دوني ؟
كيف امضي والشوك يجرح اقدامي
ونور النجوم لا يهديني ؟
والى اين يا شقي ستمضي ؟
ما لمثلي من شاطيء مأمون
ليس من شاطيء امين فألقيت
رحالي على مهاوي الشجون

وتلفعت بالظلام اواري
جمرة في فؤادي المطعون
وافترشنا الدجاء، والريح تعوي
انا واليأس في الدجاء خديني
ايه يا يأس هات فلسفة الموت
كؤوساً وهاجة ترديني
علمتني الحياة ان انشد النو
ر وذرت رمادها في عيوني
علمتني الحياة ان انشد الحق
وبثت جمالها في الفتون
الهمتني الحياة ان اخلص الحب
واودت بكل حب امين
الهمتني الحياة ان اعشق الورد
ولكن اشواكه تدميني
الهمتني الحياة ان اعبد الارض
وزانت سماءها بالظنون
اودعتني روحا لهيفا الى الفرح
وقلبا يبكي لكل حزين
ورمتني على خرائب قولي
ودمار يهتز مثل الجنين
ووجود على كياني ينهال
بنهش الاسى وطعن الانين
ودعتني لانشد السلم لكن
حطمت معزفي وشلت لحوني
وهبتني حريتي ثم قالت
انت حر وانت رهن سجون
فيك سجن مخلد وجحيم
ظمأ آبد ووقد حنين
فانطلق كالشرار يبرق في الليل
ويسمو على التراب لحين

حارقا باللظى لظاه لكي يهو
ي هباء مضعيا في الطين
ايها اليأس نحِّ كأسك عني
ان خمر القنوط لا تثنيني
وتبدّل سوى نشيجك هذا
نغماً سلسلا وضيء الرنين
شوك ورد الحياة قد يجرح القلب
ولكن جراحه تحييني
انا منه له من الورد للورد
كلانا مخلد التكوين
فأنا ابن الحياة في مجدها الما
ضي وفي المقبل العظيم الكمين
امي الارض والسماء سمائي
وخلودي قد صار ملء يميني
في دمي نبتة نماها ابو لو
وغذاها بالنور والتلحين
قبساً من ضيائه وهو رمز
لخلود الحياة رب الفنون
وسآوي اليه فهو الهي
وحبيبي وملهمي ومعيني

الشعر

يا ابولو ايا الهي ابو لو
انت الهمت شاعراً ما يقول
انت فجّرت من دماه ينابيـ
ـع خلود وهو الطريد القتيل

*

انت تيمته بحب الكمال
ثم جرعته كؤوس الخيال
خمرة كاللهيب فهو لهيب
ظامىء عاشق لكل جمال

*

فهو عطر يحنو على كل زهر
وعبير يضوع في كل خدر
وابٌ راحم وام رؤوم
ونشيد يضج في قلب حر

*

وهو صدر يضم كل وليد
وهو لحد يطوي عظام الفقيد
قد طوى دورة الحياة شروقاً
فغروباً لمشرق من جديد

*

يعصر الحادثات في الابيات
كرحيق يصب في كاسات
فاذا الناس بالرحيق سكارى
ابصروا ما مضى وما هو آت

*

هائم قد سما على الازمان
ونبا عن قيود كل مكان
فهو حادي الانسان في كل ارض
تنبت الحر من بني الانسان

*

شبح في الظلام يغشى الديارا
وبيمناه يحمل القيثارا
منشداً للنفوس ما يضمر الليل
ويخفي فيستحيل نهاراً

*

شغفته الاسفار وهو مقيم
وبرته الحياة فهو هضيم
قلبه قد حوى القلوب جميعاً
كل قلب له منى وهموم

*

عابد للوجود في نغماته
ساجد للجمال في صلواته
شعره معبد الطبيعة والحب
بخور الخشوع في نبراته

*

معبد مشرق الجوانب طاهر
ليس فيه شر ولا الخير حاضر
بل تسابيح راهب يعبد الحسن
ويهفو الى الكمال الغامر

*

ايه يا شاعر الجمال المبتّل
في ترانيمك المحاسن اجمل
انا عبد الجمال هذي صلاتي
وهي بعضٌ من مهجتي فتقبّل

الرسم

انت يا شارح الوجود المبهم
فوق لوح مواته يتكلم
انت يامن مزجت باللون قلبا
فاذا هو ظل ونور وانغم
اهو سحر علمته يكسب المو
ت حياة جميلة تتبسّم
ابهذي الفرشاة وهي جماد
تبعث الروح في الجماد الاعجم
ابهذي الالوان يأتلف الشك
ل مع الحس في جمال منغم
ابهذي اليد الهزيلة تبني
مثلا للحياة لا تتحطم
ان روحاً دفاقة ويميناً
طوع هذا الروح الخصيب الملهم
تبدعان الجمال اجمل مما
هو في واقع الحياة المؤلم
وتصوغان صفو ما يطبع الحا
دث في النفس من رضا او تجهم
يا اخي في متاهة البحث قل لي
اي لغز يطوي الوجود المطلسم
كل خط حي يكشف سرا
مشرقاً ينتهي لسر مظلم
ان سحر المجهول يستنهض النف
س لدنيا تشوُّفٍ وتفهم
بهجة للنفوس تستلب الحـ
سّ وتلقي في الروح نارا تضرم
لهفة للسحيق للكامل المجـ
هول للحق للجمال الاعظم

الموسيقى

اي سحر نفثت من اوتارك
اي طير اطلقت من اوكارك

جنحت انفسا فخفقت فطارت
سرب طير يهفو على قيثارك

*

كل قلب فيه معان عميقه
كل نفس بها سماء غزيقه
انت ضيادها فأطلع معانيـ
ـها شموساً على سماء انيقه

*

انت ابدعت في اللغات لسانا
دافقاً كالغدير احلى بيانـــا
لغة وحدت شتات بني الارض
فصاروا جميعهم اخوانـــا

*

فهي لحن على فم الاطيار
وضرام في مهجة الثوار
ودمــوع السلوى لكل شقي
وابتسامات ناعم مهـــذار

*

منطق مفصح بغير لسان
كخرير المياه في الغدران
او انين اليتيم والمرأة الثكلى
انين الرياح في الوديان

*

كائتلاق الندى بعين الورود
او دموع الفراق فوق الخدود
واصطفاق الكؤوس بين حبيب
بين وآهات مستهام عميد

*

كخفوق الشراع فوق البحار
ضاحكا ضحك مهجة البحّار
او زئير العواصف الهوج لا تصغـ
ـي لآهٍ تموت في اعصار

*

لحنك العذب طاف بالارواح
مثل كاس افعمته بالراح
عتقتها الفنون في قلبك الحـ
ـي ففاقت سلافة الاقداح

*

إن توات الآمال كنت النديما
او يحز الأسى محوت الكلوما
ايّ طب اودعت في النغم الفذ
شفاءً بكل جرح عليما

*

انت فجر لكل قلب تعيس
انت صبح على ظلام النفوس
فاسكب اللحن في المشاعر يجلو
كل معنى لكل حس حبيس

الرقص

ياطائرا يهبط من عليائه لنجتلي
يا فتنة مست خدود الارض مس القبل
تأوّدي تدللي تقصّفي تمايلي
في نشوة السنابل او موجة في جدول
حتى اضيع في دياجي شعرك المهدل
حتى اهيم في معاني سحرك المحلل
وانتشي بخمرة من نورك المهلل
فاغتدي كراهب في غمرة التبتل
تأودي تدللي — تقصفي تمايلي
ياطائرا يهبط من عليائه لنجتلي
يا فتنة مست خدود الارض مس القبل

*

يا بهجة النواظر . يا متعة الخواطر
طوفي بهيكل الفنون في الضياء الغامر
فراشة خفاقة تنبي عن السرائر
عن خفة الافراح في قلب سعيد طائر
عن لوعة الاحزان في قلب ذوى في داجر
عن ثورة الاعصار في روح اي ثائر
عن حرقة القلب المولة في غرام ساعر
عن كل مايعرو نفوس الخلق من مشاعر
يابهجة النواظر . يا متعة الخواطر
طوفي بهيكل الفنون في الضياء الغامر
فراشة خفاقة تنبي عن السرائر

*

يا وحدة من النغم. في صورة ،لحم ودم
تمثل النفوس في حال سرور او الم
وترشد القلوب في ليل القلوب المدلهم
الرأس عصفور جناحاه شعور كالظلم
والجيد غصن وردة يحنيه هفهاف النسم
والخصر عامود بخور راعش ومنسجم
والساعدان كالوشاح خافقاً مع النغم
وخفة السيقان ريح او لهيب مضطرم
يروح او يجيء او يعلو ويدنو او يهم
كأنما جسمك قيثار شعور محتدم
وكل جزء انمل مسلسل عذب النغم
يا وحدة من النغم. في صورة،لحم ودم
فمثلي النفوس في حال سرور او الم
وارشدي القلوب في ليل القلوب المدلهم

خاتمة

يا أبولو ايا الهني ابولو
إنه عالم سحير جميل
ظمىء الخلق والعقول صحارى
قاحلات والفن روض ظليل

*

يا ابولو اترعت كأس جناني
بالمثاني ورائعات المعاني
بخلود الحياة بالحب بالاسـ
ـرار بالحق بالرؤى بالاغاني

*

انت هدي لكل فكر مضلّل
انت آفاق عابـد متأمل
انت فردوس هذه الارض دوماً
وانا في حماك إرنان بلبل

*

عندك الحق في الجمال العظيم
عندك الحب للكمال المروم
عندك البحث عن ملاغز هذا الكون
بحث مسلسل التنغيم

*

يا إله الجمال والتطريب
انت عشّ لكل روح غريب
جانبته بعض العقول ولكن
هو نبع الحياة عند القلوب

الاسكندرية **عبد العزيز خاطر**
المحامي

البحتري والدراسات الإستشراقية

بقلم الدكتور صالح الأشتر

يلتقي النقد العربي ، قديمه وحديثه ، في الثناء على عبقرية البحتري ، ويفرد له مكانة رفيعة بين فحول الشعراء الذين عرفهم الأدب العربي . ذلك أن النقاد العرب مجمعون على الاعجاب بديباجة البحتري وسبكه وروعة وصفه وتصويره وصفاء موسيقاه وسحرها ، واحكامهم التي ينتهون إليها كلها تمجيد للشاعر العباسي الكبير وتقدير للخصائص الأصلية في فنه الشعري ، غير أننا نريد الآن ان نتبين موقف النقد الغربي من البحتري ، والمكانة التي يحتلها الشاعر العظيم فيما كتب عنه المستشرقون الأوروبيون .

لم يستطع البحتري ان يفوز من المستشرقين بدراسة منهجية جدية كالتي كتبها المستشرق الايطالي جابر يللي Gabrieli او المستشرق الفرنسي بلاشير Blachère عن المتنبي مثلاً ، وكل ما للبحتري في الدراسات الاستشراقية من نصيب ، هو تلك الفصول القصيرة او الاشارات العابرة التي يُضطر الى كتابتها كلّ من يتصدى من المستشرقين لوضع تاريخ عام للأدب العربي . فليس غريباً إذاً ان نجد اكثر تلك الفصول هزيلة المادة ، يبدو عليها روح الارتجال والسطحية . والحق ان ليس فيما كتب هامر Hammer-Purgstall وهوار Huart وبروكلمان Brockelman وغيرهم عن البحتري غير فقرات عن حياته منقولة بأمانة تامة عن ابن خلكان ، وغير احكام مستعارة من النقد العربي القديم . ويكاد يكون بحث دائرة المعارف الاسلامية عن البحتري الذي كتبه المستشرق الانجليزي مارجوليوث Margoliouth أهمّ ما تحويه دراسات المستشرقين في الموضوع .

امّا الخصائص التي يعدّها النقد الغربي للبحتري فيمكن تكثيفها في نقطتين ، اولاهما تأليفه لكتاب «الحماسة» الذي نهج فيه نهج استاذه ابي تمام ، فقد استهوت الحماسة البحترية المستشرقين واثارت اهتمامهم كما اثارته «حماسة» ابي تمام ، حتى إن نيكلسون Nicholson المستشرق الانجليزي يرى ان شهرة البحتري واستاذه مردُّها إلى حماستيهما ؛ ولم يرد ذكر البحتري عند المستشرق جيب Gibb في كتيّبه القيّم عن الأدب العربي الذي اسماه « مقدّمة » إلاّ ليشير إلى مقطوعات الشعر الجاهلي التي يحتويها كتاب « الحماسة » .

واما ثانية النقطتين التي وقف النقد الغربي عندها طويلاً فهي المادة التاريخية الدسمة التي يقدمها ديوان البحتري ، إذ اتيح للشاعر خلال عمره المديد الذي ناهز الثمانين واتصاله بأكثر رجالات القرن الثالث الهجري وتنقّله الدائم في اقطار الشرق الاسلامي ، ان يصف في شعره اهمّ الحوادث التي شهدها بنفسه ، وبهذا يؤلف ديوان البحتري – كما يقول مارجوليوث – تكملة هامة لمؤرخي عصره .

نستطيع ان نقول إذاً إن البحتري اثار اهتمام المستشرقين كمؤلف وكمؤرخ ، ولم يفز باهتمامهم كشاعر كبير ، حتى إن جابريللي ليعد البحتري وابا تمام نظّامين ماهرين ينظمان على طريقة المدرسة القديمة ، وقد اهمل المستشرق فون كريمر Von Kremer ذكرهما في دراسته المطوّلة لكبار شعراء العرب ، ولم يُشر إليهما إلاّ في هامش إحدى صفحات كتابه الضخم ليتّهمهما معاً بإفساد الشعر العربي .

الاختلاف إذاً بين النقدين العربي والغربي شديدٌ جداً في الحكم على البحتري وفنّه وتمييز الخصائص التي يمتاز بها . وعلّة ذلك في رأينا ان المستشرقين لم يدرسوا البحتري دراسةً علمية صحيحة ، فهم لم يُعنوا به عنايتهم بالكثيرين من الشعراء من طبقته كابن الرومي والمتنبي وابي فراس وابي العلاء ، وظلّ خير ما كُتب عن البحتري ممّا له بعض القيمة – كما يذكر جابريللي – مديناً لدراسات المشارقة العرب وحدهم .

يخيّل لنا ان هنالك عوامل كثيرة ساهمت كلها في حرمان البحتري من ان يكون له نصيب جيد في الدراسات الاستشراقية : اولها ان ديوان البحتري الذي طبع ثلاث مرات حتى اليوم لا يمكن ان يكون اساساً لدراسة منهجية عن حياة الشاعر وفنّه ، فالطبعات الثلاث مشحونة بالأغلاط التي يقف الباحث امامها حيران لا يدري ما يريد الشاعر ، وبخاصة عندما تكثر الاشارات إلى حوادث لم يُعن مؤرخو القرن الثالث بإثباتها ؛ واخطر من

هذا كله ان الطبعات الثلاث لا تحوي مجموع انتاج البحتري الذي وصل إلينا، فعدد كبير من قصائده لا يزال طيّ المخطوطات ؛ ودراسة منهجية صحيحة لا يمكن ان تقوم إلاّ على اساس الانتاج الكامل للأديب الذي نريد دراسته .

وعامل ثانٍ وهو ان المستشرقين لم يجدوا عند البحتري شيئاً جديداً يُغريهم بالتعمق في دراسته ، فالأدب العربي عندهم لم يفز من البحتري بإنتاج يساهم في تطور الحركة الأدبية ودفعها في طريق الحياة ، فقد وقف الشاعر إلى جانب استاذه ابي تمام يصدّ تيار المجدّدين في عنف ويثبت قواعد «النيوكلاسيكية» ، وبذلك تمّ القضاء على المحاولة الجريئة التي ظهرت في أواخر العهد الأموي وأوائل العباسيين ، وضاعت جهود كثيرين من الشعراء من أمثال بشار وأبي نواس وأبي العتاهية ، ورسخت من جديد القواعد الشعرية القديمة .

وعامل ثالث له أكبر الأثر في انصراف المستشرقين عن البحتري وهو أن أظهر ميزات فنّه هذه الموسيقى الساحرة التي تسري في عروق ألفاظه . ولصياغة البحتري رنين هامس حلو يسحر الأذن العربية ويستهويها ، ويدفع النقاد العرب إلى أن يقفوا عند « ديباجة البحتري » معجبين ، يلتمسون فيها « سلاسل الذهب » كما يحلو للنقد العربي القديم أن يسمي شعر البحتري . هذه الميزة الكبرى يقف أمامها المستشرقون عاجزين عن فهمها وتذوقها ، والأذن الغربية – كما يعترف بحقّ استاذنا المستشرق بلاشير – غيرُ قادرة على أن تستجيب لايقاع اللفظة العربية التي يختارها الشاعر .

لهذا كله أهملت الدراسات الاستشراقية العناية بالشاعر العبقري وقست في أحكامها عليه ، وظل الشاعر المظلوم في دنيا الاستشراق بحاجة ماسة إلى إزاحة التجنّي عنه ، بحاجة إلى أن يحظى ديوانه بطبعة نقدية علمية تحوي كلّ ما وصل إلينا من انتاجه الشعري ، منقحاً مصححاً ، مقدماً إلى الناس في ثوب لائق بالشاعر الكبير الذي تغنّت الأجيال العربية بشعره في أزهى عصور الحضارة الاسلامية ، بحاجة إلى أن يغزو باحث عربي أوساط المستشرقين بدراسة منهجية لحياته وفنّه ، تعتمد أساليبهم العلمية في البحث ، ولاتهمل تذوق الصياغة البحترية ، لتُريهم أن الشاعر العباسي الكبير يجب أن يحتل بحقٍ مكانة في الأدب العربي ، في الصف الاول ، إلى جانب كبار أعلامه وصفوتهم .

صالح الاشتر

نصيب

قصة

بقلم الآنسة سميرة عزام

خذها ، فسلطتي تنتهي هنا !.

ان اباها لم يقل شيئاً من هذا حين اسلمها الى عريسها على باب الكنيسة، ولكنها احست بالعبارة وهي تأخذ اليد التي امتدت اليها وتسير تشق طريقها بين الحاضرين الذين نثروا سلال الزنبق الابيض عند اقدامهم .

لم ترفع عيناً ولكنها احست بكثافة الجو حولها ، احست بكتلة بشرية جاءت تتفرج عليها وتتفرج على بعضها، وتتزود بمادة لحديث لا ينتهي قبل ايام.

اذن فالامر حقيقة ، وها هي ذي تحضر على قدميها لتشهد الله، لتشهد الناس ، لتشهد الرجل الواقف الى يسارها بانها ستكون زوجة وفية ، كما كانت سارة لابراهيم !!

أكانت تريد ذلك حقاً ؟

يا لحيرتها هنا بين « نعم » و « لا »، ويالضآلتها أمام قوة غريبة اصطلحت امها وصويحبات امها من النسوة على تسميتها بالنصيب . وكانت قبلاً ترفض – وهي بنت المدارس – ان تعترف بكلمة رجعية في قاموسها ، كلمة ملأت راس امها وجدتها من قبل ، اما هي فليست من مدرسة « النصيب » هذه ، فالنصيب مخدر مسلوبي الارادة وما هي ، ما هي منهم.

ولكن اكان بامكانها حقاً ان تتمرد على النصيب الذي اوقعها بلا مقاومة مذكورة وبلا ادنى اثبات وجود او اختيار ؟ واعجب من هذا أو بعض هذا انها ما قالت « لا » .

ترى لم لم تقل « لا » ؟؟

ان « النعم » في مفهومها النفسي ارادة ايجابية فيها روح القبول ، فيها طعم الرضى ، فيها رائحة الشوق ، ولكن لم يكن (لنعمها) شيء من ايجابية هذه الاحاسيس .

كانت نعماً ... وحسب .

والحكاية ليست قديمة .

قبل اربعة شهور او نحوها ، جاءت ام هذا الرجل – او قل جاء النصيب – يطرق بابها .

ولم تكن على معرفة سابقة بالمرأة ، ومع ذلك فقد فهمت بغريزتها معنى زيارة إمرأة غريبة لبيت فيه فتاة صبية، ولم تكن امها اقل منها فهماً، فنادتها لترجوها ان تضع على جسمها ثوبها الرمادي الجديد .

وشعرت بأنها تزدري امها اذ تقول هذا ، وتزدري اكثر هذه المرأة التي تريد أن تستشف بنظراتها لون لحمها من تحت الثوب الكتاني البسيط الذي ترتديه .

وفى الليلة نفسها عادت المرأة ومعها ابنها ... وتمردت هي وابت ان تخرج لتستقبلها إلا بعد الحاف من والديها . وجلست واجمة ، وكانت ثقيلة حين كانت تضطر الى الرد على اسئلة الرجل الذي حاول ان يلاطفها بها، وايقنت بأنها لن تعجبه اذ بدت امامه ضئيلة نوعاً ما ، وغاظها هذا اكثر فأكثر، فقد كانت تحب الناس الذين تتمكن من ان تطلق معهم شخصيتها على امتدادها ، ولم تشعر مع هذا انها تستطيع ان تكون هكذا ، ولو انه كان يحادثها كمن يحادث صغيرة .

ولما قاما اندفعت الى غرفتها لئلا تسمع صوت امها ينالها بعتاب شديد .

وبعد ايام عادت نفس المرأة اليهم .

وغاظتها من جديد زيارة المرأة ، فقد كانت اولا غير مستعجلة الزواج، وكانت ثانياً تفكر بأنها عصرية لا يمكن ان تتزوج على طريقة امها وعماتها ، وكانت ايضاً لا تستريح الى هذا اللون من الناس الذين يتكلفون الشخصية والذين تنكمش امامهم فتتلاشى ذاتيتها او لا تعود هي تهتم باثباتها.

ولم تدخل لتسلم ولكنها سمعت من خلال الباب الموارب صوت المرأة يسأل امها عنها .

وعاودها الشعور بالتوتر، فهرولت الى اقرب صديقة، ولما عادت وجدت امها في انتظارها على الباب فاتحة فمها وذراعيها ونفسها (عريس يا إبنتي عريس ، ونعم « النصيب » تحسدك عليه الفتيات)

من قال لامها انها تريد عريساً تحسدها عليه الفتيات ؟؟ من قال لامها انها تقبل ان تخطب هكذا ؟ من قال .. ؟

– اترفضين ..

– نعم ....

قالتها وتركت امها في ثورة تصطخب .

وفي المساء زارهم الرجل .

لم أسمته الرجل ؟ الانه كان يستحق الكلمة؟ قد يكون. فقد كان رجلاً في سنه ، رجلاً في حركاته، رجلاً في تفكيره ، وكان معتزاً بهذا كله اكثر مما تحب .

وخطبها ..

وعاشت في الدوامة شهراً اصرت في نصفه الاول على (اللا). الا انها في نصفه الثاني بدأت تفكر . لم يحاول أبوها ان يغريها ،كل ما فعله هو انه بسط حسناته وزكاه ليكون زوجها.

وحاولت امها ان تمثل دوراً حيادياً فخذلتها طبيعتها . كانت امرأة فظلت توسوس لها كلما وجدت فرصة الى ذلك.

وهي ؟

وسط الحاح امها ، واهلها جميعاً وجاراتها وجدت نفسها تتنازل عن اصرارها وتفكر تفكيراً فيه بعض جدة .

لتأخذ هذا الانسان جملة وتفصيلا ، انه مقبول الشكل ، هذا واضح ، وناجح في عمله، يشهد بهذا متجره في السوق ، ومظهره ، وكل من تطوع للتحدث عنه . قوي الشخصية ، اجل، والا لما كان رجل اعمال ناجحاً . مثقف الى حد ما ، او ثقفته الحياة اكثر مما فعلت فيه المدارس. وثقافة الحياة اعمق في واقع الحياة ، كما يشهد الناجحون في الدنيا . فما اشياء لم تحبها ، غرور ليس الى حد الفساد ، حب المظاهر لم يكن في طبيعتها . مثلاً لقد استسخفت ان تكون ساعته ذات سوار ذهبي، وكرهت(جداً) ان يضع دبوساً في ربطة عنقه ، ولا تدري غير هذا من امره شيئاً .

قال لها انه يقرأ ، وانـه يحب الموسيقى ، ولكنها لم تكن ميالة الى تصديقه ، بدليل انها عندما سألته عن فنانه المفضل تردد قليلا قبل ان تسعفه الخاطرة بجواب .

لا يمنع ان تكون لديه مجموعة، ولكن هل كل الذين يملكون مجموعات من الكتب او الموسيقى يقرأون ويسمعون ؟؟ ولا تدري لم كانت كلما فكرت فيه اتجه تفكيرها مباشرة الى ابن عمتها . كان في سنها او اصغر قليلا ، ولم تكن تطمع في ان تتزوجه ، فما زالت له على مقاعد الدرس سنوات ، وما زال مستقبله شيئا مغمغما مجهولا .

ولكنها كانت ابدا تعجب ببساطة شخصيته ووضوحها ، بهواياته الطفلة ، فلو عثر على اسطوانة جديدة مثلا حملها وجاء ركضاً الى بيتها واتجه رأساً الى الحاكي وادارها وراح يرقص وهو يضج حياة .

اما هذا الآخر فلا يمكن قط ان يكون بسيطا طبيعياً ، فهو يمثل شخصية رجل الاعمال تمثيلاً لا يخلو من تكلف . وقد يضحك حتما لو ارته محاولاتها في الرسم بالالوان المائية او هو يلبس دور « الفاهم » فيحاول ان ينتقد لوحاتها وهو ينفث دخان لفيفته .

الا ان هذه كانت مجرد صغائر يمكن ان تحمله على ان تتخلى عنها او يمكن ان تألفها فيه لو عرفته احسن .

ثم ماذا وراء رفضها لو رفضت ؟؟

هل تملك ان تختار ؟

ليس في قلبها حب معين لانسان ، ولو كان — وكم ودت ان يكون — لسهل عليها ان تعين اتجاه حياتها ، الا ان هذه الثروة لم تكن لقلبها ، وما كانت حياتها خلواً مـن الاثارات ، كان فيها بعض ما يسعد الفتيات او ينيرهن ، عبارات اطراء من شباب او اعجاب صغير ، او ود مع واحد كما هي مع ابن عمتها ، ولكن هؤلاء جميعاً لا يمكن ان يصلحوا ازواجا وما يدريها انهم يريدون .

ومع هـذا ففرص الحب لا تزال في متناولها ، لو عرفت كيف تغير قليلا من نمط حياتها .

ولكن اكان خلق الفرصة بحد ذاته ممكناً بالنسبة لها ؟

لا تعتقد ، فصلاتها بالناس محدودة وشكلية . ابوها رجل يفهم الحياة فهما عتيقا ، ولا يؤمن بانها يمكن ان تكون أحسن لبنته مما يعطيها ، حسبها ان تأكل وتلبس وتزور وتستقبل اقرباء الاسرة واصدقاءها القدامى ، او تموت ضجرا — ان شاءت ان تموت — هي جالسة ترقبه وهو يلعب الطاولة مع كهل من اصدقائه .

واما كانت تحمل نفس التفكير ، ونفس المقاييس ، وكل همها ، وقد زحفت الى عقدها الخامس ، هو ان تختار بنفسها زوجا لبنتها تطمئن عليها في صحبته ، وقصدها اولا ان يكون ميسورا ، فالمال يعني لديها فرشا وثيرا ومظهرا اجتماعيا لا بد منه .

اما هي فتحب ان يكون زوجها انساناً مختلفاً بعض الشيء : تريـده اكبر منها قليلا ، يحفظ الكثير من القصائد العاطفية ، ويحب لوحاتها ، ويقبل ان يضع (فوطة) على خاصرته ويشاركها صنع كعكة البرتقال او عجة البطاطس ، ويقبلها مرة كل عشر دقائق . هكذا كانت تتمثل (رجلها) ولم تعثر بعد على الانسان الذي يمكن ان يكون كل هذا الا ابن عمتها .

لو كان لها اخ كبير لتيسرت لها فرص التعارف ، ولكن اخاها كان اصغر منها بكثير .

اذن هي في واقع حالها لا يمكن ان تختار ، لا يمكن ان تمارس ارادتها ، ككل شرقية ، فهي مشلولة الوجود .

وظلت في الدوامة .

ماذا تقول ؟ هل ترفض ؟

الا يعتبر رفضها تسرعا ؟ ان في الرجل حسنات ، ثم هي لا تستطيع ان تقطع بان ثمة هوة نفسية بينهما لسبب بسيط هو انها لم تعاشره .

الا يمكن ان يتجرد من هذه المظهريات عندما يصبحان احسن تآلفاً ؟

الا يمكن ان تجعل منه انسانا بسيطا مثلها ؟

لم اختارها هي بالذات ؟

طالما راودها السؤال والحعليها ، وودت من اعماقها لو تسمع جوابه ، فلم تسعفها الفرصة . ولما قالت لأبيها : هل سألته ، نظر اليها مستغرباً وقال : سخافة كيف اسأله سؤالا كهذا ؟ اعجب بك فخطبك . . فماذا تريدين اكثر ؟ يا ابنتي لا تكوني خيالية كاشخاص الكتب !

اجل لم اختارها ؟

حلوة ؟ ان رصيدها عادي ، توسط في الشكل والمظهر وليس هنالك ما يبهر . وغيرها من هن احلى . .

وعندما سألته هذا السؤال بعد ان خطبت اليه . . ابتسم ابتسامة خاصة وقال : « تريدين الحق ؟ لقد تعبت من النساء . . وقلت ساختار زوجتي بطريقة تقليدية . . انني أخشى البضاعة المعروضة . »

اناني ، اناني . . يريد ان يربط بدايتها ببداية نهايته . فالبدايتان في نظره واحدة .

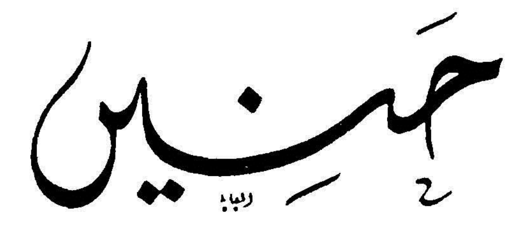
تعب من النساء ، ولكنها هي لم تتعب من شيء بعد ، فما ذنبها ؟ لقد قبلته بعد ان اتعبها التردد ، وافلحت امها في ان تجعلها تشعر بانها ستندم لو رفضته ، وتركها ابوها تفكر لنفسها ، ولم تجد هي من داخلها عاملا يمكن ان تكون له كلمة الفصل في تجربة كهذه .

اجل قبلته عصفوراً في اليد ، اما العشرة على الشجرة فحساب كتجارة جحا . هكذا قالت امها وكثيرات من صويحباتها ممن لا يزلن بلا ازواج ، وهكذا اعتقدت ، او توهمت انها اعتقدت ، حين قالت « نعم اقبل » وخطبت اليه اربعة شهور حاولت خلالها على ضوء « النعم » ان تحبه ، ان تفهمه ، ان تقربه منها ، من عقليتها . الا انها لا تستطيع ان تزعم انها نجحت ، وظل في نظرها الرجل الذي بعث بامه لتنتقي له امرأة ، وكان من الجائز الا تكونها لو كانت ساعة جاءت امه غائبة عن البيت او لو حلا لامه ان تمر اولاً ببيت الجيران !

وظل الرجل الذي يقيّم الحياة بعقلية مختلفة ونفسية تسخر من احلامها .

ابتاعت مرة ادوات مطبخ لبيتها ، وارته اياها وهي تقول بمزاح « هذا هو عالمي في بيتك » ، فقال : « او تظنين زوجك موظفا في الدرجة التاسعة حتى يدعك تعيشين بين القدور ؟ لا يا صغيرتي انا لا احب ان تكون لزوجتي رائحة ايدي الخادمات ! » و سألته مرة : ألا تساعدني في تجفيف الصحون بعد ان اغسلها ؟ فقال وهو يضحك : هذا اذا تركتك تغسلين الصحون ! وضايقها بكثرة هداياه من العطور والحرير فقالت : الا يمكن ان تحبني الا اذا اغرقتني بكل هذا ؟ فاجاب : تريدين ان استظهر لك دواوين الحب ؟؟

هذه الثانويات الى جانب حركات تبدر منه كانت تتجمع فتغور شقة تشعر بها تقف بينهما . لا يمكن ان تكون لهذه الحركات قيمة تسجل معها انهـا كانت تزعجها ثم تعود تطمئن نفسها وتضحك من صغائر لا يمكن ان تحول دون زواج سعيد .



[الى الراحلة نحو الارض الطيبة]

قبّلي عني التراب
مرّغي وجهك بالأعشاب خلف المنحنى
واذكريني واذكري أني
اتلظّى بالحنين .. اتغذّى بالمنى
واحضني عند الغروب
نجمة ذاوية مثلي أنا
واغمري الأشجار في الحقل الحبيب
أنشدي اغنيتي خلف الهضاب
« كلما الغصن انحنى
ليواسي أرضنا
شبح مرّ بنا
ظلّه ابدع من احلامنا
يحمل الهمس على كفّيه ، واغمار السنى
كم شدا من حبّنا
اروع الالحان في سمع الدنا ...
شاعر .. كان هنا
هل تُرى يذكرنا .. !؟ »
والمسي الاحجار في بيت الصبا والذكريات
واهمسي
« كان الممات
اهون الأمرين .. يا معنى الحياة .. » !!
وانين الاغتراب
وتراتيل الشباب
تبعث الاحلام في قلبي المذاب
فارقبي .. من سطحنا
واحبسي دمعك فالليل الطويل
يحمل الفجر لنا .

سمير صنبر

وها هي ذي !

ترى لماذا تثور هذه الافكار وتدور في رأسها الان ؟ ساعة عرسها ؟ لماذا لا تتركها تزف الى هذا الرجل بسلام ؟

لم تك ابدا متوجسة او خائفة ، بل كانت شديدة الايمان بواقعية الحياة حين قالت « نعم اقبل هذا الرجل ». ولقد سألت نفسها : الا يكون نجاح عملية التكيف — من كلينا — انتصاراً لعقلية الفتاة العصرية ؟

ومن قال الساعة انها فشلت ؟

اذا كانت قد خسرت الشوط الاول .. فامامها الثاني ، والثالث . امامها العمر .

ولكن ما يدريها بانها ستفلح ، الا يمكن ان تنعكس الاية ، ان يلقنها هو مفهومه ؟

هوذا يبتسم ولا يخجل من الناس الذين دعاهم ليتفرجوا عليه ، وابوها أيضاً يبتسم ، حتى دموع امها تبتسم وكل الناس فرحون ، فرحون من اجلها !!

وشعرت بالتوتر والغيظ يلعبان باعصابها ، وتعبت من الوقفة ، وودت لو ينتهي الكهان الاربعة الذين يطبخون عرسها ويتسابق كل منهم في رفع عقيرته ، بسرعة من هذه العملية . ماذا لو غاظتهم وقالت كلمة تفسد عليهم هذا الحماس ؟

— تريدين فلاناً زوجاً لك ؟

— لا . لا اريد .

أية نهاية درامية تضعها لهذه القصة بكلمة واحدة من شفتيها !

لا . لا اريد .

وتنتصر ، وينتصر تفكيرها القديم ، وتعيش فترة اخرى مخدرة باحلام الترقب ، وتغيظ هذا الذي بعث بأمه لتنتقي له زوجة ، وتتفرج على الدهشة البلهاء في وجوه الحاضرين .

(لا . لا اريد)!

حماقة ، حماقة ومن اضطرها الى الامر اضطرارا حتى تحمق الى درجة ان تقول « لا اريد » في حفلة العرس ؟

هل فرض عليها الامر بالقوة ؟

لا .. ومع ذلك الا تعبر « لا اريد » عما كان يعتلج في نفسها قبل ان تصبح بليدة تؤثر النهايات اللينة المضمونة ؟

لو يغيب عقلها لحظة ، وتقولها ، ينتهي كل شيء !

لا اريد . لا اريد .

وفي غمرة اضطرابها وتعبها وتوترها راحت ترددها ، تقولها ، تصيح بها . ولكن الصيحة ماتت ، لم يسمعها احد لا الكهان ولا الناس ، حتى ولا هذا الرجل الى جانبها . لقد ضاعت في ضجة صوت لف الكنيسة ، صوت هؤلاء جميعاً يختمون زواجها بانشودة العرس (بالحب ، والكرامة كلاهما) !

سميرة عزام

رمادية الرواية الحديثة

بقلم محيي الدين محمد

ما الذي يميز الرواية الحديثة عن آثار كتّاب كبالزاك و فلوبير وديكنز .؟

كان جهد الخالق قديماً أن يصفّ بعض الحوادث المركبة بنزق واضح .. على أن تكون عقدة قصصية .. ينتهي عمل البطل بها عندما تُحلّ هذه العقدة في نهاية الكتاب بارتجال سخيف ، بعد مرورها بمفاجآت ومغامرات وتحبيكات عدة ، لا تخرج ابداً عن المضمون الذي دُفع . فان جميع أحداث الرواية القديمة كانت تقدم على واقع نمد أبداً ، ولا يعرف الا المشكلة التي جُعل من أجلها .. اية (كقصة مدينتين) لها أبطال معدودون ، فعندما يختفي حدث ما يبدأ حدث آخر لبطل ثان .. على ان جميع هذه الاحداث مرتبطة بالجوهر الاساسي الذي بنى عليه المؤلف قصته .. فلا تخرج عنه او تحيد .. ولكن هـذا لا يمثل حياتنا التي تمتلىء بأشياء خوارج .. ففي طريقنا لعمل شيء مثلاً نمرّ مسجلين أحداثاً ، مدهشة .. تمثل واقعاً متضخماً حقيقياً محايداً .. ترام مكتظ بالبشر .. طفل يسأل عن الوقت .. شيخ يسأل عن الطريق ..

ما من شك أن هذه الاشتات التي نجمعها من هنا وهناك تستطيل في شعورنا ممثلة طبيعة حياتنا بواقعها الصحيح . اما في اعمال الكلاسيكيين الخالدة ، فاننا لا نستطيع تتبع هذه الرمادية المحايدة التي تكوّن الـ Background للرواية المحكية .

في جين آير Jane Eyre « لشارلوت برونتي » لا يمكننا تمثل هذه الوقائع المفزعة جيداً .. إلا كما تتمثل لنا من خلل الضباب أبراج كنيسة .. إننا نفتقد الصدق الذي توضحه لنا الاشياء العادية :

« نعم(١) ؛ وأولئك المغاربة ذوو الوجوه الوسيمة .. كلهم مغمومون كأنهم الملوك . يسألونك أن تشرفهم بالدخول من حوانيتهم الصغيرة .. وروندا والنوافذ القديمة تطل خلسة . وأخفت خشب النافذة حتى يقبل عاشقها الاسياخ الحديدية ...

هذا الصدق هو الذي يرتفع بالاثر الفني .. وليس جمالية خاصة . الصدق الذي نحسه في دقائقنا المعاشة .

في «نوتردام دو باري» « لهوجو » تتهيأ جميع احداث القصة لكي تأخذ السمت الواضح الذي حدده الخالق ،وليست هناك شخصية واحدة تستطيع دفع نفسها مفلتة من عالم القاص .. ،

ومن خلال أعمال لا تُصدق لغرابتها – كما في « الكوليرا نابولي » من كتاب (احدوثة سان ميكيل) لأكسيل فوتيه نستطيع شمّ العفونة الفظيعة الحقيقية في دروب المدينة الميتة .. بل يمكننا – بقدرة ضئيلة على التصور – مراقبة الفيران الشنيعة الدائرة تصبّ الملاك .. هنا .. وهناك ..

« ثم اندفعت تعيث في المدينة فساداً وإزعاجاً بأنيابها السوداء الطويلة وعيونها الوحشية التي في لون الدم ، وذيولها الحمراء الرفيعة المجردة من الشعر .. !! »

ليست الحياة دراما كلها ليظل شخوصها حزانى حتى نهاية الكتاب فأين تذهب هذه اللحظات العبقرية التي تلهمنا السرور والانبساط ؟!

وحتى هذه الكوميديات المغرية في اصطناع الضحك (كبيكويك والدون كيشوت) ... انجد مثل هؤلاء الناس الآن .؟ أنستطيع دوماً ان نعيش حياتنا في انبساطية تامة .؟ أفنقدر (كهاملت) أن نحيا في مأساته المترددة حتى ختام أعمارنا؟

ان حياتنا ليست كوميديا أو مأساة .. فنحن جميعاً تتوزعنا لحظات همّ وفرح ولحظات أُخرى رمادية لا صبغة لها فهل فاتت هذه الملاحظة أذهاناً وثابة نقادة كأذهان أولئك المردة العظام .؟

في قصة (شتاينبيك)« فيران ورجال » نجد أن الرمادية تسود الكتاب كله كمحاولة لتقرير الواقع الحادث .. فما هو الجديد الذي استحدثه (هوايتي) في القصة : « لقد اعتاد ان يغسل يديه .. حتى بعد الطعام .. » ولا تقرر هذه الحقيقة التي تبدهنا بيقينها البسيط – شيئاً ما جديداً .. وحتى عندما تُقيد ضربات قدم (سميتي) القـوية لتتساوى مع ظهر (كروكس) المحطم .. فاننا لا نخرج منها بما يساعد (ليني وجورج) على ابتعاث مزرعتها الخيالية بأرانبها الملونة وخنازيرها وخضرتها الدائمة .. وهي هدف الرواية ...

بل ان غرابة حادثة يدبن صاحب الارض التي يضعها في قفاز مليء بالفازلين – والتي تثير فينا استنكاراً مدهشاً – لا دخل لها في القصة كلها ... أفنعتبر هذه الحوادث حشواً أو أنها محاولة لنقل الواقع الملموس .؟ اننا لا نستطيع تصور بطل

(١) جيمس جويس (لويس عوض)

قصة ما يعيش قصته كلها من أجل العقدة التي خلق ليفضها .. أفنحيا نحن حياتنا كلها للبحث عن زوجة مثلاً .؟ افتكون كل تصرفاتنا وكل آمالنا وكل مشاكلنا ملتصقة تماماً بهذه الرغبة؟

في « يوليس » لجيمس جويس نجد ان الديدبان الواقف أمام دار الحاكم والذي شوته الشمس ، والمزاد الذي يشهده اليونانيون واليهود والعرب – نجد هذه الملاحظات الغريبة التي تحكي أسلوب (ماريون بلوم) لا تدخل في الواقع الذي تتجه اليه القصة . انما هي محاولة صادقة للتعبير الصحيح عن الحيدة الخارجية التي تبدهنا – بصفة مستمرة – والتي تمثل واقعنا كما نشهده وتجسمه لنا الرؤية ..

تماماً كبطل (لص امين) لدوستويفسكي : « لقد رأيت اليوم عجباً يا اسقافي ايفانوفيتش .. لقد قبضوا اليوم عليّ ... » ويسترسل المسكين يقص الاعاجيب التي أسرته ، وهي لا تمس المضمون الذي يؤلف القصة ، ولكنها تسهم مساهمة أكيدة في جعلنا نلمس حياة اللحم والدم التي يصورها. فكم من مرة يدخل حياتنا ثم يخرج منها بسرعة مدهشة رجال ونساء يمرون كالريح : شحاذون ، صغار يمرحون .. عربة تدوس قطة في الطريق ..

من المريح حقاً التفكير بأن حياتنا تسودها هذه الاشياء .. فبالرغم من انها لا تصور شيئاً فانها تضيف إلى حياتنا المنظمة تشويشاً وأثراً بيناً بالخلط .. فماهي الدفعة التي تدفعك بها سمكة ميتة رأيتها في سبيلك لعمل شيء ؟ ما هو الجديد الذي يضاف إلى شعورك او عقلك من ناحية المشكلة التي تتوزعك.. ما من شك أنها الحياة العادية التي لا لون لها.. لا (سواد) بودلير .. ولا (بياض) بروست .. حتى ولا الفراغ الفردي الذي مثّله (دوهاميل) في سلافان .. فجعله يضج بنعقات داخلية بكماء كما زعق (لورانس) من قبله .. إنها لا يتمثلان الطين اللزج الذي نغوص فيه . إنهما يحلقان كالصقور الصلع فوق اودية صامتة تبرز فيها ، بجلاء ، عظام طباشيرية ناصعة .. إنهما لا يمثلان لاحكام واقعنا الذي يتبين الصدق للوهلة الاولى .. فيدمغه بالخلود .. ؛ بل طوّفا بعيداً عبر أحلام تمثل عالميها الناكصين !!

فلأي شيء إذن يصر (كافكا) على رواية صور باهتة لأطفال يلعبون في صمت امام دار المحكمة . ؟ وفي قصة (ساعي الدار) عن امرأته التي تخونه وهو لا يستطيع ان يضع حداً لهذا الرهق !! أفيصور هذان الحادثان التافهان بالنسبة له رابطة ما بينه وبين شك البطل ووعيه بعبثه .؟!

ان الـ Background التي يضيفها الروائيون الكلاسيكيون مرتبطة أتم الارتباط بمضمون القصة .. لا تخرج عنها بحال تمسها دوماً بعكس الحادث باستمرار في الحياة العادية . ان مشاهد الطريق وحوادثه لا تمس المشكلة أبداً ، انها تكوّن ملحقاً للصورة ، ولكنها لا تندغم فيه . انها تساعد في اظهار صلتنا الوثيقة بالحياة ، ولكنها لا تؤثر في ماجريات الحوادث . اما مشكلة الطريق في (برناي رج) مثلا فهي تمس مضمون الرواية جداً ، بل لاتنفصل عنه . انها تمثل فقرة متداخلة في القضية ، بعكس الحادث باستمرار في الحياة الرمادية العادية..

فما الذي افاده (لي تشونغ) من ضفادع (جونس) وقططه .. التي يجمعها للمعهد البيولوجي . ؟

كان باستطاعة (دافنشي) ترك الـ Background خلف « الجيوكوندا » عارياً ابيض كي تزداد البسمة جلاء ، ولكنه رسم نبعاً وصخوراً لتتضح الصنعة الانسانية في ذلك الملاك..

إن (دافنشي) صادق دائماً بخلاف (رفائيل) الربّاني ..أرضيّ يحتك بمشكلات الارض ويسهم بابتكار آلات تعين البشر ، ممثلا الدفقة الوضاءة للمجهود الفني الصادق الذي يدرك العمق خلال الاحداث العادية .

أنستطيع ان نقرر على ضوء هذه البديهية ان (قصة مدينتين) أثر ساقط .. او غير واقعي ؟؟..

نادراً ما نجد لشخصيات حية .. ما حدث من الترابط والتقارب الذي نجده في هذه الرواية .. « فالمس بروس » يظهر لها أخ كان قد افترق عنهم طفلا .. و (تشارلس دارني) يشبه (سيدني كارتون) شبها عجيباً .. لاهواء الخالق والتستقيم القصة .. فلو لم يتشابها لانتهت الرواية بروح مأساة .. اما لو حدث ونطق (لي تشونغ) حرف الراء .. او لو كان وجهه مستطيلا بدل ان يكون مدوّراً – بعكس الصينيين – في قصة شارع السردين المعلّب (Cannery Row) لشتاينبك .. لما وقع شيء عنيف كالذي يحدث لقصة قديمة.

فمعظم اعمال الروائيين الكلاسيكيين مترابط بغثاثة سمجة .. تصوره مثلا على اية مصادفة قامت قصة (مرتفعات ويذرنغ) !! فلو لم يأت الاب (بها تكليف) ، ذلك المتشرد الذي هو بطل القصة ، لما خُلقت الاحداث التي بنت كل هذه الرواية .

ولا تستقيم مثل هذه الروايات إلا على هذه المصادفات

المحيّرة – التي يُصرّ على ذكرها روائيون خلف أذهانهم من المنطق الناقد – تأمل كيف بُنيت الوقائع الشاذة لقصة (اوليفر تويست) ذلك المتشرد الذي تتصارع كل الاحداث كي تعيده لعائلته ..

هراء لا نستطيع تلمسه في حياتنا الترابية .. لانعدام طابع الصدق المفتقد في معظم الاعمال الكلاسيكية .. فليس واقع الحياة ان نجد دائماً آباء مختفين او أشقاء ضائعين ..

ان القصة الحديثة تمتاز بأنها مستوجبة للتبادل : بمعنى أننا لو وضعنا فرداً آخر بدل Strickland في « القمر وستة بنسات » لموم .. لما اختلفت الوقائع ..

انها جهد الانسان العادي بلا امتياز ولابطولات خارقة. وكذلك فإن الرواية الجديدة لا تسهم في وضع المنفرات الهروبية غير الانسانية كأحكام نهائية على البشر والتي تطالعنا في (فرتر) الالهي .. على أننا لا نجده أبداً في حياتنا العادية.

انه انسان قديم (ربّ مجنح) .. لا يمتّ لعالمنا بصلة .. انه لا يعرف الطعم الحريف لحياتنا ولا يستطيع تذوق متعتنا الرخيصة لانه ليس منا ، ولانه ليس منا فهو يجذف عبر ضلالات عجيبة ، وردية حيناوزرقاءأحياناأخرى.. ليشعرنا – لا بالصدق الذي نحتاجه –ولكن بلون آخر سامق لا تطاله مشاعرنا التي تعي النتن وتستطيل فيه ؛ ولذلك فإننا نصدق (إريك ماريا ريمارك) في رائعته « كل شيء هادىء في الميدان الغربي » لانه يمزجنا بالدم والوحل وقبل كل شيء –بالانسانية التي يرتد عنها كل أثر كلاسيكي ..

وحتى (مالرو) .. فإنه في (الصراع مع الملك La Lutte Avec L'ange) يحاول بجاذبيته المعهودة إشعارنا بدفقة الحياة حلال احداثها البسيطة .

« ثم مَرّ قط مروراً مفاجئا ناعماً .. فاذا بي أشعر بالدهشة لوجود هذا الحيوان !! ».فمن خلال هذه الاكتشافات البديعة لنهج الحياة ولدفقاتها المدرارة .. يُجَسِّدُ هؤلاء الروائيون شعورنا بالاشياء العادية التي تمر خاطفة فيسجلها شعور طاغ بالملاحظة..فالرواية تنهج نهجاً مركزاً في تقرير الرمادية السائدة بإدراك صاف ، وصدق حقيقي وهما كل ما نحتاجه من الفن . فما هو الاثر الذي يتركه فينا منظر حذاء جميل في قدم شحاذ!! إننا نضحك إذ نجد مثل هذا الرسم .. إنه يختال بعيداً عن المنطق الحقيقي فيصيبنا بالحيرة ..

وحتى في معظم الافلام السينمائية – ما خلا الايطالية منها– نجد الروح القديمة سارية في القصص كما كانت أيام (ثاكري . أوستن . برونتي) . . سيرة واحدة بملاحظات تمسّ هدف الرواية الاصلي .. بكل المساعدة الممكنة التي يتقدم بها الـ Background المخلص لفكرة القصة ..

أما في « Sensualita » – وهو فيلم إيطالي –فإننا نجد البطل ينتظر امرأة في ردهة ، فيأتيه طفل تتدلى نصف سيجارة من فمه ، ثم يشده من ردائه ويسأله : « أتملك عود ثقاب ؟! » . فهذه الواقعة خارجة على الفيلم ، ولكنها تمثل الحيدة الحقيقية التي يقفها العالم الخارجي منا ..

لا نستطيع ان نضع للحياة قانوناً ما ، فليست شيئاً يمكننا حشره في جرة لنحمله معنا . لكل منا حياته الخاصة بذكرياته وآماله ومشاهداته . . أنستطيع أن نجعل من كل هذا الخليط المتضارب« كوميديا » مثلاً ؟؟

لنفرض أننا علقنا (سقراط)(١) في سلة لنجعل من حياته مهزلة تُمثل .. فهل يمكننا منع روح الاسى التي يستشعرها الفيلسوف من الظهور .؟ ولكن قانون الكوميديا يمنع الجانب البائس في الفيلسوف من ان يطفو .. فنظل نحن نقهقه – بحمق ونزق – وبلا أدنى ظاهرة بالفهم – نقهقه حتى ختام التمثيلية .

اننا لم ندرك انها لم تكن حياة تلك التي شاهدناها. لم تكن حياة . ولم تكن حقيقة .. كانت نسخة حمقاء من محاولة مبتذلة لتقليد الحياة ..

نستطيع إذن ان نقول بأن جهد الرواية العادية يتلخص في استطاعتنا تبادل أشخاص القصة بآخرين احياء ، وفي اظهار الرمادية المعاشة والصدق الحقيقي النابع من الغور العام للحياة البشرية المتجددة . والذي يسخر من تقنين الملهاة والمأساة لحياتنا مع عرض الـ Background المحايد الذي لا يدلي برأيه في المشكلة الحادثة ،بل يبقى بعيداً معبراً عن الحياة القديمة التي تجري احداثها في هدوء وسكون ، وهذا هو ما يدفعه في الوعي أدب روائيين كشتاينبك وجويس ومالرو وكامو ..

أدب حقيقي يلمس بصدق صاف دفعة إثر دفعة من حياتنا المعاشة بلا تزييف ولا اختلاق اقداراً خاصة لاهداف خاصة.. ان الرواية الحديثة جهد صادق ينفعل بالجهد البشري العادي المنغمس في حمأة الارض والوحل والطين !!

القاهرة **محي الدين محمد**

---

(١) مسرحية (السحاب) لأريستوفان ، سخر فيها من سقراط .



- هل امد يدي فاسرق حبة او حبتين من هذا الجميز ؟ ... لن يلحظ العجوز شيئاً ، فهو يغط في نوم عميق ... الوقت ظهر ، والحر لافح ، ونحن في ظل الشجرة ... هو نائم وانا جائع ... وحبات الجميز تتوهج في قاع السلة وتخطف بصري وتثير الجوع الكافر في احشائي ... هل امد يدي الى السلة ؟

مضى ذلك الخاطر اللعين يذرع عقلي دون انقطاع جيئة وذهاباً ، والطرقات مقفرة والشمس متقدة والوجود مختنق ساخن والرجل يغط في النوم ...

كان عجوزاً في ثوب عتيق وقد امتد جسده اليابس على الارض واختفى رأسه بين ذراعيه ... لا شك انه بائع جميز اتعبه الصياح وجوب الطرقات ، فلاذ بظل الشجرة .. ولم اكن استبين من ملامح وجهه سوى زاوية من فمه المنفرج كان الذباب يغوص فيها ويلهو ...

وكانت السلة الى جواره والجميز في قاعها ... فهل امد يدي فآخذ حبتين واغادر المكان ؟ .. وحاصرت عيناي جسد الرجل وانسابت يدي في خفة حتى غابت داخل السلة وعادت بحبة جميز . كانت لذيذة ممتعة ، خلت لها مذاق لحم الدجاج الشهي وهي تلين تحت اسناني ، حتى اذا ما استقرت في جوفي اندلعت به حمى الطعام ، انفتح فمي مرات وغابت حبات .. واحسست بالحياة تدب في جسدي وبالوجود المرتعش يستقر من حولي ...

لم استطع ان امنع نفسي بعد ان ذقت اول ثمرة ، فأخذت التهم الحبة اثر الاخرى واستزيد من ذلك الاحساس الطاغي بلذة الطعام والشبع .

وكانت يدي قد سلكت طريقها الى السلة وانسابت في جوفها حين فزع العجوز من نومه فجأة كالملسوع ، واستوى جالساً يجيل النظر حوله مرتاباً قلقاً . كان وجهه معروقا مجعدا باهتا كورقة نقد بالية ... لقد شاهدني وقطع حركة يدي ووعى كل شيء فاتسعت عيناه وتلوت ملامحه وصرخ في وجهي بازدراء :

- لص ... كنت تسرق !

ثم جذب السلة اليه ، وأسرع ملهوفا يطل الى داخلها ، وعاد يسلط علي عينيه الحمراوين ويصرخ في حنق شديد « كنت تسرق ! »

لم أجب ... وظل الرجل يلفح وجهي بنظراته الحامية ثم جاء صوته الباتر يزعق « لص ... »

كان وجهي جامدا صلبا .. وكانت نفسي مرتعا لآلاف المشاعر الثائرة بالسخط والنقمة على الوجود والبشر والدنيا باسرها ... تقابلت نظراتنا فبصق العجوز على الارض ، ثم اعتدل في جلسته وانفجرت منه ضحكة شوهاء انفرج لها فمه الخرب وساد الصمت ... ومضت لحظات ثقيلة كأنها ساعات اتى بعدها صوته يسأل في هدوء :

- هل أخذت كفايتك ؟ ...

خلته يمزح في سخرية ويلعب بمشاعري ... فزاد انقباضي ، الا انه مد يده بالسلة الي ، وسالت على وجهه بسمة طيبة وقال في الفة :

- خذ ما تشاء ... انه جميز ولا شك انك جائع ...

ولمعت عيناه العسليتان ببريق باسم ، وكأن بها دعوة . لم اجب ، فقد أذهلني تحوله وهرول في جسدي اضطراب وجحت مشاعري مذهولة متخابطة ... ومضى يقول :

- هون عليك يا بني ...

وضربني في كتفي مداعبا :

- لا تبتئس هكذا ... كلنا نعرف الجوع ... انه كافر لعين !! ...

وبصق على الارض في احتقار وعاد يبتسم ... وكنت لم ازل جائعا والجميز يلوح مغريا في قاع السلة ، الا انني لم اقو على مد يدي ...

ولاح لي ان الكهل على اتصال خفي بما يختلج في نفسي ، فقد مضى يتبسط معي في الحديث ويتودد الي كمن يستميل كلبا ضاريا .

- لا يأخذنك غضبي .. فانني اغضب سريعا واهدأ سريعا ايضا ، ولا يستطيع احدنا ان يقمع الغضب في وقته لانه اسرع الانفعالات الى امتلاكنا ، والحياة يابني دائما تجبرنا على اتيان اشياء كثيرة لا ذنب لنا فيها ...

واستراح الكهل في جلسته وبعث الي بنظرة آسفة من جانب عينه واردف :

- انها لحظة مظلمة ينطفىء فيها العقل ...

وساد الصمت بيننا ... كنت أود أن أقول شيئا .. أي شيء .. إلا أنني كنت مذهولاً مأخوذ الاحاسيس لا اجد بنفسي شعوراً واضحا واحدا استطيع التعبير عنه ...

قال محتدا :

- لماذا انت منقبض هكذا ؟ .. هل اتيت ذنبا ؟ نحن لا نذنب حين نكون جياعا ...

واضاف - اراك لم تأخذ شيئاً من الجميز ... مد يدك ...

وقرن جملته بأن مد يده الى السلة فأخذ حبة غيبها في فمه وتحركت شفتاه المضمومتان في حركات مضحكة فبان كأنه يمتصها . بينما كانت عيناه تشعان بنظرات قوية واثقة ... فابتدأت استكين اليه وأخذت تنساب في مسالك نفسي بعض المشاعر الانسانية التي افتقدتها منذ زمن بعيد ... احسست بالخجل والاضطراب .. وامتدت في نفسي بعض خيوط الاحترام لذلك الرجل الطيب ...

سألني وهو يحول وجهه الى نهاية الطريق :

- من اين انت يابني ؟

فأجبت في ايجاز :

- من الصعيد ... كنت اعمل مع مقاول وبنينا مصحة في احدى القرى ..

واسرع العجوز يقاطعني قائلا :

- اهي تلك البناية الكبيرة في اطراف القرية القبلية ؟..

اجبت - لا

ومرت لحظات صمت ثم جاء صوته هامسا يقول :

- الحياة صعبة ...

وارتفع صوته في عزم وقوة حين قال :

- ولكن يجب ان نصمد ، لها ان نعمل شيئا حتى لا نموت جوعا ... انني احمل سلتي كل يوم وأظل اجول الطرقات حتى احس بنفسي تتضاءل وبقلبي يكاد يقف ، واقدامي تكاد تهوى ... واخيرا ربما اونق وأبيع بقرش ... انني أمقت هذه الحياة ... أزدريها ... ولكن ما دمنا قد أتينا اليها فلا أقل من الصمود حتى ننتهي ... وينتهي دورنا ...

ومضى الرجل يحدثني عن نفسه وبؤسه ... فلقد احس انني بائس فقير مثله فأقبل يرتل شكاته وانني صنوه احد الذين نبذتهم الحياة دون ذنب ... احد الذين يجوعون ويتألمون ويفهمون ، ويشاركون الآخرين ما يحسون به ، وانني انسان محروم شريد لا املك الا ان احقد ولا املك الا ان

مُسابقة «الآداب» الشِعْرِيّة

تدعو «الآداب» شعراء العربية في مختلف اقطارهم الى المشاركة في مسابقة شعرية تتناول الموضوعات التالية :

اولاً – عودة اللاجئين
ثانياً – الوحدة العربية
ثالثاً – المرأة في المجتمع العربي
رابعاً – حرب على الاستعمار
خامساً – حرب على الاقطاع

الشروط

١ – يحق للشاعر ان يشترك في اكثر من موضوع واحد
٢ – يحسن بالقصيدة الا تتجاوز مئة بيت ولا تقل عن ثلاثين
٣ – لا ضرورة لوضع اسم مستعار للشاعر
٤ – تنتهي المسابقة في آخر تشرين الاول القادم ١٩٥٤ .

الجوائز

الاولى – ٣٠٠ ليرة لبنانية او ما يعادلها
الثانية – ١٢٥ « « « «
الثالثة – ٧٥ « « « «

اعيش ضائعاً بين تلك الفئة المتخمة التافهة التي يعج بها كل مكان ولا احساس لها الا بنفسها ...

قال بنغمة شاكية :

– لقد تعبت من الحياة .

وتنهد وهز رأسه ومضى يقول في صوت يجمده الاسى : كانت لي يوما ارض وابن ... سبحان الدايم .

ثم مد يده الى قدمه الحافية المتربة يبعد عنها الذباب وسهمت عيناه وتجمعت ملامحه في انقباضة قاسية .. وكنت قد استرحت اليه والى حديثه عن حياته الشقية المكافحة فأحسست انه ضائع مثلي.. لا غد له ولا حاضر.. وكان اكبر ما حببني اليه هذه الفلسفة الفطرية التي ينضح بها حديث المكافحين في سبيل العيش فهي كل ما استطاعوا اخذه من يد الحياة ...

وضرب الرجل يده في السلة وأخرجها ليدفع الي حبتين من الجميز مبتسما في مرات وهو يقول :

– الارض ذهبت والابن في السجن ... كان لي نصف فدان .. نصف فدان يطل مباشرة على النهر .. أرض جيدة كانت تغل قنطارين قطنا ولا تعطي اقل من ثلاثة ارادب قمحا..لقد عرض علي يوماً اربعمائة جنيه ثمنا لها فرفضت ، كنت اخدمها انا وابني، ولكن كان لنا جار غني تفصل ارضي جانبا من اراضيه عن النهر ،فقامت بيننا خلافات على الري استمرت سنوات فما رأى الا ان يتحايل على أخذ الارض منا..تارة بالمادة وتارة بالقوة .. فمارضنا وصرخنا ... لجأت انا العجوز الى المحاكم ولجأ ابني الشاب الى القوة ...

وصمت الرجل ليجمع بصقة اخذت طريقها الى الارض ثم عاد يقول بسرعة:

– الا ان جارنا كان يمتلك الشيء الوحيد الذي يجعله دائما على حق... كان يمتلك المال فذهبت الارض اليه ... وذهب الابن الى السجن ...

ودعك الرجل عينيه بأصابعه وقال في صوت بائس :

– وها انا كما ترى ... رزقي على الله ...

وهز رأسه وتابع حديثه :

– ان هذه الحياة اللعينة تهزأ بنا!!... لقد أوجدت بنا الحاجة الى ثلاث وجبات يومياً .. وها نحن نسعى وراء وجبة واحدة ... ولا نجدها ...

واستحلب الرجل لعابه وبصق في عنف فأحدث في الهواء صوتا كفرقعة السوط ... ثم ضرب يده بحركة عصبية في صديريته وأخرج علبة قديمة من الصفيح ومضى بأصابعه المرتعشة يعمل في لف سيجارة ، ومر بلسانه على حافة الورقة وبرم اللفافة بين اصابعه وقدمها الي قائلا :

– أتدخن ؟... خذ لفافة ...

وابتدأ يلف لنفسه سيجارة اخرى ... ومضيت ارقبه في هدوء ... كانت اصابعه الهزيلة تمر فوق الورقة مرتعشة وتمتد الى علبة الدخان دون استقرار ، ولما فرغ من لف سيجارته وضعها في فمه وأشعلها . ثم لمستند الى جذع الشجرة وقام في تثاقل حتى اعتدل واقفاً ليرمي بنظرة ساهمة الى نهاية الطريق ويتنهد في تكاسل قائلا :

– لقد حانت عودتنا الى الشقا ...

وحول وجهه الي وظل برهة ينظر في عيني . ثم اسرع يهز رأسه في تأثر ويقول :

– السلام عليك ... وفقك الله يابني

وطوح سلته وراء ظهره ... وابتدأ يسير ...

فوقفت واجماً مضطرباً احس بقلق وانقباض وانا أرقب الرجل وهو يسير على مهل منقلا قدميه في اجهاد وسلته الصغيرة خلف ظهره ، ودخان لفافته يتثنى في الهواء ... والشمس متقدة والحر لافح والطريق ممتد طويل ...

القاهرة

بدر نشأت

من «رابطة النهر الخالد»



١ . حكايات من الرحلات

للدكتور عبد السلام العجيلي

دار المعارف بمصر – ١٥٠ ص

•

على رأي المثل القائل باستحالة حمل بطيختين بيد واحدة ، يجب أن يكون الطبيب الأديب عبد السلام العجيلي قد نكب الطب بالادب او الادب بالطب ، او نكب نفسه بهما جميعاً ، او نكبهما جميعاً بنفسه . على كل حال لا بد من النكبة . هذا إذا كان عبد السلام طبيباً وأديباً فقط ، فكيف إذا علمت انه ، الى ذلك ، رسام وشاعر ونائب سابق ؟!

لكن يظهر أن الدكتور العجيلي من شواذ القاعدة . والدليل على ذلك ان الطب والادب والفن والسياسة مازالت بالف خير على يديه . .

إذن فلا بد من ان تنظر إلى القضية من ناحية اخرى ، هي قاعدة « كثير الكارات قليل البارات » ، وان تكن هذه ايضاً قضية فيها نظر ، بسبب سيارة الدكتور التي ورد ذكرها عرضاً في احدى حكايات كتابه هذا ، والتي حمل عليها صديقيه نشأت التغلبي واحمد علوش الى دير سيدة صيدنايا ، ليفي نذراً عن صديقته السويدية المتصوفة ، فكانت النتيجة ان التي بها هي في سجن «البيت الابيض » بباريس ، وشرب هو متلباً من صديقيه افقدهِ الأيمان بمنافع النذور .

وعلى هذا أرى أن عبد السلام لا يمكن أن تنطبق عليه قاعدة من مثل هذه القواعد ، ومثله كان يصفه المقرظون القدماء بقولهم « نادرة عصره » . .

على انني لن اذهب هذا المذهب من المغالاة ، وانما اكتفي بالحديث عن كتابه « حكايات من الرحلات » .

هذه الحكايات مستمدة من فرنسا واسبانيا وايطاليا واسوج وهنغاريا وتركيا وسورية ، وكلها تستعرض الجد في معرض لهزل ، باسلوب طري مشرق ، ينساب انسياب الجدول الدفاق المترنم في وهج شمس الضحى . وهي متشعبة النواحي ، في السياسة والاجتماع والفن والأدب ، ولكنها ، في مجموعها ، تنبعث ابداً عن نزعة إنسانية عميقة ،ونزعة وطنية تبلغ حد لتصوف والاستغراق . أما اطار ذلك فالنكتة المستملحة والاسلوب الناعم الرشيق ، وعمق الصورة والشعور ، والايماآت السريعة الخاطفة ، تنفتح أمامك كوى صغيرة ، لكي تطل منها على رحاب ومجالات .

على ان عمق الصورة والشعور لن يجرك الى مسالك يكتنفها الابهام والظلمات ، بل انت تسير وسط نور كشاف يجعلك تتلمس قراراتها في يسر وسهولة .

وظاهرة أخرى في هذه الحكايات ، هي انها اعطتني عن باريس اول صورة لم تنقبض لها نفسي . ولا يستغربن القارىء هذا القول . فقد قرأت كثيراً جداً عن باريس ومباهجها ولذاتها ، ولكني ، ولا أدري لماذا ، كان يوحى إلي دائماً من كل ما قرأته ان جواً ثقيلاً من الكآبة والقلق يبطن تلك المباهج واللذاذات .

اما حكايات الدكتور العجيلي عن باريس فلم توح الي بشيء من ذلك ، بل لوحت الي بشيء من جو « السيران الشامي » على عين الخضرا ، والسهرة الصيفية في احدى قهوات شارع بغداد بدمشق .

ولعل مرد ذلك الى مزاج الكاتب او طريقة معيشته في باريس لا الى حقيقة باريس نفسها .

هذا ويعجبني ان انقل هذا المقطع من حكاية سهرة سهرها المؤلف في قاعة «الكونسرڤوهوسيت» في استكهولم ، واحيتها فرقة من زنوج اميركا بموسيقى الجاز ، الا ان « معدة » الكاتب « الفنية » لم تقو على هضم هذه الموسيقى الرخيصة ، تعزف في هذه القاعة التي « بنيت لتملأها فرق الاوركسترا العالمية بالحان نوابغ الموسيقى الكلاسيكية » ، ولذلك قطع سهرته وخرج .

وكتب في نهاية القصة :

« لقد الجأت الفاقة العالم القديم الى ان يقبل مشروعات اميركا للاعانة والتعمير والتسليح . فيا بؤس هذا العالم حين يصل به الامر ان تغذيه اميركا بالفنون الجميلة ! وان يكون للموسيقى والغناء والشعر ، بعد الفحم والبترول والحديد ، مشروعات مارشال والنقطة الرابعة ! » . .

بقي ان اقول للدكتور العجيلي ان كتابه الطريف لو ترجم الى لغة اجنبية لما فقد شيئاً من جماله ودعابته الحلوة ،

لكن ما رأيه لو ترجمت « المقامة الباريسية » و « المقامة الجنيفية » الى لغة اجنبية ، هل يبقى منهما شيء ؟ اعني ان هاتين المقامتين قد شذتا عن نمط الكتاب في عمق النكتة واصالة الصورة ووضوحها ، وكانتا اقرب الى العبث اللفظي المتكلف .

ومثل هذا العبث ايضاً كثير في « بوهيميون في سويسرة .. من لبنان وسورية » هذا مع العلم ان هذه الحكاية بقلم اديب مروة وليست للدكتور العجيلي ، اما سبب ايرادها في الكتاب فهو ان المؤلف احد ابطالها ..

٢ . بابلون

بقلم صفاء الحيدري

منشورات الرسالة الجديدة ببغداد

اوبريت من نظم الشاعر العراقي صفاء الحيدري . واعتقد ان اسم « ملحمة » كان اقرب الى حقيقة اسلوبها من اسم « اوبريت » . او لعل الاصح ان اقول انه كان على الشاعر ان يجعل منها ملحمة ، فذلك اقرب الى طبيعة حوادثها .

فالحوار الاساسي فيها يقوم بين الشخص ونفسه ، أي بين نوازعه المختلفة ، ثم ان دور كل من هذه النوازع في الحوار يطول كثيراً ، وليس هذا من طبيعة الاوبريت ، ولعل ذلك هو ما جعل من القصيدة ملحمة في شكل اوبريت . اما الموضوع فهو قصة اميرة بابلية اسمها « بابلون » واخ لها من ابيها يتحابان ، فيخرقان بذلك الشرائع والقوانين ، فيحكم عليهما بالموت حرقاً .

وحينذاك تقتل بابلون اخاها بعد ليلة من ليالي حبها ، ثم تنتحر . والموضوع ، كما يبدو من شروح المؤلف ، له اساس تاريخي ، وهو موضوع خطير مثير يستحق ان تبنى عليه مغناة او ملحمة .

اما اخراج القصيدة ، فواضح ان الشاعر يحاول ان يعتمد الاسلوب الرمزي ، ولكنه لا يبلغ مستواه ، ويظل الاسلوب متأرجحاً بين الواقعية والرمزية ، فلا هو يوحي اليك بالصورة القوية إيحاء كما هو شأن الاسلوب الرمزي ، ولا هو يقدمها اليك مجردة مجسدة ، كما هو شأن الاسلوب الواقعي .

والنظم ، بوجه الاجمال ، ، ضعيف . خذ مثلاً هذا البيت من نشيد في وصف الليل وسكونه واشباحه :

تلك البيوت كأنهن حطام صارية ثمينه

فهو يشبه فيه البيوت ، كل البيوت بحطام صارية .. صارية واحدة !

ويقيناً ان هذه الصارية مهما تكن « ثمينة » فحطامها من حيث الحجم ، شيء قليل تافه ، لا يساوي ركناً ضئيلاً من بيوت بابل واعمدتها وقلاعها وابراجها !

ثم ان وصف الصارية بـ « الثمينة » لا يعني الا ان هذه الصارية كثيرة الثمن ، وقد تكون هذه الصفة اولى بان تجعلها رشيقة ناعمة ، يبعث منظرها ومنظر حطامها صورة عكس الصورة التي ارادها الشاعر من غموض ورهبة وضخامة . ثم لا تنس انها صارية واحدة يشبه بحطامها ، مثلاً ، برج بابل نفسه !

وهذا مثل آخر ، من نفس النشيد :

وذراع لافتة تمدّ الى الطريق يداً مهينه

فعلى افتراض انه كان يوجد في شوارع بابل « لافتات » كما يوجد في شوارع المدن اليوم ، فلسنا ندري كيف تكون يد هذه اللافتة مهينة واي شيء او شخص تهينه هذه اليد وكيف تهينه ؟ هذا اذا كان المقصود بـ « اللافتة » ما يسميه المصريون « يافطة » وما يسميه الشوام « آرمة » ، ولا نرى غير ذلك . وهذا البيت :

اتعبت نسرك يا بغي فهيئي السرر المتينه

اما النسر فيذكر الشاعر انه يشير به الى احدى الاساطير ، واما « تهيئة السرر المتينة » فتعبير يستنتج منه التهيؤ لممارسة الشهوات ، فان صح هذا الاستنتاج فاي لزوم لمتانة السرر ، إلا ان يكون ذلك تلميحاً مبتذلاً لعنف هذه الشهوات واستمرارها ؟ وهذان البيتان من الفصل الثاني :

والنار شائطة كلهفة آثم تستبطئينه

زرقاء يأكلها اللهيب كوجه من تتأملينه

فالضمير في « يأكلها » عائد الى « النار » كما يقتضي سياق الكلام ، وعلى هذا يكون قصد الشاعر ان اللهيب يأكل النار ، وبما ان اللهيب هو نفس النار فيكون المعنى ان النار تأكل النار ، وهذا غير وارد . نعم لقد قالوا قديماً :

النار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله

ولكنهم قالوها بقصد آخر هو ان الشر يضرب بعضه بعضاً ان لم يجد طرفاً آخر يضربه ، وليس هذا ما يقصده الشاعر طبعاً . اما اذا كان الشاعر يرجع الضمير في « يأكلها » الى « لهفة » فهو تكلف لغوي بعيد جداً عن الوضوح .

ومع هذا غموض في بعض الأبيات نفسها . خذ مثلاً هذا البيت ، وهو بلسان « دافع الاثم والرذيلة » يخاطب بابلون ، على ما يبدو من شرحه :

اقسمت باسمك ليس في صمت الدجى ما تتقنينه

فهل المقصود ان ما في صمت الدجى لا تتقنه « بابلون » ام أن ماتتقنه « بابلون » ليس في صمت الدجى ، ثم ما هو هـذا الشيء الذي لا تتقنه « بابلون » او لا يتقنه صمت الدجى ؟ ان ذلك غير واضح .

وهذا البيت ، بلسان « الدافع » نفسه وقد اشار إلى ثعبان هائل مقبل وسط الظلام إلى « بابلون » ، والظاهر ان الشاعر يرمز به إلى الشهوة الجسدية، إذا صح استنتاجي ، وبعد أن يصفه « الدافع » ويغري « بابلون » باستقباله ، يتصوره عائداً من عندها « محملاً بغصون تينة » :

اني لالمحـه يعو د محملاً بغصون تينه

فإلى أي شيء يرمز الشاعر بـ « غصون التينة » ؟ ان ذلك غير واضح أيضاً .

ومثل هذا ايضاً كثير في القصيدة .

وفي القصيدة بعض الأخطاء النحوية واللغوية ، كهذا البيت :

الموت لم يترك عـلى شفتيه غير صدى يخونه

فالفعل المضارع « يخونه » مرفوع في سياق نشيد قافيته مفتوحة ، فان قرىء مرفوعاً كان هناك خطـأ عروضي ، وإن قرىء منصوباً كان هناك خطأ نحوي . وقوله :

هيا انتحيه عن السرير وغلقي الابواب دونه

فقد استعمل « انتحى » بمعنى « نحى » والاولى تـأتي متعديـة بمعنى قصد ولازمة بمعنى جلس ناحية ، والمعنيان ليسا مقصودين في البيت .

الا ان القصيدة ، مع هذا لا تخلو من بعض الابيـات والمقاطع الجميلة ، كقول الشاعر :

اني انسللت اليك من اقصى الجزيره
ومعي ليالي المثيره
الفجر احمـله معي وهجير احلام الظهيرة

*

طوفت في عينيك ابحث عن سماي وعن نجومي

وكقوله :

الحب في عينيك كالموت المقيم صدى ورؤيـا

هذا وهناك مأخذ آخر لعل الشاعر نفسه غير مسئول عنه ، بل دار النشر التي اصدرت الكتاب . وذلك انها ذكرت في آخر الكتاب تعريفاً بالشاعر في سطور ، مع رسم له ، وهي طريقة حسنة . الا أن هذا التعريف اشتمل على اشياء نعتقد أن القارىء في غـنى عنها ، كالقول ان الشاعر من اسرة كردية تنتمي إلى الشاه اسماعيل الصفوي .

ترى هل يؤثر في الميزان الشعري كون الشاعر ينتمي إلى الشاهات والسلاطين أو إلى العامة والصعاليك ؟ ان هذا النوع من الدعاية قد ولى زمانه . ثم القول بان شعره « يتسم بطابع فريد يميزه عن غيره » . فالحكم على شعر الشاعر يجب ان يترك إلى القارىء ، ولا يجوز ان تفرض عليه الاحكام سلفاً .

بقي أن أقول انه لا بد لي من كلمة في شاعرية الاستـاذ الحيدري ، والا ظلمته . وذلك ان هذه الشاعرية تتجلى ، برغم كل تلك السقطات ، واضحة قوية . لكنها لا تزال كالمادة الخام بحاجة إلى بعض الصقل ، وارجو أن يستخلص من النقد أداة لصقل موهبته وإنمائها ، فالنقد ، لا التقريظ ، هو هـذه الاداة الصالحـة .

صادق صعب

The Arab World : Past , Present & Future
By Nejla Izzeddin

العالم العربي
ماضيه وحاضره ومستقبله
تأليف نجلا عز الدين

هذا كتاب اخرجته احدى دور النشر في مـدينة شيكاغو من الولايات المتحدة الاميركية في العام الماضي ، وقد ألفته احدى نابغاتنا اللبنانيات ، واولى من حصلت منهن على شهادة دكتوراه في التاريخ من احدى كبريات الجامعات في الولايات المتحدة الاميركية ، فكانت بمؤلفها خير سفير بين بني قومها وبـين الامـيركيين إذ اخـرجت مطالعي كتابها منهم من ظلمات دعاية خبيثة كان قد سمم بها الصهانية وزبانيـة التبشير الزائف والسياسة الغاشمة افكار اولئك الاميركيين عن العرب وواقعهم حتى أنكروا علينا فضائل تأصلت في نفوسنا والصقوا بنا رذائل نحـن منها براء ، فشهد لها المخلصون منهم ببراعة العرض ودقة البحث والتحلي بمنطق سليم مـع ما ينبض به قلبها من حب لبني قومها وعـاطفة تقديـر قلمـا يستطيع بدونهما كاتب ان يدوّن تاريخاً او ينقل رسالة ؛ فاستحقت بذلك كل ثناء ممن عرفوهـا منهم وخبروا علمها ووقفوا على طيب عنصرها ، حتى لقد رأينا مُصدر الكتاب يختم مقدمته القيمة بقوله : « فمن كان يرغب منكم في التعرف الى العرب فليقرأ هذا السفر ولسوف يجد نفسه في عـالم من الفكر يعي القيم الازلية التي بات عالمنا اليوم بامس الحاجة اليها اكثر مما كان الناس في العصور الوسطى عندمـا بسطها لهم العرب عهد ذاك » .

يقع الكتاب في اربعمئة صفحة من القياس الوسط ، اشتملت على ثمانية عشر فصلا ، تحدثت المؤلفة في الاربعة الاولى منها عن : (١) بيئة العرب وامتداد عالمهم وما يقوم بين شعوبه من عوامل الوحدة واسباب الالفة والارتباط إن« باللغة والفكر اوالتاريخ والمعتقد » و (٢) عن «التراث الثقافي المشترك » فحددت مكانته من صرح الحضارة الانسانية و (٣) كشفت عن الدور الذي لعبه العرب في نهضة الاوروبيين وخروجهم من ظلمات عصرهم الوسيط الى انوار العصر الحديث. كما وصفت (٤) افول نجم الاجداد وانتقال زعامتهم الثقافيه للعالم الى ايدي الاوروبيين .

اما في الفصول الثلاثة التالية ، الخامس والسادس والسابع ، فقد صورت واقع العرب الراهن فبرهنت عن تململهم وتبرمهم بهذا الواقع وسعيهم الحثيث الى نفض غبار الماضي عنهم لاستعادة مكانتهم بين الامم الراقية فحدثتنا عن (١) انتفاضاتهم في المجتمع و (٢) جهودهم المتصلة لتكيفهم مع التيارات الغربية الجديدة التي طغت عليهم في حياتهم العامة ثم (٣) توجت حديثها بالكلام عن ثورتهم السياسية الكبرى التي دلت بحق عما يتوقون اليه منذ بزوغ فجر القرن العشرين من حياة حرة ، تكون لهم فيها السيادة على بلادهم ومقدراتها .

وهنا تعود الدكتورة نجلا فتجعل حديثها يدور على مصر وجهادها ضد الاجنبي في سبيل حريتها وسيادتها كما تعرض للمجتمع العربي فتكشف لنا عن ملامحه العامة ثم تخص الفصول الأربعة الاخيرة بالكلام عن سورية ولبنان والعراق وجزيرة العرب وفلسطين فالمغرب الأقصى فتحدثنا عن واقع شعوبها جميعاً .

ولما كانت الكاتبة نعتقد — ولا عجب — بسمو مكانة المرأة وطيب أثرها في المجتمع الانساني ، فقد افردت لها فصلا تحدثت فيه عن حالة المرأة العربية في القرون القديمة من تاريخها ثم كيف منحها الاسلام حقوقاً جديدة وأقرها على أخرى قديمة ، جعلتها جميعها تسير قدماً مع الرجل جنباً إلى جنب مشاركة إياه خلال العهود الذهبية من تاريخنا في جهوده وجهاده غير متخلفة عنه في أكثر ميادين الحياة العامة إن في القضاء والعلم او في الشعر والسياسة ، ثم فصلت الكلام في نهضتها الأخيرة فكشفت عن الشوط الذي قطعته حتى غدت اليوم تنهض مع زميلها الرجل باعباء الجهاد في شتى حقوله ، واخيراً خلصت المؤلفة من كل ذلك الى عرض نضال العرب اليوم في سبيل تحقيق وحدتهم الكبرى بعد أن يستردوا حريتهم الكاملة ويزيلوا جميع العوامل المعيقة لهم في مختلف أقطارهم .

وقبل أن تختم الدكتورة نجلا كتابها ارتأت أن تتوسع في الكلام عن مطامع الدولة الكبرى فيما يزخر به العالم العربي من خيرات وكنوز وينعم به من مركز استراتيجي ممتاز بفضل موقعه في قلب العالم بين ثلاث قارات من قاراته الخمس. ولم يفتها كذلك ان تصف جهودهم للتفلت من ربقة تلك الدول حباً بالسيادة المطلقة والاستقلال التام الناجز .

وقد اتت المؤلفة البارعة كل ذلك بلغة أنكليزية مشرقة الديباجة ، ممتعة الاسلوب ، يصاحبها عمق في التفكير وحب لقومها لم يذهبا البتة بجلال العلم وصدق البحث مما رفعها في أعين المنصفين من الاميركيين وغيرهم .

ونحن لا يسعنا إزاء واجب النقد وحقه علينا الا ان نشير إلى ان السفر على ما تميز به من حسنات لم يخلُ من بعض الهنات التي بالرغم من كل ما سعى اليه بعضهم من تضخيمها(١) ظلت بعيدة عن ان تؤثر في الكتاب او ان تحط من قيمته العلمية والقومية فقد جاء خير ما يكتبه وطني صادق الشعور بل وطنية لتعريف الاميركيين وسواهم بمكانة العرب بين الشعوب الراقية الممدنة وبما ساهموا به في الثقافة البشرية سابقاً وبما يستطيعون من ذلك لاحقاً .

فنحن إذ نشكر للدكتورة عزالدين عملها المجيد ونقدم كتابها الى قراء « الآداب » نرى لزاماً علينا ان نمحضها تهانينا الخالصة على هذا الفتح الجديد في تاريخ العرب . وكم نتمنى ان يتاح لكتابها ان يترجم الى العربية فيضاف به الى خزانتنا مؤلف قيم وسفر جليل يعرّف جميع من يطالعه من العرب بسالف ماضيهم المجيد وحاضرهم المبشر بكل خير عميم ويعرف منهم ذوي القلوب المريضة خاصة والنفوس المتسممة بما ألقى في روعها اصحابُ الاغراض السقيمة من مبشرين زائفين واستعماريين جشعين علهم يشفون ويتعافون فيعون انفسهم وقومهم .

زكي النقاش

مدير كلية المقاصد الاسلامية في بيروت

(١) راجع العدد ٥ من مجلة Alkulluyah سنة (١٩٥٤) .

حول مسرحية سارتر

الأيدي القذرة

بقلم عبدالله عبد الدائم

منذ أمد قريب ترجم الى اللغة العربية كتاب سارتر « الوجودية فلسفة إنسانية »، كما ترجم الرد عليه « الوجودية ليست فلسفة إنسانية ». وفي الآونة الاخيرة طلعت علينا « دار العلم الملايين » بترجمة لمسرحية سارتر الشهيرة « الايدي القذرة * »، كما طلعت علينا مجلة « الآداب » قبل ذلك بترجمة موفقة لمسرحية « كامو » « العادلون ». وبعد حين سوف يلقى القراء ترجمة أعدها الدكتور سهيل إدريس لكتاب يتحدث عن « سارتر » وأدبه وفلسفته من تأليف « ألبيريس ».

ومع ذلك لم تلق هذه الموجة الجديدة من الفكر الوجودي كبير عناية من الكتاب العرب. وما الظن بهم أن يعدوها هبوة عابرة مما تقذف به المطبعة العربية كل يوم. وأياً كانت الحال، فمن حق القراء على هؤلاء الكتاب، فيما نرى، أن يشتركوا وإياهم في تفحص مثل هذه الكتب وتدارسها، وأن يجعلوا من كل نتاج يطل على دنيا العرب زاداً يبينون سماته ويشيرون إلى موضعه وشأنه. ويستبين هذا الواجب المفروض على الكتاب قوياً واضحاً، إذا ذكرنا أن النتاج العربي يمر بمرحلة من الفوضى، والقلق، وأن ما يترجم أو يؤلف أو يدبج في مقال، لا يتم دوماً لدى فاعله وفق خطة مرسومة مبينة لها أهدافها ومنازعها، كما لا يحاول قارئوه دوماً أن يتعرفوا على موضعه من حياة أمتهم وشأنه في جملة كيان البلاد الفكري. وكثيراً ما يكون تخير الكتاب لما يترجمون أو يكتبون تخيراً لا تمليه إلا صدفة عابرة أو نزوة سائرة. ولا عجب بعد ذلك أن يكون اصطفاء القراء لما يقرأون أكثر خضوعاً للصدفة واستسلاماً للفوضى.

ونعتقد أن هذه المرحلة التي تمر بها البلاد العربية تتطلب من كتابنا خطة منظمة في البحث والنتاج، وتفرض عليهم أن يجعلوا هدفهم شق أخاديد واضحة مفيدة في عقول القراء وفتح طرق قوية سديدة تمهد لكيان فكري مكين. ويزيد في خطورة الامر أن النتاج الفكري، إن لم يوجه بمثل هذه الخطة الواعية المحكمة، وجهته غرائز الجمهور أو مطالب المشرفين على دور النشر، فاذا به يحمل إلى القراء ما يهدهد غرائزهم المريضة وما يداعب حواسهم، وإذا به يبغي هز الشهوات المبتذلة والاعصاب الواهنة، قبل أن يبغي هز أعماق النفوس وإثارة مشكلات الحياة الاجتماعية. وهل أقتل للأدب والفكر من أن يرتقا تلك الأحاسيس العضوية اللزجة لدى القراء ويزيدا في غوايتها، بدلاً من أن يخاطبا ما في نفوسهم من شرارات الفهم الصحيح والاهتمام الصادق بالمشكلات الجديدة ؟ وهل من الجائز أن يكون هدف الفكر أن يلدغ بأفيونه أولئك الذين تحتاج أعصابهم المخدرة إلى جرع كبيرة من المثيرات، أو أن يحرق البخور لمن تطيب لهم رؤية الاطياف والاشباح، فيروي خيالهم المريض ويغرقهم في عالمهم المزهوم ؟ أوليس هدف الفكر أن يجلو الفكر الصحيح، الفكر الذي يرى ويرى بوضوح وبينة، والذي لا تحجبه عن الحقائق غشاوات الاوهام وسحب الاحلام وأبخرة الغرائز ؟ وهل كانت مهمة الكاتب في يوم من الايام أن يهبط إلى مستوى غرائز الجمهور وأن يستفيد من ضلاله، فيبيعه على حساب هذا الضلال أنواع الرؤى الكاذبة والبضائع الزائفة ؟ أوليست مهمته أن يرفع ذلك الجمهور إلى مستوى الجدية في التفكير والبحث، وأن يدنيه من وضح النهار، نهار العقل ونوره ؟

وبعد، قد يكون لنا إلى مثل هذا الحديث الهام عود. وما قادنا اليه هنا إلا التساؤل عن موقف كتابنا من النتاج الذي يغزو الاسواق وعن واجبهم حيال ما يكتب، وإلا شعورنا بأنهم مدعوون إلى أن يقولوا كلمتهم في ترجمات تواترت في الايام الاخيرة، تنقل إلينا بعض إفكار الوجودية.

ونود أن نذكر، بهذا الصدد، أننا لم نطلع على حديث عن هذه الموجة الوجودية التي هبت على النتاج العربي إلا في كلمة قصيرة عابرة نشرتها جريدة « صوت الاهالي » العراقية، وكتبها « غائب طعمه فرمان ». وقد كتبها لمناسبة ظهور ترجمة « الايدي القذرة ». وهي في الواقع هجاء قبل أن تكون تحليلاً عميقاً دقيقاً لمثل هذا الكتاب الذي لا تجوز الإشارة إليه بمثل ذلك العبث الخانق. وهي، على جمالها، تتسم بما تتسم به كثير من الكتابات التي أشرنا إليها منذ حين، نعني أنها تحاول أن تهيج أعصاب القارىء وحواسه، قبل أن تحاول إفهامه وإنارة ذهنه.

على أن الكاتب معذور فيما فعل بعض الشيء : فالوجودية لقيت مطاعن من نوع مطاعنه في كثير من البلدان، وعالجها كثير من الكتاب بهذا الاسلوب الثائر العصبي. ولم تكن دوماً موضع بحث واع دقيق. والكاتب معذور أيضاً لسبب آخر : وهو أنه ينظر إلى الامور، فيما يبدو لنا، نظرة مغشاة بحماسة حزبية كثيراً ما تطمس حقائق الاشياء. فهو يحسب أن الرواية حملة موجهة ضد الحزب الشيوعي وأسلوبه، بل ضد

النتاج الجديد

يتناول الاستاذ عبدالله عبد الدائم في هذا المقال موقف بعض النقاد، ممن يكتفون بالنظرة السطحية، او ممن تضرب اهواؤهم الشخصية غشاوة على عيونهم حين يتناولون كتاباً ما بالنقد او التحليل، فيسيئون الى الكتاب المنقود، والى انفسهم في وقت واحد. ثم يحلل الكاتب مقاصد « سارتر » في مسرحية « الايدي القذرة ». ونحن مع تحفظنا تجاه بعض تحليلات الاستاذ عبد الدائم، في تصوير شخصيات المسرحية، ولا سيما شخصية « هوغو »، نعتقد ان هذا المقال نموذج يحتذى في النقد والدراسة الموضوعيين.

« التحرير »

(*) نقلها الى العربية الدكتور سهيل ادريس والاستاذ اميل شويري، ١٨٠ ص.

جميع الاحزاب. ويعتقد أن من شأنها أن تزيل ثقة الناس بالاحزاب والنظام الديمقراطي، مبينة لهم أن الحياة الحزبية «عبث ولهو ومجون» وأن القائمين عليها يسعون إلى «حاجات شخصية، ويتصارعون من أجل غايات خاصة». ولهذا نراه ينتهي بأن يحكم عليها ذلك الحكم الذي غدا، فيما نعتقد، بغيضاً إلى النفوس، فاقداً معناه وهو وصمها بأنها تخدم مصالح المستعمرين والرجعيين وسماسرة الاوضاع الفاسدة. ورأينا أن مثل هذا الحكم على مؤلف أدبي هو أول ما ينبغي على الكتاب اجتنابه، لئلا يقعوا في الابتذال ولئلا يستعبدوا للألفاظ الكبيرة الجوفاء.

وما غرضنا هنا أن ندافع عن سارتر او عن مسرحيته. غير أن الذي نريد ان نقوله هو ما يوافقنا عليه كل انسان، نعني ان الحديث عن مثل هذا الكاتب لا يكون بمثل هذا الاسلوب القاطع الذي لا يحتمل الاستئناف أو التمييز، وان «المسرحية» لا تنقد بمثل هذه الأفكار المبيتة الضيقة. أفلا يشترط لفهم أي كتاب حد ادنى من فتح النفس له وتقبله؟ حد ادنى من الكرم؟ وهل يستطيع ان يدرك ما يقوله الآخرون من غاق ابواب نفسه سلفاً دونه، وواجهه مغاضباً مشيحاً بوجهه؟ وهل يفيد القراء حقاً نقد يدركون عند قراءته أنه يجاوز الحدود مجاوزة مغرقة، وأنه يسرف ولا ينصف؟ وهل من تربية فكر القراء في شيء أن نعودهم على هذا النوع من النقد الجامح الارن؟ لقد وحد «برغسون» بين المتجمد والمضحك، واعتبر مما يثير الضحك التصاب وفقدان المرانة والجنوح إلى الشيء المقنن المرسوم سلفاً. ونحن نكبر الكتاب، وهم أبعد الناس عن مثل هذا التجمد، عن أن ينحدروا في مثل هذا المنزلق اندفاعاً مع سورة تحطم ما في فكرهم من آفاق لينة رحيبة.

والحق، إن المشكلة كلها مردها إلى فكر «سارتر» نفسه. ففي افكاره وآرائه عامة دقة كثيراً ما تخفى على الفطناء؛ وهي بالاضافة الى هذا لا يمكن ان تؤخذ منفصلة عن سياقها العام: فكل فكرة عنده ينبغي ان تفهم من خلال فلسفته العامة ونظرته الشاملة. وكثير من اقواله يمكن ان تحمل على غير محملها إن اخذها القارىء مبتورة مقطوعة عن نسغها الاصلي. وكثيراً ما يعتقد قارئه ان القصد من افكاره هو هذا الشيء المعين، بينما هو يريد في الواقع شيئاً آخر لا يستبين إلا لمن أدرك فكره في جملته ومن خلال مذهبه الكلي.

وهكذا نراه مثلاً في رواية «الايدي القذرة» يود في الدرجة الأولى ان يشرح بعض الافكار التي قد يحسبها القارىء العادي ثانوية في الرواية لتستر بذات بال بينما هي عند صاحبها قلب الموضوع. فهو يريد اولاً ان يبيّن فكرة عزيزة عليه، وهي الصلة بين ذات الشخص وذات غيره، وأثر **النظرة** التي تلقاها من الشخص **الآخر** في خلق الانفعالات وتوجيهها. والذي يريد ان يصفه عندما يحدثنا عن تخاذل «هوغو» وتراجعه عن قتل «هودرر» في البداية، ليس هو، كما قد تظن، خور الانسان وضعفه وتراجع الحزبي حين يكشف انحراف قادة حزبه عما يراه من مبادىء؛ بل الذي يريد ان يصفه قبل هذا هو تراجع الانسان عامة عندما يلقى إنساناً آخر وجهاً لوجهه وعندما يحاول ايذاءه او قتله وهو ينظر اليه ويحدثه ويعرف ما يدور في رأسه:

هوغو: — «إن اي انسان يستطيع ان يقتل اذا لم يقسر على رؤية مايفعل» (ص ١٢٥).

هوغو: — «لو كان باستطاعتنا أن نطلق مشيحين برأسنا» (ص ١٢٦).

هودرر مخاطباً هوغو: «هل تستطيع ان تعدمني الحياة بإطلاقك ببرودة رصاصة **بين عيني** لأنني لست من رأيك في السياسة؟» (ص ١٥٧).

هودرر مخاطباً هوغو ايضاً: «هل يمكنك ان تقتلني بينما انا انظر اليك؟» (ص ١٥٩).

وأثر النظرة، نظرة الشخص الآخر، في انفعال الانسان ومواقفه أمر يهب له «سارتر» كما نعلم قيمة خاصة. وقد فصّل الحديث عنه خاصة في كتابه عن الانفعالات وفي كتابه «الوجود والعدم»؛ ولا يتسع المجال هنا للحديث عنه.

ثم إن «سارتر» يريد بعد ذلك ان يصف لنا حزبياً من طراز خاص، كثيراً ما نقع عليه في الحياة. وهو اذ يصفه، لا يريد من وراء ذلك ان يطعن في الحزبيين ومواقفهم، وانما يريد فقط ان يعرفنا على نموذج من الناس نعرفه جميعاً. انه يحدثنا عن «هوغو» وتصرفاته وتساؤلاته وما يثور في ذهنه حين كلّفه زعيم حزبه ان يقتل «هودرر» لأنه خطر على الحزب. «وهوغو» ليس مثالاً لكل حزبي، وانما هو شخص من نوع خاص كثيراً ما نقع عليه. وليس سلوكه نتيجة حياته الحزبية بل نتيجة طبعه الخاص وظروفه الخاصة. إنه إنسان نشأ مدللاً، ولم يعرف في صباه شهوة الطعام، وكان والداه يفتحان فمه ويقولان له: «ملعقة من اجل البابا وملعقة من اجل الماما وملعقة من اجل انتا ...». وهو بعد ذلك مثقف مُتخم ثقافة وعاش بين الكتب، واكتسب من وراء ثقافته روحاً بورجوازية لم يستطع التخلص منها. وقد دخل الحزب الشيوعي من قبيل الهواية والترف، ككثير من المثقفين الذين يريدون ان يضيفوا الى ثقافتهم وساماً جديداً عن طريق الانتساب الى الحزب. وظلّ في تفكيره الحزبي ضيق النظرة، يعشق المبادىء لذاتها عشقاً جامداً، ويتوخى

فيها « **طهارة تشبه الموت** »؛ بل هو يتذرع بتلك الطهارة، كما قال له « هودرر » كي لا يؤدي عملاً ما، كما يفعل كثير من المثقفين. وهو يعتبر المبادىء غاية في ذاتها لا وسيلة لاصلاح البشر. فهو لا يحب إلا هي، ولا يحب من خلالها البشر والناس. إن الذي يهمه في الناس « ليس ما هم عليه وإنما ما قد يصبحون ». وهو في الوقت نفسه يدرك ادراكاً لا شعورياً انه لا يصلح لان يكون ثورياً حقيقياً وانه مقصّر عن شأو قادة الحزب الآخرين. لهذا يريد ان يعوض عن هذا الشعور وان يثبت لنفسه انه قادر على أفعال الحزبيين الأشداء. ونتيجة لذلك ينزع إلى ان يقوم بعمل هائل كبير، يدل في اعماقه على جبن كبير وعلى رغبة في اثبات الشجاعة حيث لا شجاعة. انه يريد ان يقتل ويغتال كما يفعل غيره. أنه يملّ عمله الاصلي وهو الضرب على الآلة الكاتبة والتحرير في الجريدة، ويريد ان يكون كأولئك الذين كانوا في روسيا في اواخر القرن الماضي: « كانوا يعترضون طريق الدوق الكبير، وفي جيوبهم **قنبلة**. وكانت القنبلة تنفجر، فيتطاير الدوق الكبير أشلاء، وكذلك حامل القنبلة ». إنه يريد ان يشعر بوجوده عن طريق عملٍ خطير، عزم صاعق، فعل حرّ (وهذه فكرة عزيزة على سارتر وعلى الوجوديين عامة كما نعلم). إنه يهدّد بترك الحزب اذا اناب عنه احداً في قتل «هودرر». ذلك انه كما قلنا فاقد الثقة بنفسه، ويريد دوماً أشخاصاً يمنحونه هذه الثقة، ويريد دوماً ان يقوم بأعمال توهمه بأنه جدير بالثقة:

هوغو لزوجه: — «وكيف تريدين ان تعيشي إذا لم يكن هناك من يمنحك ثقته ؟..» (ص ١٢٣).

بل انه يحجم عن قتل « هودرر » لأنه منحه ثقته، ويأسف عليه بعد قتله له للسبب نفسه.

هذا هو « هوغو » كما يصفه لنا « سارتر ». فهل يعلمنا عن طريق هذا الوصف التخاذل والجبن ؟ وهل في وصف هذا النموذج من الحزبيين من حرج؟ افلا يريد عن طريق ذلك انه يفضح حقيقة امثاله من المثقفين الذين يتطوعون لجلائل الأعمال الحزبية بدافع شبه مرضيّ؟ افلا يريد ان يقول لنا ما قاله « هودرر » لهوغو: « ليس خير الاعمال ما يكلفك اكثر، وإنما خيرها ما تصيب فيه نجاحاً أوفر. »، وان يبين لنا ان بعض البطولة الظاهرية تعبيرٌ عن جبن دفين وكره للحياة والاحياء؟ افلا يكشف لنا عن اولئك الذين يريدون ان يبرهنوا لأنفسهم انهم قادرون على العمل فيختاروا « الطرق الصعبة »؟ افلا يقول لنا على لسان هودرر، إن من واجبنا ان نحذر ممن يعصف برأسهم ان يمثلوا دور القتلة وان نؤثر عليهم « اولئك الناس الذين يخافون موت الآخرين، لأن ذلك دليل على انهم يعرفون كيف يحبون »؟ ثم هل نستطيع ان ننكر انه يبين اجمل بيان مآسي عبادة المبادىء عبادة الصنم، دون ما نظر الى غايتها وهدفها؟ وهل لا نعاني في بلادنا العربية الشيء الكثير من مثل هذه العبادة الجامدة الضيقة؟

وعسير علينا ان نحصي جميع الافكار الهامة العزيزة على « سارتر » في هذه الرواية والتي يمكن ان نجد فيها غذاء فكرياً قوياً للقاريء العربي. على اننا لا نريد مع ذلك ان نقول ان « سارتر » لا يبغي في روايته سوى ايضاح هذه الافكار وحدها دون التعرض للمشكلة السياسية عينها، مشكلة الصراع بين الهدف والوسيلة في العمل الحزبي. فايضاح مثل هذه المشكلة من اهداف « سارتر » الرئيسية في كتابه، ومن الامور التي يحرص عليها في فلسفة عامة. غير ان ما نريد ان نقوله فيما يتصل بهذه المشكلة ايضاً هو ان «سارتر» يهدف فيها إلى هدف لا ينجلي للقارىء لأول وهلة: فهو يود ان يبين تغير الافكار بتغير الظرف الاجتماعي، او انبثاقها، بتعبير اصح من هذا الظرف الاجتماعي عينه، معارضاً ما يقوله غيره من وجود حقيقة ثابتة لا تحول ولا تزول، ومن وجود طبيعة إنسانية نهائية أزلية، تامة التكوين سلفاً! موضحاً أن الأفكار والاتجاهات تولد مع الظروف الاجتماعية وتخلق معها، وأن موقف الانسان من الأشياء هو موقف فيه خضوع للمرحلة الاجتماعية التي يمر بها، وفيه في الوقت نفسه حريةٌ وإرادة شخصية.

وهذا التفسير المزدوج لسلوك الانسان هو الذي يجعل فكرته دقيقة صعبة. فهو يرى أن الكائن الانساني كائن تاريخي (فكرة الـ Gechichlichkeit الشهيرة) يعيش في المرحلة التاريخية التي يمر بها، ويُخلق بتأثير المجتمع وظروفه. ولكن هذا الكائن الفرد في الوقت نفسه يصنع الظروف ويخلق المجتمع. فهو مقيدٌ وحرٌ في آن واحد. وهو خالق مصيره ولكن هذا المصير يستلهمه من مجتمعه وبيئته. وقد بيّن خير بيان في المقدمة التي قدّم بها لمجلة «العصور الحديثة» أول ما صدرت، كيف أنه يأبى أن ينظر إلى الانسان نظرة تحليلية مجزّئة

تفصل بين وجوده ووجود مجتمعه ، وكيف يرى على العكس أن كل عاطفة لديه ، وكل تفكير ، وكل سلوك تعكس وضعه الاجتماعي .

وهكذا يبين في روايته أن كلاً من «هودرر» و«لويس» وهما من قادة الحزب الشيوعي في إيليريا ، يصنع آراءه حراً مختاراً ، ولكنه في الوقت نفسه يتأثر بالمرحلة التاريخية التي تجتازها بلاده . فلقد كان لويس على خلاف مع « هودرر » في البداية ، ولكنه في نهاية الأمر ، عندما أخذت الجيوش السوفييتية تقترب ، انتهى مع بقية قادة الحزب إلى الأخذ بوجهة نظر « هودرر » ، لأن المرحلة التاريخية أصبحت تقتضي ذلك ، ولأن وعيه لهذه المرحلة التاريخية قد تمّ بفعل عملٍ ذاتي حر .

ولا يعني هذا ، كما قد يُظن ، أن الانسان غير مسئول عن أفعاله ، ما دامت محكومة بالظروف الاجتماعية ، وأنه غير مسئول عن آرائه مادامت وليدة المرحلة التاريخية . وما يريده «سارتر» هو العكس تماماً . إنه يبيّن مسئولية الفرد الكبرى : ويرى أن كل عمل يقوم به يضيف شيئاً جديداً إلى كيانه ومصيره ويخلقه خلقاً جديداً . فهو يتكوّن بتأثير أفعاله ، وليس كائناً مكوّناً منذ البداية . وهو عندما يعمل ويختار لنفسه يختار للآخرين في الوقت نفسه : أي يشرّع مبادىء عامة . « فالفرد هو الأرض كلها » . وهو وإن كان لا يستطيع دوماً أن يفعل ما يريد ، لأن الظروف الاجتماعية تؤثر فيما يفعل ، مسئول مع ذلك عما يفعل وعن حاله ومصيره ، بل لا يفعل ما يفعل الا وهو يريده . إنه لا يتأثر بالظروف تأثر المنفعل القابل ، تأثر الحجر الجامد ، وإنما يتأثر بها تأثر الفاعل الذي يعطي لهذه الظروف معنى ويقبلها أو لا يقبلها . فهو الذي يجعل من نفسه شيوعياً أو عاملاً أو ثورياً . وهو مسئول عن هذا الاختيار . **« فهو ملزمٌ مقيد كلياً ، وهو حرٌّ كلياً »**.

ولا نريد أن نسترسل في هذا البحث عن الحرية والتقيد عند « سارتر » ، فهو بحث يستنفد الصفحات الطوال . وحسبنا أن ندرك من وراء ما ذكرنا دقة فكرته ، وأن نرى من أي منظار ينظر إلى المشكلة التي تعنينا ، مشكلة الهدف والوسيلة ، في روايته .

على أن هذا لا يعفي «سارتر» من الملامة : فهو دوماً يعرض أفكاراً في رواياته يصعب على القارىء العادي أن يفهمها كما يريد هو ، وكثيراً ما تُفهم على عكس ما يريد . ومهما نبرىء «سارتر» تظل هنالك حقيقة ينبغي ألا ننساها : وهي أن في كل رواية اتجاهاً لا بد أن يفهمها القارىء من خلاله ، وأن فيها خطوط قوى ، إن صح التعبير ، (كخطوط القوى في ساحة مغناطيسية) تجعل القارىء ينجذب إليها فيدرك الرواية من منظارها . وهذا الاتجاه وتلك الخطوط في روايات «سارتر» توجه القارىء غالباً ، والقارىء العادي خاصة ، إلى غير الوجهة التي يريدها «سارتر» . ولا بد من كثير من التأويل والتفسير حتى يستطيع المرء أن يغي باطن الأمور ويدع ظاهرها ، مما يعرّض قراءه لكثير من الانحراف ، ومما يعرّض أتباعه أيضاً ، كما حدث فعلاً في مقاهي «فلور» و « مابيون » وكهوف سان جرمان دي بري ، إلى حمل آرائه على غير محملها والانطلاق بها إلى غير مقعدها . وهكذا نراه يقضي معظم نشاطه في مد وجزر ، في أفكار يعرضها عرضاً موهماً ملتبساً ، ويضطر بعد ذلك إلى شرحها والدفاع عنها ودفع التهم دونها .

وهذه الظاهرة تضطرنا ، فيما نعتقد ، إلى الظن أن في أفكار «سارتر» تناقضاً باطنياً أصيلاً في بعض الأحيان ، وإن كان ذلك التناقض يأتيها من تناقض الحياة نفسها والتباس تياراتها : وسارتر حريص قبل كل شيء على أن يعرض الحياة في تناقضها ونقصها . على أن لنا عودة إلى هذا كله ، وكل ما قلناه دون شك في حاجة إلى فضل تفصيل .

دمشق **عبد الله عبد الدائم**

المشـــرّدون

[الى ضحايا الطوفان الاول !]

وزمزمتِ الريحُ ملءَ الدجى
زئيراً من الهول في مخدعي
يئزُّ صداهُ لدى المنتهى
من الأفق مستنفراً ، لا يعي
وفي رجعه غمغماتُ الرؤى
تزمّر ، كالرجف في أضلعي
فيا للضحى الميّتِ المزدرى !
ويا للدجى الموحش المفجعِ
*
ورجعُ صدى الرعب عبر الصموتْ
يضجّ مدى الافق بالزمزماتْ
وجهشُ رياح الفناء المميت
باعواله يستفزّ الحياة !
وأكواخنا نسجُ العنكبوت
تفوّت دماً ، من جلود العراة !!
ومن سَعَف النخل ،هذي البيوت
تُشادُ ، ومنا سرايا الحفاة
*
وكنّا وأطفالنا . والقطيعْ
على مرفأ العدم الراصد
بنضح النبيع ، ونبعِ الدموع
نكدّ لدى السيّد المارد !
وفي حيّنا ، في مغاني الربيع
يموت حصيدُ الاسى الحاقد
ونعرى . نجوعُ ، وهل من شفيع
سوى شهقة الجزع الهامد ؟
*
وللسحب أعراسُنا . والرياحْ
تنوح على ضفتي « دجلةِ »
وزوبعةُ الرمل تذرو الجناح
مروّعةً خافق الميّت !!
وللقلق الحاشد المستباح
شظايا من الغصّة المرّة
وللأرق الجمر عزف الجراح
بأغنيةٍ من فم الحَيْرة !
*
وفي غفلةٍ ، عن عيون الشراةْ
عتا النهرُ ، في موجه الهادرِ
طغى ساخطاً ، كنذير العصاة
يكفّر عن إثمه الطاهر !
غضوباً ، وللويل فجرُ الاساة
كأن به حَنَقَ الساخر
وظلّ يهد الدُمى الواجفات
ويكتسح الجرفَ ... كالثائر !
*
وذوّى من الرعب هولُ النذيرْ
يزفّ الصدى في ظلال الدمِ
صدى الموج ، في غيّه المستثير
وغلَّ الحزانى على المعصم
شريدٌ . غريقٌ شجيٌّ الزفير
تناثر في الغيهب المبهم !
وفي الوَحَل الثرِّ يغفو الحفير
على لمح فانوسه المعتم !
*
وهِمنا على الماء ، نحن العبيدْ !
وتاه السُرى في الطريق الغريقْ
على قمة التل يأوي الشريد
نجيّاً من الموج ، خلف الطريق
نزحنا خفافاً ، وكنا نريد
بشيرَ القرابين قبل الشروق
وكنّا يداً بيد ... كالحديد !
وأرجلُنا في الحفير العميق !
*
وللسدّ نهدي بقايا الرمالْ
وأظهُرنا ... فديةٌ للهجير !!!
وما عاقنا شظفٌ من كلال
وما هدّنا صخبٌ ... كالزئير
لتنعم « اشباحُنا » بالظلال
وتنجو من الويل شمُّ القصور
فياويح أعناقنا ، لا تزال
بأغلالها ... شهوة المستجير
*
بلا سكنٍ ، اهلُنا . والسوامْ
تلاقفها الموتُ فظّ اليدِ
وأعيُننا سُهّدٌ ، لن تنام
ودجلة في نزوة المزبد !
كأنّا ، من الموج نخشى الظلام
وانفاسنا من حطام الغد
وإنّا من « الغجَرِ » المستضام
تَشرّد في مهمه الفدفد !
*
وفي مهيع الحقل ، عند الرصيفْ
على الشاطئين ، وقلب المدينهْ
وفي كل فجٍ ، قصيٍّ . مخيف
طوى شاحبات الطيوف الرهينه
زحوفٌ بأكوامها ، كالرسيف
يجالد اصفاده ... في سكينه
تحدّق في قسوةٍ ... للرغيف
وتزفر أنفاسَها في ضغينه !
*
ويلسعها البردُ ... يا للشتاءْ
تولى غبيّاً ، ومرت خطاه
تمرّد عصيانه في الخباء
وأعول كفرانُه ... في الشفاه
وفي أضلع الكوخ يهذي الخواء
بتسبيحة الحمد : يحيا الاله !
وتهمي السماء دموعَ الشقاء
لتُغرقَ طوفاننا بالمياه !
*
ومذياُعنا ... راعشٌ كالحزينْ
كأن به لسعةَ العقربِ !
يغصّ على تمتمات الرنين
ويشقى لدى النبأ المكرب
ونبراتُه ثورةٌ من حنين
الى الفرج الاريحيّ الابي !
لعلّ به سلوةَ المستكين
تخفّف من نهشة المخلب !

بغداد علي الحلي

قصة الشهر

تحت الحرير

بقلم مطاع صفدي

بدا لها الطريق الى الجامعة طريقاً الى قمة رائعة، تتجمع لديها حياتها لأول مرة على معنى واضح كالشمس، خصب كالقلب. إنها وهي تصعد بجوار حديقة الآثار ترنو الى الأسد الأغبر الرابض فيها. وهكذا تكتشف فيه هذا الصباح نظرات الأسد الحقيقية: ما أعظم التصميم! ما أقوى أن ينظر الإنسان بكبرياء لا حد لها! ما أجمل السفور عن الوجه، والسفور عن الروح!

الغاية المتلألئة بأنوار تعكسها عليها إرادة من سيحقق الغاية، هي الحقيقة الثابتة وحدها في عالم الإنساني يمور ويزول، يتحول ويفنى. أن يكون الإنسان لغاية، كأن يكون كتاب لمعنى، كأن تكون شجرة لموسم، فذلك ما يجعل الحياة لائقة بعظمة الأمل الذي يبتدعه كائن، تكاد تثقب الآفاق عيونه.

وهذه هي غايتي، حياتي الجديدة، أراها بعد اللحظات الباقية، التي تتتابع بيني وبين أن ينبثق عمري الضحل القديم كله في حادثة صارخة جاسمة، أعددتها أنا بوعي وحريتي الخاصة. لحظاتي تتفجر الآن خلجات في فؤادي. أليس كل امرىء ليحمل ساعته الحقيقية! وإن شغل عنها بالساعة المعدنية؟ ساعته هذه كتلة من اللحم خافقة بين الضلوع، ولا يسمعها إلا صاحبها وحده، تقرع وجوده من صميمه، من بذرته، معينة له زمانه الخاص... وهكذا اختلفت الأعمار، وأعمار الحوادث، ومدد العواطف والصور، وظلال المواقف التي تعكسها حياة الواقع الموارة. أليس لكل ساعته الخاصة — قلبه الخاص — تعد عليه وجوده، من داخل؟ فهي في سرعة حيناً، وعلى بطء حيناً آخر. على السطح مرة، وفي اللجج السوداء مرة أخرى. ساعة فيها الحب والملل، القلق والأمل والنشوة. وكأنها تعد لشيء جليل آخر الأمر، لوقت فاصل، لدقة ينكشف فيها تاريخ الموجود بتمامه. تقف فيها الساعة. أو تنطلق لتبدع زماناً فردياً، مستقبلاً مجهولاً..

قد يكون مصيري الذي أنتظره في ساحة الجامعة، بين الأزهار والسيارات وجحافل الطلبة، ليس بالنسبة لغيري، كما أؤمن به أنا. ولكنه تجربة رائعة لي. ليس أرهب منها موعداً مع رجل. فاني أحاذي الازمة وأناوش خطراً غامضاً. وبهذا ليست أيامي، بعد، تجري كجدول ناعس لا تحس به حوافيه. إنها الذروة التي أدنو منها شيئاً فشيئاً. وكلما اقتربت تسارعت واصطخبت لججاً بعد لجج وأمواجاً وهديراً. لن اسمعها وحدي، بل ستتفجر بين مئات الناس.

هذه اللحظة سأقف ما لم أقفه قط. سأصرخ وسيدوي صوتي في كهوف من لحم ودم: فسيرجع إذن صوتي أصواتاً، وضجتي ضجات وزئيراً. سأخطب، أنا الفتاة، في جمع يحارب بقلبه من يحارب بالحديد والنار.

* * *

فتاة أشبه بالطلسم تحت آلاف من الغلالات الحريرية. تنظر من خلال الحرير الى الشارع. من خلال البرقع الى البشر. من خلال الحياء الى البطولة. تتخضب وجنتاها بأشعة الشمس، تحرقها. وكما تقول أمها: تقتم بشرتها. ترتعد للنسمة، لعلها حملت رائحة حراماً.. وإذ لم يكن ثمة أحد يهمه منها غير ظاهرها، فقد اعتادت أن تتحدث الى نفسها، أن تكتب مذكرات ذاتها. وقد كتبت ذات مرة:

«لست أنا إلا.. جميلة. ولا يعرفني احد إلا جميلة. وما عملي إلا ان اكون جميلة. ان اصون الجمال. ان اتقبل الإطراء.. ان اكون حراما.

أجمل من امها في صباها، وربما اجمل من اختها الكبرى، التي دفع لها «فيها» مهر يبلغ ثلاثين الفاً، مع شهر عسل في ايطاليا.

عروس.. عروس. تلك خلاصة وافية عني.

وحياتي.. مع امي: خياطات، استقبالات، افلام مصرية غرامية، ثرثرة والوان وصباغات ونساء، وفضائح زواج وطلاق وخيانة.. الشرف! كلمة عفنت الشرق..

رباه! لقد أعدوا لي كل شيء من قديم، قبل ان أولد: كيف أنمو، كيف افكر، كيف أمشي وأرتدي ملابسي. حوادثي كلها من صنعهم. إنها حوادثهم. وما أنا إلا تكرار. شاشة سينما ينعكس عليها الفلم والفلم الواحد، عشرات المرات. لا أملك شيئاً غير ان أنصاع، وتلك هي التربية والاخلاق. ان اكون عذراء، حتى من وجودي، وزوجة مخصابة.. وفية حين زواجي الذي لابد منه.. لي ولكل فتاة.»

وكتبت مرة أخرى: «سمعت اليوم حديثهن. كانت رسالة غرام تتداول سراً بين تلميذات الصف. قرأتها كل واحدة، لكي ترمق صاحبتها اخيراً بحسد شره وإعجاب مكبوت. حتى صفيتي من بين هذا الخلق الزجاجي «سعاد» هي الاخرى تمنت ذات الأمنية، ان تصبح هدفاً للاعجاب من شاب ينتظر قرب باب المدرسة، ومن زميلات لها في صف الشهادة الثانوية.

كأنه لابد من حب لكل انثى. ولكنني انا لازلت أهزأ بكل عادة. أليس الحب أيضاً عادة.. محرمة؟ أعترف ان احلامي غامضة جدا، مشوشة غائمة. بيد أنها تنفرج احياناً عن خيال رجل. اما انا فاني عزمت ان اجده بنفسي.. لا هو..»

وكتبت قبيل فحص الشهادة بأسابيع قليلة: «وصلتني رسالته الثالثة عن طريقها المعتاد. سعاد. كاهن ساعيات بريد مخلصات. على ان يطلعن على بعض ما يحملن. على ان يشاركن المرسل إليه فرصته وغبطته وغروره. وأملاً ان يحمل الى الواحدة منهن رسالة اخرى من شاب آخر، يوماً ما.

كتابه هذا لا يستغرق في حشو من الجمل الغرامية المسروقة من الف ليلة وليلة، ومن الاشعار المستوردة من المجلات الرخيصة. كما هي الرسائل التي بعثها الي صبيان كثيرون.

يبدو انه رازن كبير، ويعرفني اكثر مما ينبغي. لقد آلمتني لهجته المتحدية: «انك حرب كبيرة على صباك وجمالك. زهرة رائعة في تربة لا تستحقها. ما بالك قاسية؟ أتحسبين أنك اقوى من ان تحبي؟»

اهانة اخرى من واحد في مجتمع لايعرف إلا ان يهين ويخضع ويقتل ... لا لن احب ، ولن يكون ذلك بأسلوبهم مطلقاً . »

وكتبت بعدها بليلة « لقد عرفته . كان لابد ان اكتشفه . ولم تستطع سعاد ان تكتم الى الابد . لكنها أبت ان تبوح لي باسمه . وفضلت ان أراه مباشرة .

كان احمد ولا احد سواه . احمد الذي وثقت به عائلتي واعتبرته واحداً منها فهو صديق أخي « مكرم » منذ الطفولة . انه يدخل بيتنا ويخرج ساعة يشاء . لقد دفعني الى صميم المعركة أخيراً . فها هي ذي رسائله تجذبني الى قراءتها بلذة سمجة ، ليلة بعد ليلة . وها هو ينتظرني بلهفة فيها صلف كثير عند مفترق شارعنا . وها هي صديقتي سعاد شاهدة على تفاصيل هذه القصة المزعجة .

كيف سأقابله بعد الآن في البيت، وهو يزورنا كل يوم، وتكادتكون كل غدوات أخي وروحاته يشاركه فيها ؟

كنت ، من قبل ، اتحدث إليه كما اتحدث الى إنسان في البيت . وكان يراني في كل هيئة . كانت تفاصيل حياتي اليومية معروضة امامه .. مفضوحة. دون ان احاول اخفاء شيء، فانا اكرهها واكره كل من اشترك معي في مسرحية البيت المتكررة آلافاً وآلافاً من المرات . وما عنيت يوماً بأن أحتاط للأمر .

ليس لدي إذن اسرار فهو يعرفني جيداً . وفي البيت الشرقي لا يحتفظ الانسان بسره طويلاً . هذا الانسان غزاني دون ان يدع لي اي فرصة. ياللوقاحة !

كان بالنسبة لي شيئاً من اشياء الدار، قطعة من الاثاث. وأما الآن فهو أشبه بالزوبعة يكشف عني .. حتى ثيابي . »

وكتبت ذات ليلة وهي في سريرها ، كعادتها قبل ان تنام :

« كانت سهرتنا هذا المساء حافلة ضاجة، احتدم فيها كل نوع من الغضب والنقاش والمهاترة . كنا نجلس في جمود اماسينا المعتادة . ابي بجثته الهائلة يربض فوق كرسيه المريح الكبير ، تتثاءب عيناه خلف نظارتيه الغليظتين ، وتحملقان من لحظة الى اخرى في صحف ومجلات وبعض الكتب التقليدية . واخوتي تسحرهم هيئة ابي العابسة وراء كتبهم ووظائفهم . وامي تنقل بصرها الساذج بيننا وبين ما تنسجه من الصوف ، وبين ساعة الحائط .

كنت ادرك ان امي مضطربة . وهي تعاني من الخوف والحنان ما يجعلها ترقب الساعة الكبيرة بقلق . وتصغي لعل الباب يفتح اخيراًعن الفرد الوحيد المتمرد على مثل هذه السهرات العائلية الخرساء .

وحين قاربت الساعة العاشرة والنصف دخل اخي « مكرم » ولم يأت وحده . بل تبعه احمد . ورغم حراجة الموقف، فقد لمحته ينظر إلي اول ما ينظر .

تنحنح ابي وارتجفت امي . وزايلت عيون اخوتي الكتب الى منظر جديد ، مهما يكن فهو سيدخل شيئاً من الصخب على هذا الصمت الكئيب. وشعرت انا بشيء من الشوق الى ما سيصيب نظام سهرة ابي من تشويش . صاح اخيراً :

– هل هي تلك الاجتماعات السرية السياسية ايضاً يا احمد ? لا اعتقد انك اتيت مع مكرم الليلة لتحميه من تعنيفي .شهران وهو يقضي سهراته خارج البيت . لعن الله الساعة التي دخل فيها هذه الجامعة .. متى كان شبان مثلكم لا يعرفون بعد معنى الحياة يشتغلون في السياسة !

وهنا اختلطت الكلمات بالزمجرات والشتائم. وهي لووزعت لاصابت عشرات منها رأس كل شقي من ابناء الجيل .

وارتفع صوت احمد من خلال صخب ابي . وظهر انه يتحكم في كل كلمة يلفظها، فيسير بها الجهة التي يريد، عالماً بوقع كل حرف في نفس ابي قبل ان يتلفظه. وإذ اوغل قليلاً، تراءى لي انه لا يهدف فحسب إلى اقناع ابي بحق الشباب في العمل العام، ولكنه يود لو يجعل حديثه اشبه بالايحاء المحكم، فيلقي الي بمبادىء اخافتني ، دون ان يطمع بموافقة ابي عليها . فقد كان يحاول ان يجذب انتباهي وإعجابي ولو عن طريق إخافتي وإثارتي . وكان مما قاله :

– ليست السياسة كما تفهمون هي ما نريد . ليست صفقات تعقد بين الاكابر لتطبيق الاصوات في سبيل استمرار المنجهية العائلية والحكمة العتيقة البالية . ليست الكراسي والمناصب وحكم الاشخاص العريقي النسب في استعباد الشعب لاطماعهم . ليست السياسة ، سياستنا ، نوعاً من الامتداد الفاني للسلطنة العثمانية .. من حق الخلفاء وحدهم وحاشيتهم اصحاب الكروش .

فقاطعه ابي محتداً : وما دخلي انا في ذلك ? انك تتهمني وكأنني انا المسؤول عما تسمونه ، في مناشيركم ، الفئة الحاكمة او تجار السياسة .. كل ما هنالك انني احاول تربية ابني كما يحلو لي .. عليه ان يتبع اخلاق ابيه ويقتفي سيرته . انا كنت طيلة ثلاثين عاماً موظفاً اميناً لم يأخذ علي رئيسي مرة انني تأخرت بعد الثامنة صباحاً دقيقة واحدة، او اهملت معاملة الناس، او تمردت على قرار حكومي . وانتم ما بالكم تشتمون كل حكومة ، وتدبرون لها المؤامرات مع من تسمونه الشعب ، وتحرضون هذا القطيع الاسود ضدها .. يجب ان يخضع ابني لقانون الدولة .. وهو الذي سيصبح قريباً موظفاً مثل ابيه .

احمد : بل يجب ان يكون كل فرد منا متمرداً على نظام فريق يحافظ على الاوضاع الفاسدة ، لكي نقيم نظاما آخر ينبع عن حرية كل فرد داخل فيه ولا يأتيه قسراً من خارج .. اجل نحن ثورة بل فوضى بالنسبة لانظمتكم . لقد تعلمتم ان تنفذوا القانون الذي وجد ليجعل الجريمة مبررة والخيانة مشروعة والاتجار بالعروبة عملاً سياسياً شريفاً . لانه من عمل الاشراف وحدهم ..

– وما الذي جاء بالعروبة الى ثرثرتك ايها الغر ?

– بل ان العروبة وحدها هي مصدر كل نظام حي واخلاق جديدة. وإذا كانت قد افسدتها ألسنة الحكام لكثرة ما لاكوها، فهي لم يفسد منها الا كلمها . واما حقيقتها فانها حية في صدورنا جميعاً . من العروبة نستوحي الثورة على الجامد والعتيق والمدسوس والمزيف . من العروبة نستوحي اخلاق البطولة والنبل والكرامة . من العروبة نستمد اعظم معنى للحرية التي رادفت كل عمل جليل خارق قام به اجدادنا يوم فتحوا العالم ..

ابي : يالك من متشدق بألفاظ لا تفقه لها من معنى إلا جرسها اللفظي .. اتحسب يا هذا انني لست من العرب ? ام اننا نحن الآباء لم يبق لنا شيء من العروبة بعد ان احتكرها اولادنا الشباب حفظهم الله .! انني عربي واما انت فلا . اذ تنقصك التجربة . وبعدها ستعلم ما العروبة الحقة . وبعد إذا قلت ان الحرية هي ما تحاولون اليوم ، فلماذا لا تتركوني حراً في تربية ابنائي ؟!

وهنا سنحت لاخي مكرم الفرصة لان يتدخل بعد حماس طويل مكبوت:

– ولكنني حر في نوع التربية التي اتلقى، وتربيتك هذه يا ابي، اسمح لي وعفواً ، لا تنسجم ونوازع الشباب الجديد .

ابي : اخرس . ! ليست حريتك إلا تطاولاً على من اتى بك الى

العالم ومن اعتنى بك واطعمك وحماك وعلمك وجعل منك رجلاً ..

والتفت الى امي : هذا الولد ياسيدتي لن اطيق وجوده بيننا منذ الآن.. اجمعي له اشياءه وليرحل عنا ..

وانخرط اخوتي صغاراً وكباراً في النحيب . وبكيت انا ايضاً . نظر الينا والدنا مبهوتاً ، واحتقنت اوداجه وبرزت الطيبة الساذجة فجأة الى تقاطيع وجهه . وهرع الى غرفته . وقد لحقت به والدتنا . وسمعته من خلال نشيجه يقول لها : هؤلاء الشباب يا صفية يجعلونني ابكي إعجاباً بهم وشفقة عليهم .. إن الطاغوت لن يرحمهم . !

اذهلتنا دموع ابينا فوجمنا وكأننا شعرنا جميعاً بوقر جريمة ساهمنا فيها كلنا . ولكن اخي البالغ من العمر عشرة اعوام تقدم قليلاً من مكرم صائحاً : لقد آلمت بابا يا مكرم .. إنه يحبك ويحبنا جميعاً .

وإذ ذاك وجدتني اتدخل لاول مرة فأقول له بشدة : « الا تعلم يا هذا ان ما يغضب اباك عند تأخرك ليلة بعد ليلة هو انه لا يستطيع ان يراك الى جانبه .. إنك تحرمه من رؤيتك وتقلقه على مصيرك . وانت تدري كم يعول على السهرة العائلية الكاملة ... الهادئة » . وقلت آخر كلمة بشيء من البرود الاصم . واجابني احمد . ولم يرق لي ان يتكلم عن اخي . وإن اعجبني في النهاية جوابه : « عفواً يا رباب .. اشعر اني وحدي المسؤول عما جرى الليلة .. ولكن الا ترين معي انه كان لا بد من مثل هذا الموقف الحاسم اخيراً ؟ لعل كلا الطرفين يطامنان من تطرفها : ابوك من عاداته الصلبة ومفاهيمه ، واخوك من عناده وتحديه المستورد ..

ولم يتم كلامه . فقد رأى في نظراتي مـا يمنعه عن ذلك . وبعد صمت قليل اجبته في حمـاس اخجلني فيما بعد : — بل يجب ان يكون عنيداً الى اقصى حد واقسى مما تعرف انت .. وكذلك فلنكن جميعاً كذلك !

وهكذا بحت بشيء كثير مما كان ينمو بنفسي ولا اعلمه .

قال احمد : إنك على حق .. وإنني معجب بالتطرف الذي يعد لنـا اكبر طاقة وقدرة على متابعة طريقنا .

والتقت عيوننا . وضايقني ذلك . وفهمت انه يسألني شيئاً خاصاً بنا .. لا بل به وحده .

والآن وانا اكتب اليك يا نفسي اسائلك : ترى هل حقاً سيتلقى جواباً على رسائله الثلاث ؟ »

وكانت إجابتي له بعد شهرين شفهياً : إنه ليس لدي ما اقوله له . . الآن. فكف عن إلحافه دون ان ينثني نهائياً عن عزمه .

* * *

ومضى عام ونصف . ورأيت نفسي ذات ليلة اكتب له رسالة هذا نصها.

« احمد . عيناك تلاحقانني ابداً . وكلامك لي يبطن قلقاً وعتاباً وحزناً لاتجد احداً تلقي عليه مسؤوليته سواي .. لماذا يا احمد ؟

أتقسرني على ان اكتب إليك ؟ حسناً ، لقد اجتمعنا من جديد في الجامعة وعلي ان اقول لك شيئاً .

اتذكر ما كتبته لي في رسالتك منذ عامين: جمالك زهرة في تربة لا تستحقه. تلك إهانة مسمومة . واليوم ادرك شيئاً آخر كالصدى البعيد الاعمق لقولك ذاك في نفسي . اتدري يا صديقي انني منذ وعيت وجودي افصل دائماً بيني وبين جمالي ؟ إن الفتيات كما تعلم لا يشعرن بالوقت مطلقاً امام المرآة . يتغزلن بجمالهن ، ان كان لهن ذلك . اما انا فلا انكر انني هكذا ايضاً . ولكنني اعتدت حينما انظر نفسي في المرآة الا ارى جمالي إلا وكأنه صورة دمية .. صورة جميلة لاي إمراة اخرى ما عداي .

او انني انفذ حيناً آخر الى ما وراء القناع الابيض المورد ، واتساءل عن معنى كل هذا الجمال الذي أحببته انا كما أحببته انت . ومع ذلك ترى هل علي ان اكون جميلة .. جميلة فحسب . اهذا كل دوري على الارض ؟

وامر آخر اريد ان اثير تفكيرك فيه . لقد تبينت لي يا احمد اشياء كثيرة في سهرتنا الصاخبة . والتي كان من جرائها ان حرم عليك دخول بيتنا مدة اكثر من ستة اشهر . ادركت انك لا تأبه إلا لمدى قدرتك على التأثير في الآخرين . فانت اوقعت اخي تحت سيطرتك . ولا ريب تود لو تجد نفس تلك السلطة علي ، ولكن عن طريق آخر . فلو ان الفكرة التي ادخلتها في رأسه اصبحت فكرته لما احتاج الى دفاعك انت عنه . فلا ادري ان كانت العقيدة هي التي يؤمن بها ام شخصيتك المحبوكة جيـداً . اتذكر .. لقد جاء بك تلك الليلة لتحميه من سخط ابيه ..

إن الفاصل الدقيق بين شخصيتك وفكرتك يجب ان يكون اوضح مما هو عليه في الواقع . لست ادعو بذلك الى استقلال الفكرة عن معتنقها .

وإنما اخشى عليها من عدم التطابق والامتزاج الصحيح . اخشى عـلى كلا الطرفين في شخصيتك التي لا تنفعل بأصالة وعمق تلقاء حوادثها .

ربما ستعجب لكتابتي هذه . وانا من انا تحت الحرير . لا تنس ان لي وسائلي ايضاً لان اطل على العالم . صحيح انني انظر الى حوادث عالمكم من خلال الحرير . ولكن لا يغرب عن بالك انه حرير .. ولا تنس ايضاً انه لو قدر للكائن خلف الحرير ان يتسلح بوعي فـوق الانثوي الشرقي بقليل لاستطاع ان ينفذ الى اسرار اهتماماتكم الكبرى . على الاقل عن طريق المراقبة غير المتعاطفة . وبهذا يبقى الغموض يكتنفه وحده . والوضوح يخيم على عالمكم ، ما دام الكائن مخبأ تحت الحرير . تلك عـادة اخرى افادتني قليلاً ، وسأنتصر عليها هي ايضاً قريباً .

المرأة بنظركم غايتها الحب . ولكنه احياناً قد يكون وسيلتها لبلوغ كوامن عاطفية وفكرية اعمق من مجرد النشوة . قد تطلع على مـا لا يتوصل اليه بالتفكير الحكمي المجرد . وكل ذلك لان الحب قدرة عـلى النفوذ لا حد لها .

واول ما يكتشف الحب يا صديقي — وتلك هي تجربتي تلقاءك — قيمة موضوعه ويجدها للأسف دائماً سخيفة محدودة لا تطاق ، ولا بعد ثالثاً لها . إذ انها لا تتناسب وهذه اللوعة المشوقة التي تؤزم وجدان المحب . وليس في ذلك خيبة مطلقة تقضي على الحب ، هذا الانبثاق المثير للعالم . ولكنه يدفع به ابداً الى افق اوسع واوسع ، بعد ان تزود منه صـاحبه بتلك الحساسية الوجدانية المرهفة بالمعاني الدقيقة والمـواقف الخفية العميقة التي تنطوي عليها الحياة اليومية . وهكذا تصبح هذه الحساسية مقياس إنسانيته الحقيقي . إنسانيته .. قدرته على الشعور الى ما لا نهـاية .. بالاعمق والاجمل والاحق .

وانا قد قفزت منك الى ما هو ابعد منك .. اجمل واحق !

لم تثرني انت ، بقدر ما اثارتني الرسالة التي تدعيها ... الثورة . هذا اللفظ الذي يطربك جرسه لا تحقيقه . قد يتراءى لك ، كما حدثتني مرة ، ان علاقة عكسية تربط الحب والثورة . بين ان يفجر المرء كل قوته نحو خارج ، وبين ان يجمعها معمقاً إياها في ذاته . بين التشتيت والتركيز . انا لا ارى غـير ذلك . ان الحب نفسه ثورة . وخاصة في محيطنا . فهو بالنسبة الى الفرد من امتنا ثورة على ما اعتاده من العواطف والافكار السطحية المبتذلة التي يلقنها تلقينا ويعارها إعـارة . انه بـدء لان يعيش الانسان حقيقته هو التي يكتشفها خلال هذه التجربة الفريدة ، بدل ان

يعيش نسخة عن الآخرين ومثلهم . وفي ذلك سيكون العاشق وحيداً غطلقاً مع مصيره . لن تفيده نصيحة اي انسان . ولن تكون تجربة ميره دليلاً لتجربته . وهذا احد السبل الناجعة لان يكون الفرد صنع ارادته . هذا ان كان يملك ثمة خصباً اصيلاً، والا فستفقد تجربته طابعها وتسقط في ابتذال مثيلاتها .

واما انت،فقد رتبت الامور في عقلك على غير ما تسيرعليه في الواقع . خاصة بالنسبة لي : « شابة جميلة لها طموحها الانثوي (المعتاد) ، محظور عليها الاختلاط ، وانا الشاب الوحيد الذي سيتصل بها، وستراه باستمرار . فلا بد في النهاية من الحب ..» بعرفك .وهذه هي العبودية بعرفي . لانك لن تعرف حقاً الحب الصحيح .وتجربتك عنه فاشلة مصطنعة من الفها الى يائها .

لقد استمعت اليك تلك الامسية وانت تدافع عن اخي . قل لي انك لم تلق بمطاعنك ضد ابي ، إلا لانك نفسك لم تكن تستطيع إقناع ذاتك ببرهان حقيقي يثبت مزاعمك . تلك حقائق ولا ريب ، ولكنها عندك لم تزل بعد مزاعم . فاجأت إذن الى ما يشبه الشتائم .

انت مغرور يا احمد ، وذاك مرض اغلب شبابنا نصف المثقف . لا يهمك من الثورة إلا ما تفسحه لك من مجهول جديد يثير فيك الحلم بالمغامرة . لا المغامرة نفسها . واني اقول لك لبس من دواعي الثورة ان تحب . ولكن من دواعي الحب ان تثور .. تثور على نفسك المزيفة ومجتمعك ، هذه البركة الآسنة من حيوانات عصور ما قبل التاريخ . واذا كان ثمة كائن تتوضح لديه الثورة فهو عند نقيض الثورة .. المرأة . واكثر من ذلك المرأة العربية التي تتركز فيها وتلتقي عندها جميع تقاليد المجتمع غير الحر !

ولهذا يا صديقي ، فاني صممت ان اثور .. واول ما سأثور عليه هو قاعدة ان اكون جميلة .. محبوبة . سأشتغل في السياسة . ولن احتاج الى دفاعك إذا ما اصطدمت يوماً باطاري العائلي . »

* * *

ذات صباح دوى صوت حاد ثاقب في اروقة الجامعة . ومالبث الطلاب أن اجتمعوا في الساحة الخارجية . وكان الخبر كالنار يتداوله الشباب : يقال ان فتاة تخطب .. يقال انها ستقود مظاهرة اليوم .

وكان احدهم . يقف قرب الجدار يهزأ في بسمة، واضح انها ساخرة . ولكن ما هو موضوع سخريته ؟ اهذه التي تتقاذف منها الكلمات كالرصاص الذي سيتفجر قريباً حول السور من مرتزقة الديكتاتور المحيطين بسياج الجامعة ..؟ام هو نفسه ، من يقف لا يدري هل يصدق اذنيه فيلتهب حماساً كهؤلاء الفتيان والفتيات ، ام يجمد كقطعة من الجدار المستند اليه . ويملأ ذاته احتقاراً كافراً بكل ما اتاه من اعمال ثورية .. جليلة ، راحت تبدو له الآن كأنها فارغة من مغزاها الاصلي الذي تعزى به طويلاً عن كل المشاق التي سببته له ؟ ترى ايكون الجندي في الجبهة ولا يحارب ؟ ايقتل ويهدم ويسجن ويضرب ، دون ان يفعل او ينفعل بشيء من هذا في الواقع ؟ وتساءلت اعماقه بوحشية مكشرة . اين الصدق في حياته ؟ !

ونظر اليها : مخيفة بكلماتها الصخرية . تهتز ، وليس غنجاً ارتعاشها . تهدد بقبضتها ، وليس في زندها اساور ذهب تثير خشخشة بلهاء تحماق عيونها في وجوه المتظاهرين ، فيرون فيها الكلمات قبل ان تنطق بالكلمات . ويلمحون فيها الوقائع ، مشخصة معانيها، التي ستصير اليها الفاظها . عيون جريئة ليس فيها كسل الحلم . بل يقظة ساطعة تقذف الشرر المحرق . وشعرها يتواثب على جبينها كعاصفة مكبلة .

انه يذكر مواقف عدة له كان يلقي فيها الخطب النارية . ولكنه لم يكن مرة يرجو في الوجوه التي امامه اكثر من امارات الاعجاب بمعانيه وروعتها . ويلتهم الازدراء احشاءه لاول مرة ، اذ تتكشف له حقيقة نفسه حينما كان يتصدر الهجوم على الشرطة . فقد كان ينظر خلفه ليرى كم من العيون تراقب بطولته . اواه .. إذن كاد ان يموت اكثر من مرة في سبيل ماذا؟ حتى انه كان مستعداً للقتل فيما لو رآه الناس والشعب والحزب .

ليس هذا .. بل ان للابطال بعض العادة ، بعض العزاء . فهم يحتاجون الى الاعجاب . وما البطولة إذن ، اذا كان الانسان يعمل وحده ؟

اما هذه ... هذه الفتاة كالحمم البركانية . اين انوثتها ؟ هي قاسية ! وتدعي اليوم انها تخطو خطوة جبارة في ميدان النضال الانثوي .. العربي .

إنها تدفعه ، ارادت ام لم ترد، الى الشعور بحقارة لا حد لها امام كبريائها الصادقة .

كل شيء فيها الآن يصرخ . انها تثور للثورة نفسها، المثل الاعلى الحقيقي . لا تكاد تستهدف ثمناً لنضالها الا الاعجاب . فهي تملكه لانها جميلة . ولا للتمجيد والتصفيق . وها هي ذي لاتقف عند جملة لتنتشي بالتصفيق والهتافات لتمجيد نضال المرأة العربية ، التي تتصاعد من قلوب الشباب . وكأنهم فتحوا فتحاً مبيناً . ونالوا نصراً عظيماً دونه النصر على الديكتاتور القزم .

المرأة العربية .. فايتحرك هذا المخلوق منذ الآن .

انه ليس يحقق الانقلاب العربي الا من كانوا اكثر شعوراً بالظلم والمرارة والفراغ . ليس فقط الفقراء والعمال والفلاحون . ان لدى هؤلاء يتجسم الظلم المادي . واما الظلم الاقسى ، ظلم القلوب والوجدانات والحريات ، فلنفتش عنه لدى امرأة تبحث عن الكرامة ، ولدى رجل يجوع للوجود الاكمل .

هذا ما ارادت ان تقوله له دائماً .. وهي تحت الحرير . وابى هو ان يعترف بنضالها . وإنه ليحس الآن بأعماقه انه قد ساهم بنوع من الظلم كان آخر ما سدد الى فتاته هذه .. التي تقود مظاهرة اليوم في الجامعة .

* * *

هكذا . . لم يعد يصطخب صوتها والهتاف فقط . لقد دخله عنصر آخر رائع .. الرصاص .

واندفعت الجموع نحو الاسوار . وبينهم كان احمد يكافح كي يصل الى امام . اعتقد بلمح البصر انه لا بد من تضحية حقيقية هنا اليوم . هذه فرصته . ولم يفت الاوان بعد . وقبل الباب الكبير توقفت المظاهرة .

وسمع احدهم ينادي : اختاه . لقد برز مكرم اخيراً في جناح آخر من المظاهرة المندفعة .. وكان هو ايضاً يقود ..

وعند الباب الكبير ، قبله بخطوات ، توقفت المظاهرة . وكان لا بد من طليعة تقذف بنفسها وتفتح البوابة . وتكون اول من يواجه البنادق الرشاشة المصوبة . وفي تلك اللحظة التي كانت فيها رباب تتحفز للانطلاق ويهدر بعدها الجمهور ، بلغ احمد الخط الاول .

لقد حملقت في بندقية احد المرتزقة القريبين ورمته بنظرة ازدراء نارية واندفعت صائحة : اضرب .. يا حقير . !

وبلغت قفل الباب بأسرع مما ادركه فيه الموقف كل من الرجلين ، المرتزق واحمد . وطار صواب احمد .. ودفع بجسمه امامها .

ومرة اخرى ازدرته عيا رباب .

وتطاير الدم ، وخفتت الاصوات ، وران سكون ذبيح .

وهكذا سقط في ذلك اليوم جرحى كثيرون من الطلاب ... والطالبات .

دمشق

مطاع صفدي

الاجتماع الخادم في الفن والأدب

بقلم الجنيدي خليفة

يرى دوركهايم « أن أفكار الانسان ليست ثمرة نشاطه العقلي فحسب ، بل ثمرة البيئة الاجتماعية التي يكون جزءاً منها ايضاً ، وان ثمة شيئاً يمكن ان يدعى (عقل الجماعة) وهو أكثر من مجرد مزيج مؤلف من عقول أفراد الجماعة ذاتها (١) »

ومهما يكن من حاجة هذا الرأي إلى الادلة الواقعية ، فان فيه جانباً من الصحة لا ينكره الناقدون للمذهب الاجتماعي . فقد جاءت علوم التاريخ والانتروبولوجيا والاجتماع مؤكدة لاهمية البيئة في تكوين سلوكنا وتفكيرنا واصطباغهما بصبغة ملائمة لديناميات المجتمع الذي نحياه ، فليس من الغريب أن يتكلم الناقدون عن علاقة فلسفة كالبراجماتزم مثلاً بالروح العملية يتصف بها المجتمع الامريكي ثم يبدوا استعدادهم للاستغراب من ظهور فلسفة (ميتافيزيقية) في تلك البقاع ...

وواضح ان هذا لا يعني ان موقف الفرد من بيئته ليس إلا موقف التلقي والقابلية السلبية ، فهناك ساسة ومصلحون ورجال دين ومنظمات ... بل وحتى افراد عاديون قد ساهموا في مصير مجتمعهم بطريقة عملية . ولقد حفظ التاريخ لامثال هؤلاء نماذج لن نتمكن من إحصائها بسرعة ..

وقد يبدو ان طبقة ممتازة من « رجال التاريخ » لا تعمل بايجابية فحسب ، بـل هي أيضاً تقود المجتمع . والواقع أن هذا التخصيص لا يخلو من الخطأ ، فحقيقة الأمر أن التأثير متبادل بينهما شأن أي عمل تعاوني متكامل . ولكن مما لاشك فيه أن تحسين حالة الفرد مادياً ومعنوياً يؤدي في الوقت نفسه إلى تحسين حـالة المجتمع ذاته ... ومـن ثمت فيجب الا نهمل احدهما ، والسواد في سبيل التفرغ للممتازين ، واعتبار كهذا قد يؤدي الى تحويل وضعية أدبنا وفننا إلى اعماق هذا السواد المضطرب ...

إننا لا نكون متجوزين حين نعبر عن الفرد بالعضو ، بل الواقع أنه استناد الى طبيعة علاقته : إننـا حينئذ ننظر اليه باعتبار أن له وظيفة ما داخل هذا الجهاز الذي ندعوه بالمجتمع.

ويمكن ملاحظة ذلك التأثير المتبادل بين الافراد في مجالات واسعة . وعندما ننظر اليه من الوجهة الأدبية يجب – ووفقاً لطبيعة البحث – أن نخص من الافراد فريق الأدباء والفنانين والمفكرين ... ثم المركز الرئيسي الذي ينبعث منه تـأثير هؤلاء ليؤثروا – بـدورهم – فيه هو بالذات .

وليس تعيين هذا المجال بعسير اذا سلمنا بأن علينا أن نؤدي اكبر خدمة ممكنة للمجتمع – كل في ناحيته الخاصة . إن الامة العربية كلها ما زالت تعاني كثيراً من المقاومة الاجنبية ومن هذه الامتدادات الاقتصادية والثقافية والسياسية الخ ... الناتجة من جراء المقاومة ، وفي المغرب العربي حيث تشتد وطأة المستعمر المتمثلة في العمل على محو شخصيتنا القومية وتشويه تاريخنا ، وحيث يعاني الشعب من البؤس والمهانة والجهل والفقر والمرض توتراً حاداً عنيفاً .

لقد آن ان ننظر الى مختلف اقطار العروبة لا كوحدات مفككة ، ولكن ككل متكامل ؛ ونظرة كهذه تؤيدها المصلحة المشتركة كما تؤيدها الاصول الطبيعية والتاريخية ... يجب أن يعي الشامي والمصري والعراقي أن الجزائري اوالتونسي او المراكشي عربي قبل أن يكون (مغربياً).

هذا المجتمع الواسع المتعذب ، هذه الالوف التي تشرّد ، وتهاجر وتموت جوعاً وبرداً ومرضا ، ثم هذه الروح التي لم تستكن وإنما ظلت طامحة ، مؤمنة بكفاحها ... إن كل ذلك جدير بان يعين المنبع الغزير الذي يجب ان يغمس فيه قلم الاديب وريشة الرسام وآلة الموسيقار ... ان في ارهـاف الحواس اليه لألهاماً نافعاً ناضجاً ، انه أسمى من ذلك الذي ينشدونه في « لون الاصيل ... »

من العجيب حقاً ان يوجد أدباء (كبار) لا يبدون فيما يكتبون تكيّفاً ملائمـاً لروح مجتمعهم الذي يحيونه ، وينصرفون بدل ذلك الى التنقيب عن قشور ضامرة لاتستحق بذل الجهل . لقد نسوا التطورات التاريخية واهميتها في تقييم الاشياء..

انهم يعدون انفسهم أدباء ، مع أن وضعيتنا الاجتماعية قد فرضت علينا الا نقنع ، بل ألزمتنا الا نعتبر أدباً ذلك الذي لايساهم في خدمتها ، فليقنعوا حينئذ بانهم مؤرخون كلاسيكيون

---

(١) علم النفس الحديث ، تأليف الدكتـور سرجنت ، تعريب منير البعلبكي ، ص ١٣

او اي شيء من هذا القبيل ما عدا الادب .

ان التشبث بالماضي لذاته — وان لم يشعروا بانه كذلك — عدم تكيف مع الحياة ، وبالمثل عندما تغرينا فكرة الرجل السابق لعصره فيضع أحدنا خطة لغزو نقوم به بعد التحرر! . حقا ان هناك جذوراً وامتدادات لا يمكن اغفالها ، ولكن يجب الا نجاوزها .

قد يقال ان تقييد الاديب والفنان بالخدمة الاجتماعية تقييد لحريته ، وهذا صحيح مبدئياً ، ولكنه لا يعني ابداً الانتقاص الذي يقصدون . الا اذا قلنا ان اي نشاط للمرء انما هو سداد وصلاحية ! وبداهة ان سلوكنا جسمياً كان او شعورياً لا يخلو في جملته من الخطأ والتعسف والفساد على اية قيمة من القيم ، وكما نميل عادة الى الراحة وتحقيق شهواتنا وغرائزنا البدائية فقد نميل كذلك الى قراءة او انتاج القصص الغرامية وقصائد المغازلة الجنسية والى ادب « خرير الجداول » « واطباق الغيوم » . ولكن مما لا شك فيه ان انظمة المجتمع لا تسمح لنا بتحقيق تلك الميول الفجة ، المنافية لمبادئه واخلاقه ، ومثل ذلك الاديب الذي يضيع الوقت والورق والمجهود في مواضيع عقيمة تافهة ، انه يجب عليه ان يكبتها عن القراء ما دامت في حالتها البدائية بالنسبة الى الادب الخادم للمجتمع ، وهذه الحالة بدائية لا مجازاً بل حقيقة ، ذلك ان الاحساس بالجمال انما يبتدىء في مراحله الاولية بالتأثر بالاشياء الطبيعية ، وانه لموجود حتى في اكثر القبائل اغراقا في البدائية « مثلما هو موجود في اكثر الناس تمدينا ... بل انه يبقى حتى عندما ينطفيء نور العقل ، لان الابله والمجنون قادران على الانتاج الفني (الطبيعي) ، فخلق الاشكال او سلسلة من الاصوات التي تستطيع ايقاظ الاحساس بالجمال ، ضرورة اولية بطبيعتنا. فطالما تأمل الانسان بسرور الحيوانات والزهور والاشجار والسماء والمحيط والجبال (١) . »

وعلى العكس من ذلك الاحساس بجمال المثل والقيم الانسانية ، اذ انه يحتاج الى نضج نفسي وحضاري ، والى مرحلة من الاعداد الطويل : وهذا ما يفتقر إليه منتجو (الفن للفن) اجمالا ، اذا ان انتاجهم إنما يعبر عن حقيقة واحدة هي العجز عن الاحساس الجمالي بمعالجة أوضاع المجتمع ، ومن ثمت الهروب من مشاكل الحياة ، وان وجدت — نظرية الفن للفن — بعض المدافعين ، على أساس ان هذا اللون من الفن يتصل بالحياة اتصالا وثيقا مادام قد صدر عن الكائن الحي نفسه! والواقع ان مثل هذا الدفاع لا يدلّ على اكثر من (تميع) الدلالة بحيث تخرج عن المعنى المقصود من الادب الحياتي او الملتزم ، مثلما نقول عن عمليات التهويم والاحلام انها متصلة بالحياة . والواقع انها لكذلك بشرط ان نستبعد عنها كل عمل جدي فعال؛ ومن البدهي انه يمكن تسمية اي شيء بأي اسم باعتبار انه اصطلاح . وهكذا عندما يكون المقصود من الالتزام تشخيص مجتمعنا وعلاجه بواسطة الادب والفن ... فان اروع رواية عن اهل « العالم الآخر » لن تكون من الالتزام في شيء ...

على ان هناك مدافعين « ماورائيين » قد يكونون على براعة في التأويل ، الا انهم قد وقعوا في نفس الخطأ ، أي « تميع الدلالة » فهم إذ يزعمون انه حتى ذلك الضرب من (الفن للفن) لا يخلو من خدمة اجتماعية — عرضية — يبنون المسألة على أساس انه يهب لنا راحة لا نجدها في كفاحنا اليومي ، وهذه تجعلنا أقدر على مواجهة الحياة ...

ان هذه النزعة الاجتماعية لا تكفى كمبرر لانصراف الاديب عن خدمة المجتمع ، وفضلا عن ذلك فانها لم تجعل من الادب اكثر من لعب الورق او مشاهدة حفلة او اي شيء آخر يهب الراحة والسلوى .

وغنيّ عن البيان أن الادب الملتزم لا يقنع بهذه الخدمة التافهة مـا دام وسيلة مباشرة او قريبة الى تقدم المجتمع في جميع اوضاعه الاقتصادية والسياسية والثقافية ...

ومن المعلوم أن اعتباراً كهذا لا يعني البتة تجريد الادب من قيمته الذاتية ، أي المتعة ، ولكنه يعني التوسل بهذا التأثير الايحائي إلى الاقبال على نفسية المجتمع ومعايشته .

ذلك أن الامتاع في الفن والادب عنصر جوهري ، وهو الذي يميزهما عن سائر ضروب النشاط الفكري الاخرى ؛ ومن هنا يظهر خطأ القائلين بوجوب تجريد الفن من أية غاية غير ذاته ، بحجة المحافظة على (سموه) ؛ اذ أن مثل هذا الرأي يشير ضمنياً إلى أن الفن الملتزم خلو من الامتاع مـا دام يستمد مادته من حاجات المجتمع ، فكأنما الامتـاع مقصور على مواضيع معينة لا على قدرة الخلق والابداع !

إن الكاتب القدير ليستطيع أن يخلق من ملاحظة المشردين والمرضى والفقراء ، ومن تلك الجثث التي استشهدت في سبيل

(١) الانسان ، ذلك المجهول ، تأليف الكسيس كاريل تعريب شفيق اسعد فريد صفحة ١٦١

الفرقة الفدائية الاولى

[في الوطن العربي معاقل كثيرة للاستعمار ، وآلاف الفدائيين يستعدون لدك الحصون على رؤوس اصحابها]

« لا تقتربوا ...
الموت هنا لا تقتربوا ! »
... وضجيج الالات سياط تشدّ على الأذن ،
وصرير الاحذية السوداء تخط الظلم بلا وهن ،
« لا تقتربوا »
ودخان المعمل الوان من ذلتنا
يسري عبر النخل الحاني في قريتنا ،
وجموع العمال الحيرى من أخوتنا
سوط .. انفاس تضطرب
« لا تقتربوا »
المعقل مضمون للمستعمر باسم الوطن !!
رغم الحاقد رغم الزمن ،
للعين الزرقاء حقوق لا تُغتصب
سنظل هنا ..
وليهتف اصنام الوطن :
« عاش الذهب » ،
وتهامس شبان القرية في ظل الأنفاس الحرى
وتعلقت الأبصار على الأملاك تناجي السرّ !
« الارض لمن ... الارض لمن
اشلاء الاجداد الابطال زرعناها
ومن الدم والدمع المسعور سقيناها
الارض لمن ... الارض لمن
للعين الزرقاء عصرنا قلب الأمه
ألتغمر اقدام الباغين مقابرنا ؟
ونبيع على نغم (الدولار) منازلنا »
وتفجّر بركان يشتد من النقمة :
ألهذا ناضلنا زمنا ؟
الهذا قدمنا ثمناً ؟ ؟ ،
« لا تقتربوا ... »
وتطايرت الانفاس على الشفق القاتم :
« لاتقتربوا .. خطر جاثم »
وعلى ضوء النجم الساري
بدمائهم العطشى كتبوا :
« الارض هنا للأحرار
وعلى جنح الفجر المخضوب سنلتهب
ناراً يعتز بها العرب
ناراً حمراء سنلتهب
أنتم .. أنتم فيها الحطب
الموت الموت لمن كتبوا :
لا تقتربوا ..
الموت هنا .. لا تقتربوا »

الخالص — العراق **عصام عبد علي**

الكرامة والفداء اروع إمتاع فني إلى جانب الخدمة العامة ، وإن كان لا بد من الاستشهاد بالتاريخ فان لمحة عابرة إلى منتجي (الفن للحياة) من امثال فولتير وروسو ، وتولستوي لتكفينا جهد الاستقصاء ، إن احداً لا يشك في القيمة الادبية لآثار مثل هؤلاء ، كما لا يشك في ذلك الانقلاب العظيم الذي أدت اليه آثارهم تلك .

* *

نستخلص من هذا كله أن تحقق الامتاع وحده في الفن لا يكفي ، إذ أنه بمثابة الاطار العام الذي يكسبه حدوده الذاتية ، بل يبقى بعد تحقيقه اعتبار الخدمة الاجتماعية كوظيفة تطورية له ، لا يمكن الاستغناء عن عملها ، كما لا يمكن الاستغناء عن أعضائنا الضرورية ، إلا إذا ابدينا استعدادنا للرضا بالشلل والكساح .. ، وبالمثل فان الخدمة الخالية من الامتاع بقطع النظر عن قيمتها ، قد تكون سياسة ، او وعظاً ، او فلسفة ... الخ الا أنها لن تكون من الأدب في شيء بمعناه المحدود الشائع ، وقد لا يوفق كل أديب الى تحقيق (الامتاع الخادم) فيما يكتب فينتج فناً ركيكاً جافاً اشبه شيء بسرد الحوادث ومحاضر البوليس . قد يوجد هذا النوع الا انه لن يدل على أكثر من التقصير او القصور .

وبعد فان « الامتاع الخادم » ليس الا مذهب الالتزام في الفن والأدب منظوراً اليهما من الناحيتين الذاتية والوظيفية متكاملتين ، ومن ثمة فهو أبعد من ان يكون مجرد توفيق بين نظريتين مختلفتين .

تونس **الجنيدي خليفة**

(من رابطة القلم الجديد)

في سوق العبيد

في ضلوعي دفقة عارمة لا تستكين
في ضلوعي أنني أحيا حياة الميتين
يا أنا ، يا سلعة هينة للمشترين
يا أنا ، يا قدحاً في سهرات المترفين
يا أنا ، يا شمعة تحرق ليل الكادحين
في ضلوعي ، أيّ إعصار من الحقد الدفين

تلك آفاقي : دماء ، وحراب ، وسجون
وجباه في الدجى تنزف خمر الحاكمين
وأنا في السور ، في إطراقة الليل الحزين
حاضري وهم ، وأشباح تزيّت باليقين

وأرى نفسي في سوق العبيد
يهتف البائع ، والشاري يزيد

وأرى جارية مثلي تباع
وأرى شيخاً وأطفالاً جياع
ويحهم ، دقّت نواقيس الصراع !

وأرى النخاس في الثوب القشيب
حانقاً يعبث بالسوط الرهيب
سوطه بين ضلوعي كالوجيب

ويمرّ الموكب الرسمي فينا
جاءنا اليوم رسول يشترينا

لم يزل يسكر هارون الرشيد
وأنا كالقرد في سوق العبيد

أيها الاحرار قد بُحّت صدور الهاتفين
فمتى يا إخوتي موعدنا الدامي يحين !

في دمي دفعة ذكرى من ينابيع السنين
في دمي قصة عدل من حكايا الاولين
لم أزل أسمعها داوية عبر القرون

« عمر الخطاب ، والمصريّ ، وابن الاكرمين »
« ولد الانسان كالانسان من ماء وطين »

« ولد الانسان حراً ، هاك يا ابن الاكرمين »
« صفعة خالدة ، موسومة للظالمين »

لم أزل أسمعها داوية عبر القرون
وأرى نفسي في سوق العبيد
يهتف البائع ، والشاري يزيد

سيدي ، ها نحن غلمان الامير
ككلاب الصيد في حقل الامير
نملأ الدنيا نباحاً وزفير !
وإذا عدنا ، فبالصيد الوفير !

ككلاب الصيد نمتصّ العظام
وعلى أعتاب مولانا ننام !

كم شهيد مات في ليل الكفاح !
جاء يفدينا على الارض ، وراح ؟
فأفقنا ، واحترقنا في الصباح !

أيها التمثال (١) هل حدثتنا عن ميسلون
كم شهيد في ضلوع الليل مخضوب الجبين !
مات من أجلي ، ومن أجل رفاقي البائسين !

أيها التمثال ، مازالت يد المستعمرين
تخنق الآلاف والآلاف في الليل الحزين
في روابي القدس ، في يافا ، وفي الاسكندرون
وعلى شاطئنا القرصان منشور السفين
مطلق الاعلام في الآفاق مزهوّ الجبين
يملأ الليل قبوراً ، وضحايا ، وأنين
والثكالى في زوايا الليل يندبن البنين

وارى نفسي في سوق العبيد
يهتف البائع والشاري يزيد

في غد يا إخوتي موعدنا الدامي يحين
حسبنا كنا قديماً ، فلماذا لا نكون !

دمشق — **يوسف الخطيب**

(١) تمثال البطل الشهيد يوسف العظمة

قرأتُ العددَ الماضي من «الآداب»

بقلم
يوسف الشاروني

جميل من مجلة «الآداب» ان تقوم بهذه المحاسبة النفسية في هذا الباب أمام قرائها. وغريب أن أقوم انا بهذه المحاسبة هذه المرة وقد انتهيت لتوي من إعادة قراءة تولستوي في كتابه «ما هو الفن» لألخصه للمجلة، وفيه يقول بأن النقاد افراد منحرفون ولسنا في حاجة إليهم، لان الفنان الحقيقي ينجح في نقل احساسه الذي عاناه للآخرين ولا حاجة به الى وساطة يقوم بها من يسمون أنفسهم بالنقاد، حتى ينتهي الى أن النقد الفني لم يوجد، وما كان يمكن له أن يوجد، في مجتمعات لم ينقسم فيها الفن الى أدب ارستقراطي وأدب شعبي.

واني لاعترف بادىء ذي بدء اني لست ناقـدا، ولست افترض في نفسي حق التوجيه والارشاد؛ ذلك اني فهمت من المناقشات التي أثيرت مع الاستاذ عبداللطيف شرارة في العدد الماضي من «الآداب» استياء الكثيرين من هذا الفهم لمن يكتب هذا الباب، حتى ان هناك من يطالب مجلة الآداب بأن تعهد في هذا الباب إلى ما يشبه النقاد المتخصصين الذين يتبعون خطـة مرسومة او منهجا موضوعا. ويعجب أحدهم (وهو السيد خالد طليات) من أن يختلف كاتبان اختلافا كبيراً حول تقديرهم لرواية «الحي اللاتيني» مثلا. وقد قفزت في ذهني حالاً الفقرات التي كتبها تولستوي عن سيمفونية بيتهوفن التاسعة، فقد أجمع أعظم النقاد الموسيقيين على انها اعظم عمـل موسيقي لبيتهوفن، وإذا بتولستوي يقول بأنها عمل رديء يعزل قلة من الناس عن اكثريتهم، وكان تولستوي في ذلك يسير عـلى منهج، كما كان النقاد الموسيقيون يعتمدون في تقديرهم ذاك على منهج أيضا. وينتقد السيد طليات الناقد حين يعتمد في نقده، على الغالب، على ذوقه الفني. ثم يضيف جملة ليضطرنا إلى تأييده حين يقول ساخراً: «فالذوق هو المقياس وما عداه هو الباطل» اما ان الذوق هو المقياس فهذا ما لا شك فيه وما لا يجب ان يشك فيه السيد خالد، اما قوله «وما عداه باطل» فهذه إضافة تجعل من الجملة كلاما غير صحيح. وامامي مقدمة الدكتور مندور في كتابه «النقد المنهجي عند العرب» يقول فيها «ان الاساس في كل نقد هـو الذوق الشخصي» ولا يقول ان ما عداه باطل ولكنه يضيف قائـلاً: «تدعمه ملكة تحصل في النفس بطول ممارسة الآثار الادبية. والنقد ليس علما ولا يمكن ان يكون علما، وان وجب ان نأخذ فيه بروح العلم».

لقد اضطررت الى كتابة هذه المقدمة، ومناقشة «المناقشات» قبـل أي شيء آخر لاني ارى أن اكثر الذين يردون على نقادهم - ولا يستطيع أحد ان يمنعهم من حق الرد - يتخيلون ان هناك منهجـا معينا لا يفهمه هؤلاء النقاد، وانهم لو فهموا هذا المنهج لاتفقوا في الرأي. ولهذا لست أحب كلمة «نقد» ولم اقبل الكتابة في هذا الباب الا لانـه بعنوان «قرأت» العدد الماضي وليس «نقدت» العدد المـاضي. ففي كل مرة كنت أقرأ العدد وأحكم على هذه القصيدة او تلك القصة بذوقي الشخصي وانا صامت فيما بيني وبين نفسي. اما الآن، فاني اخرج بهذه الاحاسيس لاول مرة على الورق، مخاطبا بها - وأمام جمهور القراء - اصحابهـا الذين قبلوا ان يحكم عليهم غيرهم ما داموا قد قبلوا نشر اعمالهم. وأنا اعلم بادىء ذي بدء ان كل من تحمس وكتب شيئا ثم تحمس وأرسله للنشر، لا بد وان يكون مؤمنا متحمسا لما كتب يرجو ان يؤمن الجميع بعمله ويتحمسوا له - وهذا على الاقل في مجلة كالآداب لا دخـل للتزييف السياسي فيها. ولكننا لا نستطيع ان نجيد دائما، ولا يستطيع أحد منا ان يرى نفسه بنفسه بل لا بد من مرآة، هذه المرآة هي أنت حين تقرأ لي وهي انا حين اقرأ لك، المرآة هنا ذاتية مهما حاول كل منا ان يكون موضوعيا، فمجموع ثقافتي وتجاربي الفنية غير مجموعة ثقافة الذي اقرأ له وتجاربه الفنية، وبمقدار الاتفاق والاختلاف في الثقافة والتجربة بمقدار ما اتفق واختلف مع الكاتب، وبهذا فان الناقد في نقده - كالفنان في فنه - يعرض لنا هو أيضا خلاصة تجاربه وثقافته، ومن الطبيعي ان يختلف الناقد مع الفنان وان يختلف ناقد عن ناقد آخر. واخشى ان أجدني - كما يقول الاستاذ هنري صعب الخوري - في اوكازيون. وذلـك نظرا لكثرة الموضوعات وضيق الوقت. فالمقصود بهذا الباب - كما اعتقد - هو التعبير عن الاحساس الاول المباشر الذي يتلقاه أحد قراء هـذه المجلة، فبصفتي قارئا كتبت هذه الكلمات؛ وبذلك يرضى عنا تولستوي، ويعذرنا من لا يعجبهم كلامنا.

«الشباب ثورة وثروة» للاستاذ ميخائيل نعيمة

هذا المقال تغلب عليه صفة الانشاء، فكاتبه يقـول في إحدى فقراته «وهذه الصفات هي التي تميز الشباب من غير الشباب، والتي لولاها لما جرى مركب في بحر، ولا دار دولاب في بر، ولا اشتعلت نار في دار، ولا خاطت ابرة ثوبا، ولا شيد حجر فوق حجر، ولا كان حرف وكان كتاب.. الخ» مما يمكن للقارىء مراجعته، وهذا كلام كثير كان يمكن ان تؤديه جملة واحدة، ولولا انني كنت اقرأ المقال بغرض التعليق عنها لقفزت هذه السطور قفزاً، فعصرنا اليوم عصر علمي من ناحية وعصر السرعة من ناحية أخرى، وهذا يتطلب منا في اية مقالة - اياً كان موضوعها - ان يكون هناك جديد في كل جملة من جملها، ولا داعي لهذا الاستطراد الذي يستطيع مؤلفه ان يستمر فيه اذا شاء وان يقطعه اذا شاء، مع انه لن يزيد القارىء اقتناعا او تأثرا بالفكرة. هذا وقد كان كلامه مجردا غير معلل، فهو يقول في فكرة اخرى «فمـا اجهلنا نحاول ان نخنق ثورات الشباب وهي ما تزال اجنة» ولست أظن ان الذين يقاومون حركات الشباب جهلة على الاطلاق، بل هم واعون تماما الدور الذي يقومون به، لانهم يدافعون عن انفسهم وعن أسلوب حياتهم وهذا مـا لم يشر اليه الكاتب

بكلمة . ومع ذلك فإننا نشكر الأستاذ ميخائيل نعيمه لأنه يكتب عن الشباب وهو شيخ ، رغم انه يقول بأن صفات الشباب هذه لا يندر أن تجدها في بعض الكهول والشيوخ ، ولعله يعتبر نفسه واحدا من هؤلاء ؛ وان كان اسلوب المقال لا يبرهن على ذلك ، لا سيا وهو يستعمل ضمير الجمع حين يقول « انه من العار علينا ان ننادي بالويل والثبور كلما تصدى شبابنا لعقيدة من عقائدنا او تقليد من تقاليدنا » وأرجو من الاستاذ ان يعذرني في ثورتي على مقاله ، فربما كان ذلك راجعا إلى « ثورة الشباب » .

« مشكلة النخبة في الشرق » للاستاذ عبدالله عبد الدائم

ولا نكاد ننتقل الى مقال الاستاذ عبدالله عبد الدائم في تعليقه على كتاب الاستاذ سعيد عقل « مشكلة النخبة في الشرق » حتى نحس تقلص اللغة الانشائية تقلصا تاما . ولم يتح لي ان اقرأ كتاب الاستاذ سعيد لاحكم حكما كاملا على تعليق الاستاذ عبد الدائم ، ولو أنه من الواضح ان الاستاذ عبدالدائم حاول ان يجعل من تعليقه مقالاً مستقلاً وهذا هو اساس مناقشتي العاجلة معه . فلست اتفق مع صديقي عبد الدائم في « ان قيمة الشعوب لا تقاس بمتوسط مستوى الناس فيها بمقدار ما تقاس بعدد الأفراد النابهين » فنحن الآن في طريقنا نحو مجتمع ديمقراطي سليم يكون فيه القول الفصل لمتوسط مستوى الناس ، وهذه دلالة النظام الانتخابي حين يقوم على أسس غير مزيفة . وحقا يقال إن الشعوب القوية لا تحتاج الى حاكم قوي وبالعكس فالشعوب الضعيفة يستطيع ان يستبد بها شخص او أشخاص ؛ ولست اعرف قيمة اخرى تقاس بها الشعوب خيراً من هذه القيمة . والاستاذ عبد الدائم نفسه يقول « ان في هؤلاء الأفراد تتجسد مطامح الأمة وصبواتهم » وهكذا يتأرجح الكاتب بين رأيين متعارضين ، فهو حيناً يصف أفراد النخبة بانهم « يرهصون بما ستؤول اليه الامة متحسسين بالتيارات الخفية التي تضطرم في اعماقها ، مبشّرين بزوغ هذه التيارات » ثم يعود قائلاً « والذي **خلق** التاريخ « **وخلق** » الأمم كما نعلم ، هم هؤلاء القلة » ثم يناقش الاستاذ عبد الدائم في براعة مشكلة النظر والعمل فيقول ان براعة الفكرة تتجلى بأن يستطيع صاحبها أن يقلبها إلى عمل . »

« أنا والراهب » للسيدة سلمى الخضراء الجيوسي

هذه وقفة فنية حزينة امتصت فيها الشاعرة نفسية الراهب الذي يخرج الى سطح الدير أمام نافذتها ليصلي ساعة الغروب ، ثم داعبته بقولها :

رأيتك تخشى عليل لحاظي فتعرض عني كالهارب

ولتسمح لي السيدة أن أبدي لها اعتراضي — على طريقة النقاد العرب القدامى — حين أقول لها إنها عبرت في ثلاثة ابيات عن معنى كان يجب أن يوجد في بيت واحد ، وذلك في قولها :

وإني وإن أوحدتني الليالي وعلقت في ظفرها الناشب
وحالت أغاريد قلبي نواحاً وعشت على الأمل الكاذب
فقلبي سيبقى رفيع المبنى عزيز الهوى شامخ الجانب

حتى أن الانتقال للبيت الذي تلا هذه الأبيات (وهو البيت الذي أوردناه سابقاً) كان فجائياً . وهذه القصيدة هي احدى قصيدتين في العدد لا تعالجان الا مشكلة ذاتية للشاعر منفصلة عن واقعها الاجتماعي .

« هودج الأحلام » للاستاذ فؤاد الشايب

في هذا المقال يعرض الكاتب لمشكلة الدعاية لمأساة فلسطين ، ويبدو أن مقاله نفسه مثال لدعوته من أجل الاهتمام بهذه القضية التي سيكون لها أبعد الأثر في تقرير المصير العربي بلا شك ، والتي بقدر مالقيت من التهريج السياسي ، ثم من الأنعكاس الأدبي ، لقيت من إهمال عملي منشؤه الهوة الموجودة بين الحكومات والشعوب في البلاد العربية بل وانصراف هذه الحكومات الى خيانات شعوبها . وقد جاء مقال الاستاذ الشايب منظماً على الطريقة العلمية في تبيان الجوانب التي يعتمد عليها الصهيونيون في دعايتهم ضد العرب وان فاتته بعض الأسباب العلمية التي تقوم عليها أسباب رواج الدعاية الصهيونية وأهمها العلاقة الاقتصادية الوثيقة القائمة بين الصهيونيين والموقع الاستراتيجي لما يسمونه وطنهم وبين الحكومات التي تشجعهم على تحقيق مآربهم .

«وحول» للدكتور سهيل إدريس

في هذه القصة لست أعرف هل عاش الدكتور سهيل معيشة حقيقية نفسية عامل المطبعة الذي يكسب فجأة ألفين وخمسمئة من الليرات ؟ لقد أعطانا عنه صورة لم يبرورلنا وجودها الفني ، ففي أول القصة نجد أن العامل يتردد في شراء ورقة اليانصيب لأنه أفقر من أن يشتريها ، ويصدم القارىء عندما يقرأ أن العامل رانت على عينيه غشاوة عندما راجع الأرقام فرأى أحدها منطبقاً على رقم ورقته . ذلك لأن العامل حين تردد في شراء الورقة

من قبل لم تكن له أية مبادىء تحمله على هذا التردد سوى فقره ، وكان يمكن للمؤلف ان يستغل هذه المبادىء التي لم يذكرها ليمهد لنا بها لهذا الموقف الذي اتخذه العامل بعد أن كسبت ورقته . إن الانسان قد يبرر فشله — ولو بغير تمهيد سابق — أما أن يبرر انصرافه عن كسب حصل عليه بغير تمهيد فأمر غير حقيقي . ولكننا نجد فجأة هذا العامل الفقير ، والذي كان ابنه مريضاً وفي حاجة الى الدواء والثياب ، يقول عنه مؤلفه « اليس مما يخجله أنه ليس ماله ، بل مال كثيرين من الاشقياء الذين تخنقهم أوضاع حياتهم .. » وهكذا أعطانا المؤلف كل المبررات لنتيجة تحقق عكسها . ويبدو أن هذا التمهيد الذي أتحدث عنه كان موجوداً في ذهن سهيل وواضحاً لديه، ولكن كان عليه أن يوضحه للقارىء كذلك في عمله الفني . بقيت ملاحظة حول عدم ذكر اسم البطل ، فيبدو أن الاستاذ سهيل قد استمرأ عدم ذكر اسم البطل منذ ألف حيه اللاتيني . والواقع أن وجود اسم للبطل — ما لم يكن هناك مبرر فني لعدم ذكره — يساعد القارىء كثيراً ، ويشعره أنه ازاء شيء اكثر تجسيماً ، كما أنه لا يضطرب بين ضمائر الغائب التي لا يعرف إلى أي شخص تنصرف ، ويكفي ان نذكر هذه الجملة على سبيل المثال « وشعر به ، هذا الشتاء ، ينبض في الأحرف الرصاصية التي بدأ يجمعها كلمات . رصاص بارد يلسع كأنه الثلج أو كأنه النار ، النار . طلبوا إليه غير مرة أن يشعلها لهم ولكنه ، هو صاحب المطبعة ، أصمّ عن طلبهم أذنيه » . مرة أخرى أقول بأن عدم التمهيد الفني لخاتمة القصة أشعر القارىء بأن المؤلف قد أقحم إقحاماً على العامل هذا اللون من التفكير الاجتماعي مما يهبط بالمستوى الفني للقصة . (*)

« العامل في مصافي النفط » للاستاذ محمد النقدي

هذه القصيدة أهنىء بها مؤلفها فقد نجح في اختياره لموضوعه وتعبيره رغم أنها تسير على منهج الشعر العربي الكلاسي . وأنا أرجو أن أقرأ له دائماً وفي هذا المستوى .

« أحمد أمين » بقلم السيدة وداد سكاكيني

أهم مايمتاز به هذا المقال — الى جانب ما يقدمه من معلومات عن أحمد أمين — سلاسة الأسلوب وحماسة الكاتبة لموضوعها ، فلم أحس أنها تكتبه مجاملة للراحل ، بل هي تكتبه في انسياب وبتأثر وتأثير . وطبعاً هذه ليست دراسة لأحمد أمين وآثاره بل هي كلمة موجزة تذكر فيها الكاتبة فضل الأديب الراحل ؛ وأنا لست ممن تخصصوا في دراسة آثار الرجل حتى أستطيع أن أحكم على ما قالته السيدة وداد حكماً تفصيلياً ، وسيذكر المؤرخون المنصفون فيما بعد ما لأحمد أمين وما عليه . وإن كانت الكاتبة قد صورته من جانب واحد ، ربما لجلال الموت ، وربما لأنه كان كذلك .

« مفهومات في الانسان والفن » للاستاذ رجاء النقاش

ينقسم هذا المقال الى ثلاثة اقسام ، القسمان الأولان منه هما من ذيول معركة قديمة بين الاستاذ النقاش والاستاذ حسين توفيق. ويخيل الي أن لاخلاف حقيقياً بين الكاتبين . حقا ان كل كاتب لابد وأن يكون دقيقا في جملة ، ولكن الجملة الواحدة لاتدلنا على الرأي الكامل لكاتب ما ، فالاستاذ النقاش قد عثر على جملة للأستاذ محمد توفيق حسين يقول فيها « ان كل بيت في القصيدة عصب يتنفس احساسا ، وكل صورة فيها تضج بدم الحياة». فوجد امامه المناسبة ليشرح رأيه في المدرسة الحديثه للشعر ، وكان يمكن أن يجعل منه مقالاً بغير أن يشير الى الاستاذ محمد توفيق حسين .

أما فيما يتعلق بمشكلة الانسان المجرد فالاشكال بينهما قائم على النحو التالي : فالاستاذ حسين توفيق يقول: « هنالك الانسان الفرد الذي يعيش في بيئة واحدة ، وفي فترة معينة من الزمن ، وبين هؤلاء الافراد منترك عام ، هو كل ما يمنحهم انسانيتهم من الأعراض والصفات . فاذا وصف كاتب تجربة انسانية عاناها ويمكن أن يعانيها أفراد عديدون من بيئات مختلفة وأزمان مختلفة ، قلنا عنه إنه كاتب انساني . والنقاش يقول: « ان الذي قصدناه بالانسان المجرد الحقيقة الموجودة في كل انسان على هذه الارض.. إنه أنت وأنا وغيرنا على اختلاف البيئة والظروف » ويعتبر النقاش ان البيئة والظروف ليست الا عوامل عارضة بالنسبة للانسان ، وان موضوع الفن الخالد ونبعه الاول هو « الانسان المجرد كما قصدنا إليه » والفرق بين الاستاذين ، هو أن الاستاذ توفيق حسين علمي في كلامه والاستاذ النقاش مثالي، لان الاثنين يعترفان بهذا التجريد، ولكن أولهما يعترف به كعملية بعدية والآخر يعترف بها كعملية قبلية: وأحب ان أسأل الاستاذ النقاش ما هي هذه الماهية الاخرى غير ماهية الانسان الذهنية في عالم المثل لدى أفلاطون او في ذهن الانسان لدى باركلي ، ما دام قد رضي باستعمال كلمات الفلسفة المثالية من مجرد وخالد ؟ انه يستشهد بوجود ذلك الانسان المجرد في قصص معينة ، ولكنه ينسى ان هذه الشخصيات لها بيئتها وظروفها ولها ازمانها وحالاتها ومواقفها ثم يأتي التجريد بعد ذلك كعمل تذوقي ونقدي ، وهذا ما قاله الاستاذ محمد توفيق حسين . ولست اعرف كيف يكون طبيب القرية بلا بيئة وهو ينتقل بزحافة على الثلج وهو طبيب يعالج مريضا به جرح خبيث وله اقارب يلتفون حوله بينما تطل الخيل من خارج النافذة ؛ لقد قرأت هذه القصة منذ اكثر من خمس سنوات وما تزال هذه الصور في ذهني ، إنها هي التي تكون طبيب القرية وتكون عناصر تجربته التي ترتبط بتجربة الانسان المعاصر في مجتمع له ظروف معينة . وما معنى ضرورة التجسيد Dramatisation في العمل الفني إذا كان التجريد « كما يقصده » الاستاذ النقاش هو الهدف : وانا لا افهم ابدا قول النقاش بأن « الينا » في ذات مساء لتورجنيف قد ارادت أن

(*) تعقيب : اقرأ رد صاحب القصة على هذا النقد في باب « مناقشات » من هذا العدد .

تحقق وجودها كانسان مجرد ، الاولى أنها كانت تحقق وجودها كانسان معين ، وهذا التعيين – لا التجريد – هو الذي يربطها بالثائر انساروف وعصره . مرة أخرى أذكر للاستاذ النقاش انه ليس هناك « فن تشغله قضايا الانسان المجرد» كما عبر لنا في العدد الخامس من هذه السنة بالاداب، ليس هناك انسان مجرد في ذهن أي مؤلف، بل هذا الانسان تجريد من القاريء أو الناقد .

أما بحث الاستاذ فاضل عن « أهل الكهف» ورد الاستاذ النقاش عليه ثم استكمال هذا الرد في العدد الاخير ، فقد وجدت ان التعليق عليه متعذر لسببين : اولهما انه لا يختص بالعدد الاخير فحسب ، وثانيهما ان الدراسة المستفيضة لبحث الاستاذين والرجوع لأهل الكهف نفسها يتطلبان وقتا أطول مما يسمح به مجال هذا التعليق . ولو انني إنصافا للحق أقول بأنني قرأت نقد الاستاذ عبد الحق فاضل فكان جانب الاعجاب به اكثر من جانب التخلخل والاضطراب والبعد عن جوهر المسرحية كما يقول الاستاذ النقاش ، وقد قابلت الاستاذ علي احمد باكثير وهو من اكثر المؤلفين المسرحيين انتاجا – فأبدى لي بدوره إعجابه بدراسة عبد الحق . هذا وقد يتاح لي في فرصة اخرى ان ادلي بوجهة نظري على اساس اكثر تفصيلا .

« قيصر » للاستاذ كيلاني حسن سند

هذه القصيدة ذات مضمون طيب ، أو كما نقول بلغتنا العادية أن مؤلفها كان « حسن النية » ولكن صاحبها لم يوفق في صياغتها . وكلما قرأت قصيدة من هذا النوع تذكرت مشكلة الصياغة والمضمون . فقصيدة مثل هذه القصيدة تثبت أن الموضوع الجيد ليس من الضروري أن يصاغ صياغة جيدة ولا أقصد بالجيد هنا الناحية الاجتماعية فحسب ، بل أعني الاختيار الفني أو الفكرة الفنية والطريقة الرمزية التي تدثرت بها الفكرة ، فالرمز الى كل طاغية بانه قيصر رمز ناجح ، وفكرة استقباله المزيف وقفة فنية يستطيع الشاعر أن يجعل فكرته تتسرب من خلالها تسربا تاما ، ولكننا نلاحظ عدم اتساق الالفاظ بوضوح حين يقول الشاعر :

ويصيح طفل بالزقاق تفسحوا – ويزمجر
فيجره من خلفه طفل هنا – متأخر
فيشق فضلة ثوبه ، يبكي الغلام ويجأر

والذي يثير الاشكال في هذه القصيدة أنها لا يمكن ان تتهم بأنها لون من الوان الدعاية ، ذلك لأن كثيراً من الأفكار الجيدة يفسدها الاتجاه الى أن تكون اعلانا ودعاية لفكرة أو مذهب رغم أن صاحبها قصد بها ان تكون عملاً فنياً ، ولكنه – شأنه في ذلك شأن المراهق – لا ينجح في تغليف فكرته ويعبر عنها تعبيراً مباشراً . إن العمل الفني الناجح – كالحلم الناجح – هو الذي يراه المتفرج بغير أن يصدمه فيه وعظ أو إقحام شيء خارج عن طبيعته . ولكن شاعرنا لا يتهم هنا بشيء من هذا ، فهل يكون ضعف الصياغة مبعثه عدم تحمسه التحمس الكافي لموضوعه ؟

الاستفتاء : « أنعيش عصرنا أم نفر منه »

قال اكثر من أديب ان موضوع هذا الاستفتاء خاطيء لانه يحتمل اجابتين لا سيما وهو بضمير المتكلم ، وأي انسان لا يرضى بأن يوصف بأنه «فار من الحياة» الا على اعتبار أن السكون اللازم لعملية الترسيب التي تمكننا من استخلاص نتائج تجاربنا هو نوع من الفرار كما قال الدكتور مندور ، وكما عبر عن نفس المعنى الاستاذ ميخائيل نعيمة . واعتقد ان كلمة « الفرار » هي مصدر الاشكال . ذلك اني اعتبر انه اذا كانت هناك ألوان من الأدب فهناك ادب واع يشارك في تطوير الاحداث وأدب تخديري يصرفك عن الشعور بوجود أي إشكال في الحياة فهو أشبه بقزقزة اللب ، ثم أدب رجعي يعمل عامداً على ان يقف التاريخ أو يرتد إلى الوراء ، وذلك بطريقة عرضه لشاكل الناس والمجتمع وبطريقة حله لهذه المشاكل إن قدم لها حلولا . وقد يختلط النوعان الاخيران لأنهما لا يساعدان على زيادة الوعي . وبهذه المناسبة أقترح على « الآداب » أن تستفتي أدباءنا في موضوعات تشغلهم كموضوع الوحدة بين الصورة والمضمون ومداه ، أو موضوع استعمال العامية في الحوار على الأقل ، وهل هو يعوق التفاهم الأدبي بين البلاد العربية أم هو ضروري لكي يعطي صورة أصدق لشخصيات الحوار .

« سر المنظار الأسود » للاستاذ عبد المنعم عواد يوسف

هذه القصيدة نوع من الحوار بين انسانة متفائلة لأنها لاهية وانسان كئيب لأنه يرى آلام الآخرين ، بل لأنه يرى أن الحياة الجميلة التي تتحدث عنها صاحبته لا تقوم الا على بؤس الآخرين .

أنا كيف أصدح للورود الشاربات من الدماء

ولكنه مؤمن بالغد القريب رغم هذا المنظار الأسود الذي يرتديه . ولكن يبدو من القصيدة أن الشاعر لا يعاني هو بنفسه المأساة من الداخل إنما هو يستعمل الأفعال الآتية : يبصر ، يسمع ، يشتم . فآلامه تأتيه من حواسه الخمس، من عالم الآخرين، ولانحس أنه واحد من هؤلاء الكادحين والمتضورين الا احساساً ضئيلاً حين يقول :

أنا كيف انصت للنشيد وفي دمي هذا العواء

وهكذا اعتقد أن القصيدة – وموضوعها يتطلب الحماسة – قد ضعفت حماستها بهذه الوسيلة الى حد كبير .

« قصة زعيم » لفتحي غانم

هذه القصة تشغل صفحتين من المجلة ، وتكاد تمر الصفحة الأولى ونحن بإزاء وصف وتقديم لشخصيات (القصة) ثم تبدأ الحركة أخيراً بقول الكاتب « في يوم من الأيام دخل المقهى .. » وربما كان الوصف السابق في هذه القصة وصفاً شيقاً لأنه يتحدث عن بيئة غريبة ، ولكن كنت أفضل أن تبدأ القصة بالحركة من أول سطر ثم يدس المؤلف هذا الوصف في ثنايا الاحداث .

وموضوع الشطرنج موضوع شيق لكثيرين من الكتاب تعرض له في نفس العدد الاستاذ حسن شاكر سعيد في مقاله « محنة الشمر في دار الانتقام » بل ان كثيرين من الكتاب يعرضوا لموضوع الشطرنج على النحو الذي في « قصة زعيم » وهو الربط بين الانتصار والموت كانما هناك رسالة تمت ولم يعد من ضرورة لاستمرار صاحبها . ففي العالم البيولوجي نجد ان ذكر النحل يموت بمجرد تلقيحه انثاه ،وفي العالم الروحي نجد ان المسيح قال على الصليب « قد أكمل » وفي حجة الوداع قال النبي محمد « اليوم أكملت لكم دينكم » . وعندما وقع الموت في قصتنا استطاع المؤلف ان يبين رهبته من ناحية واستمرار الحياة رغم ذلك من ناحية اخرى .

« أدبنا الملتزم » للاستاذ محمد وهبي

في هذا المقال يقول الكاتب ان موضوع الأدب الملتزم في بلادنا العربية يجب ان يكون ذلك التأخر الذي يصم كافة مجالي حياتنا . وهذا كلام طيب لولا أن الاستاذ وهبي يرى ان علاج ذلك يكون عن طريق تعزيز الغيرية وانكار الذات على حساب الاثرة التي تمهر نفسية الرجل البدائي، وبذلك يحدد الكاتب موقفه المثالي الذي يرى فيه حلاً لمشكلة التأخر العربي حتى ينتهي الى قوله « وهكذاترى كيف ان للعجب انيمتلكنا بعنف وقوة ، حين نسمع بكتاب يبغون الالتزام فلا يجدون غير الاستعمار أو نحوه كموضوع للتناول يبذلون فيه الجهد **دون جدوى حقيقية ، مع انالاستعمار قد جلا عن البلاد او هو في طريق الزوال** ، في حين ان ما ظل راسخاً فيها وما يحدد تأخرها ويمهد الاسباب لعودة النفوذ الاجنبي ذاته او بقائه هو استعمار الأثرة في النفس،استعمار السطحية في الفكر» .

ونحن نقول بدورنا انه ليتملكنا العجب من ان يكتب كاتب يتحدث عن التأخر العربي ، بأن الاستعمار قد جلا عن البلاد او هو في طريق الزوال، ثم يتحدث في الوقت نفسه عن وجوب الاهتمام بالقوة الروحية . ولسنا نحب ان نسأل الاستاذ بلهجة السياسة الخبيثة قائلين : لمصلحة من هذا التوجيه ، ولمصلحة من هذااللعب بالالفاظ في كلمة الاستعمار؟ ان الاستعمار العسكري قد يكون في طريقه حتماً الى الزوال ، ولكن هل الاستعمار – لا سيما بعد الحرب العالمية الثانية – استعمار عسكري ؟ ان الشعوب اكثر وعياً من هؤلاء الذين يخدرونهم. واعتقد ان الكاتب يعرف الجواب ويعرف ان هناك علاقة قوية بين التحدث عن الروحية التي يذكرها وبين وجود الاستعمار بشكل او آخر. ولست أحب ان أسأل مجلة الآداب كيف سمحت بنشر هذا المقال ، فأنا اؤمن بحرية الرأي ، ولكن اقول بأنه حيثما وجدنا هذا اللون من التفكير فعلينا ان نكشفه وان نفضحه . لقد قرأت المقال اكثر من مرة واتهمت نفسي بالتسرع في الحكم ولكن كنت انتهي الى نفس النتيجة المؤسفة .

« التمايز في العلم » بقلم لويس دوبروغلي وترجمة هنري صعب خوري

هذا هو المقال الوحيد المترجم في العدد – وهو تقليد طيب للآداب – وفيه يحاول الكاتب ان يقسم العلماء طبقاً لطرق عملهم المختلفة ، فهم النظريون والاختباريون حسب ترجمة المترجم (وكلمات التجريبيون اكثر استعمالاً في مصر) والنظريون ينقسمون بدورهم الى منطقيين، وبديهيين، والتجريبيون الى استراتيجيين ، وتكنيكيين ، وهذه التقسيمات من باب التقسيمات الفلسفية التي تقام لتنظيم معرفتنا وان كان تطبيقها العملي عسيراً باعتراف الكاتب نفسه الذي يقول ان هناك علماء نظريين واختباريين معاً ، وذلك لأن الوجود الحي وحدة دائماً يأتي المفكر بعد ذلك ليقسمها أقساماً فيسهل لنا استيعابه. والترجمة ناجحة فيما عدا جملة لم تستقم فيها الترجمة وذلك في قوله « الذين اصبح عملهم الضروري وغالباً الطويل والجاف » فالافضل ان يقال « الذين اصبح عملهم الضروري والذي غالباً ما يكون طويلاً وجافاً . »

« الصامدون » للشاعر كاظم جواد

أنا أحب الحركة الشعرية فى العراق وشعراء العراق من الشباب، ولئن كان الكلام قد كثر حول اول من قال الشعر الحر ، فان احداً لا يختلف في ان الشعر الحر كحركة ومدرسة قد برز في العراق دون البلاد

العربية الأخرى ، بحيث يكاد يكون الشعر هو أقوى الحركات الادبية في العراق . وقد قام شعراء العراق المحدثون بمجهودات رائعة لكي يثبتوا ان الموضوع الجديد يتطلب صياغة جديدة . وقد أسفت للخلاف الذي نشأ اخيراً بين بعضهم ، لانه تطرف في بعض نواحيه فتعدى ناحيته الخصبة الى ناحية لا جدوى من ورائها فنجد كاظم جواد يتهم البياتي مثلا بأنه يسرق من نشيد الانشاد ومن اقوال المسيح !

وقد استطاع هذا الشعر أن يحقق لنا روائع آخرها «عودة ذي الوجه الكئيب (لصلاح الدين عبد الصبور المنشورة في العدد السادس من مجلة الآداب والتي اغفل الاشارة إليها الاستاذ عبد اللطيف شرارة في تعليقه على هذا العدد كما أغفل الاشارة الى قصيدة كاظم جواد « احد الحرية والربيع » وقد اعتبرها الاستاذ يوسف نمر ذياب تافهة وأورد فقرة منها في العدد السابع ثم لم يوضح لنا ما الذي لم يعجبه فيها) ورغم ذلك ان هذا الشعر قد فشل في بعض الاحيان لانه ربما « لم يستطع ان ينقل القارىء إلى جو الحديث» كما يقول بحق نفس صديقنا كاظم جواد في مقاله السابق — وأخشى ان يكون كاظم جواد في قصيدته « الصامدون » هو اول من اطبق عليهم هذه القاعدة النقدية ، فهو لم يستطع ان ينقلني بأبياته الى معنى الصمود ، هذا إلى أنها تثير شيئا من الملل برتابة الحركة فيها ، كما اني لم استطع ان أحس الا بالاصطناع في أبياتها الاخيرة . واذا كان لي ان افارن هذه القصيدة وقصيدته «احد والحرية والربيع» المنشورة في العدد السابع فأني اظن انه قد وفق في تلك القصيدة الاخيرة أبعد بكثير مما وفق في قصيدته « الصامدون » . وليعذرني الاستاذ كاظم اذا انا صارحته بأني لا أحب ان اقرأ في العمل الفني ايا كان — ولا سيا اذا كان شعراً — كلمات مثل « الواعي » بل احب ان يشير الى مثل هذه المعاني اشارة خفية، وهذه رشوة فنية للقارىء لكي يشارك بها الشاعر ويحس انه قام بدوره في استكشاف ما يشير إليه الشاعر . كما انها تبعد عن القصيدة شبهة اقترابها من ان تكون لونا من الوان الدعاية ؛ وفي مقال نشر اخيرا عن تشيكوف قال كاتبه : « ولم يكن تشيكوف يتدخل بأرائه الخاصة وهو يعرض حياة ابطاله بل كان يترك الحياة نفسها تتحرك وتمتد في داخل الإطار الفني الذي يعرضها فيه . وليس معنى ذلك ان دوره ينحصر في تسجيل ما يقع تحت بصره ، فان اختيار الموضوع وطريقة عرضه هو المجال الذي يكون للكاتب فيه الحرية الكاملة والفرصة المتاحة ليدعو الى فكرته . ومن هنا لا نجد في قصص تشيكوف مواعظ او خطبا ، ولا تلك العبارات الضخمة التي يستعملها احيانا كتاب الادب الجديد ، او تلفيق الحوادث لتؤدي معنى خاصاً» وقد اقتبست كل هذه الفقرة لانها كانت تعبر عن تقديحش بصدري كلما قرأت عملا يحاول ان يوضح فيه كاتبه غرضه منه اشنافا من الا يفهم القارىء ذلك الغرض ، وليس في قصيدة جواد هذا العيب إلا في استعماله بعض المفردات ، لكنه موجود بصورة اوضح في قصائد اخرى من الشعر العراقي لاسيا قصيدتي حسن البياتي وزهير احمد المنشورتين في نفس العدد كما سنوضح ذلك .

« واحدة تكفي » لمصطفى أبو النصر

هذه قصة شخص يريد أن ينتحر لأسباب غامضة لانعرفها، بل نعرف عنه أنه أحب وأنه جمع المال ومع ذلك لم يحس بالسعادة . هل يريد الكاتب أن يعلن إفلاس أحد أفراد طبقة معينة ؟ ومع ذلك فإن هذا الشخص نفسه الذي لا يحس السعادة في الحب ولا في المال يلفت نظره — وهو في طريقه للانتحار — « عربة فخمة » و « قصرفخم » و «امرأة فاتنة كالحب» ، بحيث ننسى تماماً أنه نفس الشخص الذي قال لنفسه منذ دقائق : هل الحب هو كل شيء ؟ و «جمعت من المال الكثير » وكأنما هو أحد المحرومين من المال والحب . وكأنما يشعر الكاتب بذلك فيحدثنا عن ضياع حياة بطله . ولو أن الكاتب لم يذكر لنا شيئاً عن حصول بطله على الحب أو المال لأغنى نفسه من هذا التناقض الذي وقع فيه ولأعطانا تبريراً حقيقياً لحركة بطله النفسية . ويرينا الكاتب في سخرية كيف ان هذا الشخص الذي يبغي الانتحار ويحس فشل حياته يحرص فجأة على هذه الحياة ويخشى عليها من مجرد السجن عندما يظهر له شرطي قد يظنه مجرماً ويقبض عليه . هنا تناقض نفسي معقول وحقيقي ، على عكس التناقض الفنّي السابق . ورغم أن الكاتب يعالج لمحة نفسية إلا أنه استطاع أن يحتفظ بعنصر التشويق وذلك بخلق حركة نفسية مستمرة .

« جنود الاحتلال » للشاعر حسن البياتي

هذه قصيدة أخرى من الشعر العراقي الحديث ليست فيها رتابة قصيدة «كاظم» وذلك لأن حركة القصة فيها أنشط — ومضمون هذا اللون من الشعر اكثر اتفاقاً والحركة القصصية من مضمون الشعر العربي الكلاسي. ولكننا نسأل الأستاذ حسن البياتي : ما هي دلالة جنود الاحتلال في هذه القصيدة ؟ إن القطار كان يمكنه أن يقتل« رفيق » سواء أكان به جنود احتلال أم جنود وطنيون. ان الدلالة الوحيدة التي كانت لجنود الاحتلال في القصيدة هو قوله «في نظرة شزراء تهزأ بالجموع » وواضح أن هذا البيت هو من ظلال الحدث وليس من جوهره. ولهذا أعتقد أن الشاعر لم ينجح في أن يعطي أية دلالة لجنود الاحتلال في قصيدته .

« حلاق القرية » للشاعر زهير أحمد

وهذه ثالث قصيدة من قصائد بغداد في هذا العدد ، لا بأس بتصوير الحلاق فيها ، ولكننا نرى مرة أخرى إقحام الفكرة الاجتماعية — وفي النهاية — إقحاماً لا مقدمات له . وكأن الشاعر يرى أنه بعد أن تحدث عن حلاق القرية ، والحلاق بطبيعة عمله لا يقوم رمزا جيدا للطبقة المستغلّة — يجد من حقه أن يقول :

أنا ان أموت فهل سيبقى الظالمون

في الأرض يجنون السعادة من دماء الكادحين ؟
وتطلعت عيناه للصور القديمة من جديد
فرأى – كأن لم يبصر الرسم القديم
من قبل ، فجرا أطلقته من سلاسله العبيد .

مرة أخرى أقول وأكرر بأن العمل الفني الناجح هو الذي يخلق قانونه الداخلي ولا يقحم عليه شيئاً من الخارج اقحاما يظهر تفكك العمل وأن هناك انفصالا بين أفكاره التي يتضمنها . إن حلاق القرية – وعلى النحو الذي عبر لنا عنه به الاستاذ زهير أحمد – لم يكن موضوعاً مناسباً للتحدث فجأة وبلا مقدمات أو مبررات عن الفجر الذي يطلقه العبيد من سلاسله ، وبهذا لم يقنعني الشاعر لحظة واحدة بما يقول بل واشعرني أنه غير مخلص . والعلاج الفني لهذا العيب هو أن يعيد الفنان كتابة عمله بعد ان انتهى الى ما انتهى إليه ، ويمهد في أول عمله الى هذه النهاية ،وبقدر هذا التمهيد بقدر ما يخفف من الايضاح والتأكيد في نهاية عمله ، وبذلك يحس القارىء أن هذه النهاية نهاية طبعية لا تعمل فيها ولا افتعال .

« محنة الشمر » في دار الانتقام للاستاذ شاكر حسن سعيد

هذه الدراسة هي خير ما قرأت للاستاذ شاكر حسن سعيد ، وأكاد أقول إن هذا المقال هو خير ما قرأت في عدد الآداب الماضي إذا كنا نريد ان نتوج عملا على بقية أعمال العدد . وربما كان في هذا الحكم عامل شخصي هو جدة الموضوع بالنسبة لي ، هذا إلى غير مزاياه الاخرى من حيث الأسلوب غير المعقد والاختيار الموفق للموضوع والالمام بنواحيه المتشعبة .

ورغم أن الكاتب وصل بين شمر ذي الجوشن وبين الجلادين في الاساطير السورية والاشورية ، ثم القصاب الذي يذبح الخراف ، إلا انه لم يعرض لشيء من المقارنة بين هذا الموقف العربي الاسلامي والموقف المسيحي من قضية الجلاد ، لا سيا وأن في مقتل المسيح ومقتل الحسين كثيراً من اوجه المقارنة . ومع ذلك فنحن لا نجد فناناً مسيحياً – ولا يمكن أن نجد – قد عبّر لنا عن موقفه بإزاء قتلة المسيح مثلما عبر لنا ذلك الفنان الشعبي المسلم في لوحته « دار الانتقام » . ففي المسيحية لا يتم توازن الاوضاع بأن يصبح الجلاد شهيداً والشهيد جلاداً ، كلا ، بل هو يتم بأن يظل الشهيد شهيداً وبموقفه ذاك يكسب جلاده الى جانبه فيصبح هو الآخر شهيداً . وهذا هو ما عبر عنه المسيح بقوله « باركوا لاعنيكم ، احسنوا الى مبغضيكم ، صلوا من أجل الذين يسيئون اليكم » فموقف الشهيد هنا ليس موقفاً سلبياً بل هو موقف ايجابي فيه بركة واحسان وصلاة من اجل الجلاد لكي ينضم بدوره الى الشهيد . وعبر لنا المسيح عنه ثانية وهو على الصليب بقوله « اغفر لهم يا ابتاه لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون » وبذلك يضع المسيح الأسس الثابتة لموقف الشهيد بإزاء جلاده ، فهو لا يطلب له النقمة ، لأن في هذا تناقضاً مع موقفه كشهيد ، بل هو يطلب له المغفرة ، وبالتالي يدرك الجلاد خطأ فعلته فيؤمن بشهيده ويصبح هو بدوره شهيدا ، وهكذا نجد أن كاتبا كمؤلف قصة «الرداء» يجد ان توازن الامور في حادثة صلب المسيح هو بأن ينضم الى المسيحية ذلك الضابط الروماني الذي تولى مهمة صلب المسيح ، وان يصبح بدوره مسيحياً وبالتالي شهيداً جديداً – وحتى يهوذا الذي لم يصبح مسيحياً ولا شهيداً ، قد ندم من تلقاء نفسه وانتحر ، ولم يصوره فنان واحد وهو يتعذب على يد أحد الشهداء .

هذه بعض الخواطر التي أثارها بذهني ذلك الموضوع الخصب الذي نهنىء كاتبه عليه كل التهنئة .

« عائدة مع الصيف » للاستاذ يوسف الخطيب

هذه قصة هادئة ناجحة فيها جانب السعادة وجانب الحزن كما هي طبيعة الوجود الانساني ، وكأنما المؤلف رسام يوازن بين الالوان فلا يجعل الواحد يطغى على الآخر . فنهاد بطلة القصة فتاة من اسرة بورجوازية صغيرة،جانب الفرح في حياتها هو ما يتعلق بمستقبلها ، فقد نجحت في الحصول على وظيفة للتدريس بالكويت حيث ستقبض مرتباً ضخماً ، كما ان مدرساً آخر – هو ابراهيم – سيذهب الى هناك ايضاً وهي تأمل بأن يكون له شأن آخر في حياتها (وهذا هو تعبير الكاتب ؛ وهذا هو ما اقصده بكلمة الاشارة بدلاً من الايضاح بكلمة الزواج وبذلك يشارك القارىء المؤلف) اما الجانب الحزين فهو الذي يربطها بماضيها ، امها التي تبكي لفراقها ثم أخوها الاعرج سعيد . وكل جانب يقاوم الاخر في نفسية بطلتنا ؛ المستقبل والماضي ، الفرح والحزن ، مرتب الكويت وابراهيم من ناحية والام والاخ الاعرج من ناحية اخرى . ولم يجد الكاتب بأساً عليه ان ينتقل لحظات من تحليله لنفسية بطلته ليلقي الضوء على القصة من زاوية اخرى هي نفسية اخيها

وشعوره بأن اخته تمن عليه لعجزه وانه يعـارض هذا السفر ولكن واقعه يسلبه الحـق في ان يصرح بذلك . ويصطدم جانب الفرح بجانب الحزن في اشكال يتضح في نفسية الاخ سعيد وهو عمن سينفق عليه وعلى امه اذا تزوجت اخته ؟ وفي اليوم التالي تستقل اخته الطائرة ويبقى هذا الاشكال حائراً على شفتي القارىء . وهكذا نجد القصة تتحرك من اولها الى آخرها من داخلها « فالحياة نفسها تتحرك وتنمو في داخـل الاطار الفني » كما سبق ان اشرنا .

* * *

هذا ولم أهمل التعليق عـلى نقد كتابي « الخالدون العرب » لقدري حافظ طوقان ، و« قيثارة الريح » لمحمود فتحي المحروق الا لانه لم يتح لي أن أقرأ الكتابين بعد . وكذلك الامر في كتاب «أباريق مهشمة » الذي تناوله من قبل الاستاذ كاظم جواد ، وتناوله في هذا العدد ـ بصورة أهدأ ـ الاستاذ أكرم توفيق ؛ ولو أني لاحظت أن الاستاذ أكرم قد جرد الشعر الحر من كل ميزة حين قال « والشيء الذي نفتقده في أغلب قصائد هـذا الديوان والشعر الحر بصورة عامة هو انعدام الفيض الشعري واللمسات الانسانية والموسيقى النفسية التي لا يكون الشعر بدونها شعراً » وقـد احتاط الكاتب لنفسه بقوله «نفتقد» وقوله أغلب القصائد . ثم يقول «فالشعر لا يصنع بكلمات بل باحاسيس » وأحب أن أشير هنا إشارة بسيطة إلى أني لم أفهم بعض هذه الجملة حيث أن الشعر ـ كما أفهمه ـ هو بالطبع أحاسيس ولكن وسيلة التعبير عنها هو موسيقى الالفاظ ذات المعنى ، اي الكلمات ، ولكنها كلمات معينة لانه لا بد أن يكون لها موسيقى الى جانب معناها .

ثم هناك قصة «فوق التراب» للأستاذ عبد الهادي البكار وهي أقرب إلى أن تكون قصة شعرية حزينة من بين هذا النتاج الكثير الذي يعكس أثر النكبة الفلسطينية . وكذلك قصيدة «عودة اللاجىء» للأستاذ عيسى الناعوري التي هي من نفس هذا النتاج ، وهذه أول مرة أقرأ فيها الاستاذ الناعوري شاعراً ، ويبدو أن الاستاذ الناعوري في نثره أقوى بكثير مما هو في شعره ، حتى أننا إذا ما قارنا بين قصة البكار النثرية وقصيدة الناعوري الشعرية ، وهما في موضوع واحد وفي صفحتين متقابلتين ، أحسسنا بأن قصة البكار اكثر شاعرية ، وأكاد أقول وقصيدة الناعوري اكثر نثرية .

ثم هناك قصيدة « فتنة بعثرتها » للاستاذ الطيب الشريف من تونس ، وهي تدل على ان الثورة على الشعر العربي الكلاسي قد امتدت الى هناك ، ولعلها من تأثير الادب الفرنسي مباشرة . وقد اهداها الشاعر للرسام الفرنسي بيكاسو ، ويبدو تأثر الشاعر بذلك الرسام لانه يحاول ان يصف صورة سيدة فيذكر نهديها وحاجبيها وجبينها وشفتيها وخديها وشعرها . وقـد قرأتها اكثر من مرة لاجمع في ذهني صورة لهذه اللوحـة المبعثرة لان شاعرها يقول :

لاتقل لي : لوحة بعثرتها فنهـا في جمعها

ولكن يبدو ان فني قد قصر في ذلك ، وذلك لان الشاعر قد بعثر لوحته فعلاً وتعذر جمعها في صورة بصرية واحدة . وهذه طبيعة الكتابة حين تصف صورا بصرية وتقلل من التعبير من المشاعر النفسية .

واخيراً هناك قصيدة اخرى من تونس بقلم الاستاذ الشاذلي زوكار بعنوان « لسنا العبيد » وفيها يعبر عن امنيات شعب تونس ، ولو ان الوزن الذي اختاره الشاعر لا يلائم تماما ذلك الحماس الذي يريد ان يعبر عنه ، كما ان هناك الفاظا يجب ان تستبدل بأخرى أقوى منها مثل قوله :

نبغي السيادة وافتكاك بلادنا .

وبذلك يكون العدد الثامن من السنة الثانية مـن مجلة الآداب قد ضم ثمانية مقالات وعشر قصائـد وخمس قصص . أما المقالات فواحد منها مترجم وثلاثة منهـا بقلم لبنانيين وواحد بقلم مصري ومقالان بقلم سوريين ومقال بقلم عراقي . أما القصائد فمنها اثنتان لم تمسا الناحية الاجتماعية ـ ومنها خمس على طريقة الشعر الكلاسي وخمس على طريقة الشعر الحر ـ ومنها واحدة من مدريد واربع من بغداد وواحدة مـن الاردن واثنتان من تونس واثنتان من القاهرة . أما القصص فمنها اثنتان من القاهرة وواحدة من بـيروت وواحدة من سوريا وواحدة من القدس . وساهم في كتابة هذه القصص والقصائد والمقالات ثلاثة كتاب من لبنان وكاتبة من مدريد وثلاثة من سوريا وخمسة من بغداد وستة من القاهرة وواحد من الاردن واثنان من تونس وواحد من القدس . هذا عدا من شاركوا في الاستفتاء وباب قرأت العدد الماضي مـن الآداب والمناقشات ونقد النتاج الجديـد ثم الاخبار العلمية والادبية . وكانت مشكلة فلسطين موضوعاً لمقالة ولقصة ولقصيدة . وساهم في كتابة العدد اربـع سيدات مـن بين اربـع وأربعين كاتباً . ولعلّ لهذه الاحصاءات دلالتها .

يوسف الشاروني

الاسكندرية

مُناقشَات

حول قصة «وحول»

كتب الاستاذ يوسف الشاروني ينتقد قصتي «وحول» (*) ، فأخذ عليها انني اعطيت القراء صورة عن بطلها العامل لم ابرز وجودها الفني ، وأوضح ذلك بان انصراف هذا العامل عن كسب حصل عليه بغير تعب «أمر غير حقيقي» ، ثم ختم نقده بقوله «ان المؤلف قد أقحم إقحاماً على العامل هذا اللون من التفكير الاجتماعي ، مما يهبط بالمستوى الفني للقصة» .

وأحسب ان في هذا الكلام ذاته، على غموضه ، رداً على انتقاد الاستاذ الشاروني . فهو يذكر ان العامل كان يفكر تفكيراً اجتماعياً . وإن كان يعتبر هذا التفكير إقحاماً من المؤلف . واني لاتساءل بعجب : كيف لم يجد الناقد في هذا الصراع الطويل الذي عاناه العامل ، وفي هذا التفكير الاجتماعي بالذات ، حين ربح ورقة اليانصيب ، مبرراً لرفضه ذلك الربح ؟

لعله يحسن بي هنا ان استعيد هذا الصراع الذي رسمت خطوطه بدقة وتركيز اعتقد انه لا فجوة فيها . فان بطلنا يظهر في اول القصة ونفسه تنازعه الى شراء ورقة اليانصيب ، ولكنه يتمنى مع ذلك ان ينجو من اغراء هذه الرغبة . وقد نجح صباحاً في الفرار من اصوات اولئك الشياطين وايديهم الممدودة الملوحة . اما في المساء ، فقد طالعه ورفيقه ، حين خرجا من المطبعة ، وجه صبي ذي عينين واهنتين مكسورتين شيعا ن على تقاسيمه سيما الذل والمسكنة ، وقال له بصوت ضعيف «آخر نصف ورقة يا سيدي ، إن شاءالله تربح».ومع رغبته الاولى في ابتياع مثل هذه الورقة ، فقد ايقن انه إنما اشتراها اشفاقاً على الصبي ، لا طمعاً في الربح .

وقد بدأ الصراع يتجه نحو ذروته حين طلب اليه رفيقه ان يدينه ليرة يشتري بها بعض الجبن لاولاده ، مبرراً هذا الطلب بقوله «ما دام في استطاعتك ان تهدر خمس ليرات ثمناً لامل في الهواء ...» واذ ذاك بدأ الندم يثقل على ضمير العامل : خمس ليرات كان بأشد الحاجة اليها ، وقد وعد زوجته بان يبتاع بعض الحلوى لولديه . ثم أخذ الضيق بانفاسه حين انبأته زوجته ان ابنه يشكو البرد والسعال ، وبلغ الندم في نفسه حداً حمله على ان يحاول نسيانه . فدعا ابنته اليه وسألها ان تقرأ عليه درس الغد .

في هذا الجو من القلق والتبكيت ربحت ورقته . اما الغشاوة التي رانت على عينيه ، فضل طريق المطبعة ، فبعثها مزيج من الفرح ومن ذلك الندم ولقد دخل الى المقهى ، ليستصفي شعوره ، فلم يبلغ من ذلك شيئاً . وإن إحساسه بمرارة مذاق القهوة ذو دلالة غنية : إن المرارة في فمه ، في نفسه ، في ضميره . ولقد حسب انه سيضع حداً لها اذا هو استسلم للنوم الذي سينسيه ذلك الاحساس . ولكنه افاق في الليل على سعال ابنه ، فرده ذلك الى الواقع ، هذا الواقع الذي لم يكن له بد من مواجهته الآن . إن ولده مريض ، وهو يحتاج الى علاج ، ولكن العلاج لن يجدي اذا هم ظلوا في هذه الغرفة الرطبة . إذن ، فسينتقل بذويه الى بيت دافىء يقتني له بعض الاثاث الجديد : لا بد له إذن من قبول هذا الربح . وإنه الآن في انتظار الصباح ، ليقصد الى مكتب صرف الاوراق الرابحة .

كان ذلك هو قراره الاول . على ان القضية لا تقف هنا . وهو مدعو الى ان يتابع تطورها : إن الاهتمام بالبيت الجديد سيقتضيه ردحاً من الزمن ، وانقطاعاً عن العمل ، اسبوعاً او يزيد . وهنا يستيقظ العامل على وضعه الحقيقي الذي خدرته هذه الورقة الرابحة التي قذفتها اليه ريح الاقدار .

لقد ظل البطل يقلب امره على وجوهه كلها ، ويواجه رفاقه الذين كان يكدح معهم ويأكل رغيفه معهم بعرق جبينه .. إنه الحس الاجتماعي الذي ينعم به كل انسان ، ولا سيا كل من جمعهم البؤس فزودهم بشعور مشترك في الحياة . وليس في نيتي هنا ان استعيد المحاكمات العقلية التي مرت بذهن البطل ، فهي ليست من الفلسفة في شيء ، وانما هي ظلال تنبعث من النفوس الشريفة ، وواضح ان هذا العامل كان ينعم بمثل هذه النفس . ولقد استغرقت هذه المحاكمات والاسئلة ، يطرحها العامل على نفسه ، زهاء نصف صفحة ، وكلها تبرر الموقف الذي سيتخذه : اي لرفض الربح الذي أتاه ، ولم يكن ربحاً حلالاً . وأن يكون الدافع الذي حمل العامل على شراء الورقة هو الفقر ، على فرض ان ذلك صحيح ، فليس في هذا ما يمنع العامل من ان يراجع نفسه ، ويجعله يتخذ موقفاً آخر بعد فترة كافية من التفكير والتقدير .

صحيح ان رفض ربح يأتي الانسان على حين غرة ، هو مبدئياً أمر غير محتمل الوقوع دائماً . ولكنه يظل ابداً مرتبطاً بالملابسات والقرائن والمبررات. وجدير بهذه ، حين تتوفر ، ان تحقق هذا الرفض . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى تأتي «الرؤية» القصصية للكاتب ، وفهمه لمعنى الواقعية . فانا لا افهم الواقعية على انها تسجيل آلي خام للاحداث ، وانما افهمها على انها «تجاوز» و «نزوع» ، ابتداء من الواقع ، لا تقيد به واقتصار عليه . وإلا افرغنا الادب خاصة ، والفن عامة، من اي محتوى، ونزعنا منه كل رسالة . وواضح من تفكير العامل الذي يرفض فكرة القدر انه يؤمن بان الانسان هو الذي يصنع قدره ومصيره ، ولا بد له ، لكي يثبت عملياً هذا المفهوم ، من ان يقوم «بعمل» حاسم ، قد تكون فيه صدمة ، ولكن هذه هي طبيعة كل عمل ثائر .

اما اعتقاد الاستاذ الشاروني بأني اقحمت على هذا العامل هذا اللون من التفكير الاجتماعي فلا ادري كيف ارد عليه . كل ما استطيع ان اقوله في هذا الصدد انني عشت سنوات طويلة ، بحكم عملي الصحفي والادبي ، بين عدد من عمال المطابع ، واتبح لي ان اصادق بعضهم واناقشهم واستكشف نفسياتهم ؛ واستطيع ان أؤكد للاستاذ الشاروني ان كثيرين منهم يتمتعون بمثل هذا الوعي الذي يتمتع به بطل القصة ، وان لديهم تفكيراً اجتماعياً صافياً وامكانيات غنية .

بقي انتقادان ، اولهما تعليق الاستاذ الشاروني على قولي عن البطل : «أليس مما يخجله ان المال ليس ماله ، بل مال كثيرين من الاشقياء الذين تخنقهم اوضاع حياتهم» فقد قال تعليقاً على ذلك : «وهكذا اعطانا المؤلف كل المبررات لنتيجة تحقق عكسها» ... وانا لا أفهم هذه العبارة ، او لعل الناقد فهم عبارتي فهماً معكوساً او مغلوطاً ، فواضح ان هذه الفكرة تبرر تماماً ان يرفض العامل هذا المال الذي ليس هو ماله ، وهذه هي النتيجة التي تحققت في القصة ... لا عكسها !

اما الانتقاد على عدم ذكر اسم البطل ، فانتقاد شكلي لا أهمية له في نظري . واستشهاد الناقد بعبارة في القصة تحدث لبساً في ذهن القارىء ، امر قابل جداً للنقاش . فالواقع ان القضية لا تخرج عن كونها نوعاً من

(*) راجع باب «قرأت العدد الماضي من الآداب» في هذا العدد .

التداعي اذا تابعه القارىء بقليل من الروية زال اللبس فيه .

وللاستاذ الشاروني تحيتي واعجابي

سهيل ادريس

★

مناقشة «مأساة الانسان»

قرأت مقال الاستاذ شاكر مصطفى عن «مأساة الانسان في الحضارة الحديثة». وقد نجح الكاتب تماما في اثارة التساؤل وفي ابراز مشكلة حيوية لعلها تزداد حيوية بالنسبة لمثقفي الشرق العربي الذين يعانون الآن مرحلة انتقال وقلقلة تهدمت فيها قيم كانت راسخة منذ أمد بعيد. فقيم المجتمع العربي لم تتغير كثيرا إلا في خلال نصف القرن الماضي فقط ، اما قبلها فكان التغير محدوداً باطار زاده جمودا سيطرة التعصب الديني بطريقة غير متمشية مع تطور وعي البشر بصفة عامة .

ومما لا شك فيه اننا في الشرق لا زلنا كما قال الكاتب على عتبة الهيكل؛ ولم يعان مأساة الانسان هذه إلا بعض افراد الطبقة المتوسطة. اما سواها من الطبقات فأفرادها إما مشغولون بكفاح قاس في سبيل لقمة العيش لا يترك أي مجال لتفكير في سواها ، او هناك غيرهم المغرقون في عبث لا يفيقون منه ، بل إنه يمكننا أن نقول أن هذه المأساة أو الازمة هي في الغرب ايضاً –لا في الشرق فقط– لازمة من لوازم الطبقة الوسطى بالذات ويندر ان تحدث في غيرها . ويبدو ذلك في صورة واضحة في رواية دوهاميل «اعتراف منتصف الليل» فبطلها وهو من البورجوازية الصغيرة يعاني هذه المأساة التي نتجت غالبا عن الصدمة العنيفة التي اصابت الطبقة الوسطى في مركزها الاجتماعي والاقتصادي بعد تقدم الثورة الصناعية ، مما ادى الى انحلال هذه الطبقة بحيث أصبح مصيرها إلى زوال ، فأفرادها إما في انحدار الى الطبقة الكادحة أو صعود إلى الارستقراطية المالية . فالطبقة الوسطى الآن قد اصبحت بلا كيان واضح بل هي في ذبذبة دائمة : ذبذبة لا تسير في خط واحد بل في انحناءات مختلفة إما الى أعلى أو أسفل. وتزداد المشكلة وضوحاً في شرقنا العربي حيث نجد ان الذين يتفاعلون ويشعرون بالحاجة الى الوصول لمفاهيم جديدة هم المثقفون الواعون الذين ينتمون في الاغلب الى الطبقة الوسطى، هذه الطبقة التي يزداد دائماً بين افرادها الشعور بالفردية ، ورغم هذا الاسراف في الشعور بالفردية لا يمكننا ان نعزل هؤلاء الافراد عن المجتمع ككل فلا نستطيع ان نؤيد الاستاذ شاكر مصطفى في قوله «ان الازمات كانت تصيب القطيع البشري ككتلة لا الانسان الفرد الشاعر بذاته كانسان اليوم» فانسان اليوم هذا مهما كان مغرقا في شعوره بالفردية فهو لا يزال رغم كل شيء جزءاً من القطيع البشري او المجتمع ، وهو لابد مؤثر فيه ومتأثر به بطريقة او اخرى . والازمة التي تصيبه كفرد هي نفسها جزء من الازمة التي تصيب المجتمع او القطيع ولن يتمنى حلها الا اذا نظرنا اليها على اساس هذا الاعتبار ،وليس هناك اليوم مجال لحلول تهتم بالذات المفردة ولا تهتم بكيان المجتمع ككل .

ولا يحق لنا ان نكتفي باثارة التساؤل فقط بل يجب ان نتلمس الحلول، ولا يحق لنا ايضا ان نيأس او نتشاءم من هذا القلق ، فهو قلق حي زاخر يحتوي في اعماقه جماع القوى الانسانية التي تضطرب في عملية مخاض هائلة يتولد عنها تقدم هائل في الامكانيات البشرية . وكما قال الكاتب قد تخلصنا من أمل المسيح ، والمهدي ، وهذا وحده فيه ارتقاء كبير وايمان بحيوية الانسان ومقدرته في الكفاح على هذه الارض واستطاعة التغلب على اليأس بلا حاجة الى امل كاذب هو أشبه بالمخدر منه بالمنبه ، فتخلصنا من هذا الامل المزيف ليس معناه اننا قد يئسنا وفقدنا الثقة ، بل لقد آمنا وازددنا ثقة بقدراتنا وطاقاتنا كبشر . واذا كان ذلك قد تبعه شيء من القلق فليست المأساة في هذا القلق وانما المأساة في ان تنحرف عن الحل السليم. وبدلا من ان نكتل قوانا في كفاح مشترك هو وحده الذي يتم به انتصارنا ، بدلا من هذا ننحرف الى انطواء وتقوقع واجترار لافكار انعزالية فردية لا تقدم بل تؤخر .ومن سابق التجربة التاريخية يبدو انه كما لاشك فيه ان الركب يسير ولن يتوقف لينتظر من ينعزل عنه ويغرق في الشعور بذاته وفرديته ، فهؤلاء فقط هم الذين يحكمون على أنفسهم بالموت يأسا ان لم يتخلصوا من فرديتهم المسرفة .

واذا كان هناك الآن أصحاب أدب أسود متشائم فهناك ايضاً أصحاب أدب متفائل يحترم الانسان كفرد ولكن بحيث لا تسيء فرديته إلى المجتمع بل هي تخدمه وترقى به . فمثلا قصص الكاتب الامريكي شتاينبك–قبل ان ينقلب على عقبيه – نجد أنها تفيض بنماذج رغم أنها غاية في البؤس والفقر إلا انها جميعا ذات روح انسانية أصيلة وفهم فطري لمعنى التصادق والامل في المستقبل مادمنا لا نستسلم لليأس وما دمنا جميعاً آدميين : نشعر بنفس الآلام ونسعى لنفس الاهداف ورغم اننا أحياناً قد لا يتضح لنا تماما منبعث هذه الآلام او اتحاد هذه الاهداف إلا اننا كلما عانينا اكثر ازداد اقتناعنا بأن سبيلنا الوحيد للارتقاء بكياننا هو الكفاح بلا كلل والكفاح المشترك متعاونين مع الخير لا منعزلين . وكاتب آخر متفائل رغم ان نماذجه مغرقة في البؤس والتشرد وهو غوركي بل إنه في قصته الام يعرض في حوار رائع بالمثقفين الذين لا يحسنون إلا الكلام لاالعمل فهم يكتفون بمعاناة القلق والشعور بالمشكلات ولكنهم لا يحاولون او لا يحسنون حل هذه المشكلات لما يسود بينهم من روح الانعزال والمنافسة ورغبتهم في المنافشة لمجرد اظهار ثقافتهم وهم لا يدركون تماماً ان هناك قوى أخرى فعالة في المجتمع في أحشائها بذور التقدم ويجب عليهم ان يندمجوا باخلاص في كفاحها.

وهناك برنارد شو بسخريته الرائعة يعرض للمشاكل الناتجة عن التضارب بين الاوضاع الاجتماعية الموجودة فعلا وبين القيم التقليدية التي لم تتطور معها وهو من خلال تحليله لهذه المشاكل يحاول دائما ان يبين لنا أن في الامكان معالجتها بمعالجة المجتمع وتغيير مفاهيمه ومعاييره الاخلاقية والاجتماعية بل وغالبا ما يكون في تمثيلياته شخصية تمثل القوى الناضجة الجديدة التي ستحمل عبء التقدم المنشود كما في شخصية الابنة فيفي في تمثيلية Mrs. Werren's Professin .

فأمثال هؤلاء الكتاب هم الطليعة التي استطاعت ان تتغلب على روح المأساة فيهم وان تفهم واجبها الملقى على عاتقها بالنسبة للمجتمع بلا انطواء وبلا انعزال .

وفي مقال الاستاذ شاكر مصطفى محاولة لتقييم النظريات العلمية ، والعلم فيما ادري لا يقيم ونظرياته لا تنافسه فقط في مدى صحتها او خطئها وذلك في ضوء براهين علمية. اما ان نصف بعض هذه النظريات بأنها «سحق الانسان لذاته وكرهه حتى لنفسه واحساسه الفاجع البشع بالعبودية او الحيوانية» فهذا ما لا يتفق مع طبيعة المنهج العلمي ؛ وعموما فهذه النظريات العلمية – التي وصفت بالجملة السابقة – هي اكثر احتراما للانسان من نظريات اخرى كانت تسود قبلها كنظرة التكفير والخلاص من الخطيئة الكبرى أو نظرة قتل الانسان ما اكفره ، فداروين وفرويد في نظرياتهما قد زادا من فهم الانسان بالكشف عن مدى الطاقات الحيوية التي يشتملها بين جنباته ، وبذا ازداد فهمنا لهذه القوى مما يساعدنا على حفظ

الاتزان بينها وعلى حسن استغلالها في الارتقاء بأنفسنا ؛ وفرويد نفسه قد بين بوضوح ان الغريزة إذا سادت كان ذلك حالة مرضية ، فأين الحيوانية في ذلك ؟ ويلخص الاستاذ شاكر مصطفى المأساة في ثلاث فكر :

أولا : فشل الفكر الحديث والعلم في حل المشكلات إن لم يكن زادها، اما ان المشكلات قد زادت فهذا صحيح ، إلا انه في الوقت نفسه دليل نجاح العلم لافشله ، لان العلم كلما حل لنا مشكلة ازدادت آفاق وعينا وظهرت لنا مجالات جديدة اوسع من قبل فزادت بذلك مشاكل جديدة نحاول مرة أخرى حلها بالعلم وهكذا دواليك .وهذه هي الحياة وهذا هو التقدم ؛ حركة دائمة الى امام وبلا توقف ، ولو كانت الطريقة التي يحل بها العلم مشاكلنا ينتج عنها ان نصبح فنجد انفسنا بلا مشاكل ، أقول لو كانت هذه هي النتيجة لاصبح وجودنا فراغا لامعنى له هو إلى الموت والجمود أقرب. ولو سمحت الآلهة لسيسيفوس بأن يصل الى القمة بصخرته ثم تركته بلا عمل فانه ولابد ملق صخرته بنفسه على السفح ليشغل مرة اخرى بحملها أو لعله يبحث عن قمة اخرى أعلى من سابقتها يرفع اليها صخرته .

ثانيا :فشل القيم،ولعل هذا كما سبق أن ذكرت اكثر وضوحا في الطبقة الوسطى ، خاصة وأنه رغم انها اكثر الطبقات قلقا الا انها في نفس الوقت اكثرها محاولة للاحتفاظ بالقيم التقليدية. فتطور قيم الطبقة الوسطى بطيء لا يلاحق التطور السريع في المجتمع الصناعي فينعزل افراد هذه الطبقة وينظرون من شقوق فوقعتهم إلى الآلة رمز المجتمع الصناعي على انها شبح مخيف تقضي على احلامهم وآمالهم وكيانهم المستقر ، ومن تخلفهم هذا يزداد قلقهم فيزداد مرة أخرى تمسكهم بتقاليدهم العتيقة كآخر محاولة يائسة للاحتفاظ بالاستقرار الفكري والتغلب على القلق وهكذا حلقة مفرغة : تخلف فقلق فتخلف .... فالفشل هو غالبا من قيم الطبقة الوسطى وإذا كنا قد ادركنا أن مبادىء الاخلاق « ليست مثلا عليا لا تتزحزح ولكنها وقائع نفسية او تاريخية او اجتماعية متطورة متقلبة » فمثل هذا الادراك هو خطوة إلى امام لا وراء لانه يدفعنا دائما إلى ان نطور قيمنا حتى تلائم مجتمعنا ولا نحاول تثبيت هذه القيم الا بمقدار ملاءمتها، حتى اذا اصبحت قيمنا الجديدة هذه في يوم من الايام عتيقة نبحث او يبحث من بعدنا عن غيرها ولسنا بأول أو آخر من تعرض لمثل هذه الهزة ومثل مرحلة الانتقال هذه فقد سبقتنا إلى ذلك كل الاجيال وربما امتزنا نحن عن سابقينا بأدراكنا لهذه الفاعلية والتطور في قيمنا فهذا أدعى الي استقرارنا لا إلى قلقنا .

ويشير السيد الكاتب في بحثه إلى حضارات سعيدة قديمة وإني أستميحه عذراً في أن أسأله ما هو مقياس أو معيار السعادة في هذه الحضارات وما هو مفهومها أو المقصود بها : هل هو مجرد استقرار الاوضاع بلا قلق ؟ أو في عدد السعداء المتمتعين أو البؤساء القانعين ؟ وهناك الوان من الاستقرار والوان من القناعة هي أقرب إلى سعادة الحيوان منها إلى سعادة الانسان . وكيف يكون لنا أن نقارن بين السعادة في عصرنا وبينها في عصر آخر اختلف عنا في الظروف والمفاهيم والقيم الاجتماعية والاقتصادية والفلسفية والخلقية ؟ فمن المستحيل أن تكون نظرتهم إلى السعادة هي نفس نظرتنا فلا مجال للمقارنة .

ثالثاً : « نسيت الحضارة الحديثة الانسان وأساءت فهمه » ! وهذا فعلا هو لب المشكلة ولكنه معكوس . فلقد عجز البورجوازيون عن أن يفهموا أنه لا مكان لفردية مسرفة في فرديتها والشعور بذاتها في مجتمعنا الحالي. وبدلا من أن يتطوروا ويحاولوا الاندماج في التيار العام نجدهم يتهمون هذا التيار او هذا المجتمع بأنه يعاني ازمة خطيرة لانه قد نسيهم!! فالازمة أزمتهم هم ولكنهم رغم ذلك يتمسكون بمفاهيمهم البالية لا يحيدون عنها فلا يدركوا أن الفردية قد استنفدت اغراضها كعامل لتقدم المجتمع وأصبحت الآن عائقة لهذا التقدم لا دافعة له . ولذا نبذ المجتمع كل من تمسك بها ، وهم إذ يبكون هذه الفردية لا يبكون المجتمع –الذي يتقدم دائماً رغم نواحهم– وانما هم في الواقع يعلنون افلاسهم وفشلهم ويرثون أنفسهم وضياع قوة الكفاح الجدي فيهم ثم ينشدون نشيدهم الجنائزي وهم يسيرون بأنفسهم إلى الكهوف والقواقع ، إلى القبر ، وهم يتحججون بأن الحضارة الحديثة اهتمت بالكم لا الكيف وفهمت الانسان على أنه جسد فحسب ، وفاتهم انه لا مكان لاهتمام بكيف قبل أن يكتمل الكم ولا مجال لتغذية العقول إذا لم تتغذ البطون أولا ، فهناك الاهم ثم المهم. ولعله مما يسهل الامور علينا أن نحدد بالضبط ما هو المقصود بالكيف أو الروح والقلب فهذه الفاظ ذات مدلولات تختلف اختلافاً واسعاً باختلاف القائل والسامع ويساعدنا كثيراً في الوصول إلى حل أن نتفق على ما نقصده بها .

– إن هاملت كانت نهايته الموت بعد أن نثر حوله العذاب والشك والجنون والقتل . أما انسان الحضارة الحديثة فهو سائر في التغلب على مشكلاته والمهم انه يجب عليه أن يستمر في البحث عن الطريق لا أن يكتفي بأن يردد أنه في أزمة او مأساة .

وأخيراً أهنىء الاستاذ مصطفى بمقاله الرائع وبما أثاره فيه من مشكلات حية ما أجدرها بالبحث خصوصاً في هذه الآونة بالذات.وكم يسعدنا لو أتحفنا الكاتب ببحث آخر يساعدنا على تلمس الطريق الصحيح .

« القاهرة » **م. فهمي**

★

كلمتي الاخيرة في «أباريق مهشمة»

– ١ –

في العدد الماضي من مجلة « الآداب » قرأت تعليق الكاتبة الآنسة روز غريب على نقد لي لمجموعة شعر « اباريق مهشمة » ، سبق ان نشر في عدد أسبق .

ولأن شأنها كشأن اي ناقد يتمتع بحرية القبول ، والرفض ، رأيت الى الكاتبة الفاضلة تؤيدني في بعض وجهات النظر – وان اختلفت طريقة الفهم – وتخالفني في جانب آخر ... فقد رأت ان كاتب هذه السطور « الذي حمل على اساليب القدماء في النقد ، ما زال يعتمد طريقتهم عينها في بحث السرقات الشعرية ! » .

وقبل ان ارد على رأي الآنسة ، اود ان اشير الى ان مواقفها الحيادية في استعراضها المقتضب الشاحب المسائل التي تثير معضلات فكرية « كمأساة الانسان في الحضارة الحديثة » والمقصود بهذه الحضارة : الغربية الامبريالية ، قد اترع حاسيتي بتكهن عن مدى تفاؤلية كاتبتنا التي عدمت المنهج ، وافتقدت السند الفكري الذي تستلهمه لتبرير هذه التفاؤلية ، ولهذا السبب اعتبرت دانونزيو : شاعر ايطاليا الثائر ! .. ويبدو لي ان للكاتبة مفهوماً خاصاً بالثورة وكتابها وفنانيها ، يختلف عما درجت عليه الآراء العلمية الواقعية ازاء فهم القوى المحركة للمجتمعات عبر التاريخ . والتي احدثت الكثير من الهزات والتحولات .

إن هناك ظاهرة اخذ نطاقها يتسع ويمتد في الوطن العربي عبر الفترة الاخيرة ... هذه الظاهرة هي قابلية بعض جوانب ادبنا الحديث ، ومنه الشعر ، على اثارة معضلات فكرية تستدعي النقاش ، وتستوجب الحلول

الحاسمة النهائية ، فقد انتهى ذلك الدور الذي كان يحتدم فيه النقاش حول معنى او لفظة، وعندئذ كانت تهرع الاخشاب الآدمية الى بطون القواميس ، ومتاهات الكتب الصفر لتعثر على الدليل ! وشيئاً فشيئاً ، ولاعتماد هذا النمط من التفكير ، انفصل الفكر عن الحياة ، وابتعد عن الخوض في معارك الصراع بين طور وطور ، بين اتجاه واتجاه ، بين قيمة جامدة متحجرة ، وبين اخرى تنبثق من ذات تلك ، تناهضها وتناقضها لتؤكد وجودها في الحياة .

وفي هذه الفترة العصيبة من تاريخنا ، ينبغي على الادباء الذين يزجون بانفسهم في محتدم الصراع ويدعون ناشئة الادباء الى الاقتداء بهم ، ينبغي على قلة كاذبة ملفقة من هؤلاء ، ان تدرك ان الحركة الواقعية التي تستلهم حياة الشعب والاحداث الاساسية ، والتي اخذت معالمها ترسخ رويداً رويداً على ايدي نخبة طيبة من ادباء الشباب في العراق وسورية ولبنان ومصر ، ليست على استعداد للتفريط في مكاسبها التي انجزتها بعد نضال شاق ، لان ادباً مزيفاً انهزامياً رغب ان يرضي نزعة الوجوديين فوضع امامه ملخص قصة لكاتبة وجودية كي يستوحي « الاخفاق » و « الضياع » ، ولكي يرضي نزعات كيان فكري آخر ، وضع امامه انتاج بعض شعرائه يستوحي و « يؤطر » ويقتبس ، حتى انك لا تجد الا في النادر الذي هو في حكم العدم ، تلك الصور التي تهزك وتثير في اعماقك تلك الحيوية ، وتلك النقمة على الاباطيل والثقة بمستقبل الانسانية المنتظر ، تلك الصور التي تنتزع من صميم بيئتنا ، ومن بؤرة كل حدث « Action » على قدر اتصاله باحداث اخرى .

— ٢ —

ولهذا احتدم الجدل بين فئتين ، بين فئة تستوحي الكتب ، ان شعراً وان اقاصيص «حيث تنقل الاشكال من المؤلفات لا من الحياة» كما ذكر الناقد الاستاذ محي الدين اسماعيل في نقده لقصص « نشيد الارض » ، وبين فئة اخرى تكافح لبعث اماثر أدب عربي انساني خالص من الممكن ان ترسخ اصوله القوية في السنوات المقبلة على ايدي شبابنا المتعطش الى النور والمعرفة والتحرر ، بين فئة تتشدق في المقاهي الخاوية ببعض القيم التي لاتعي معناها ، وبين اخرى تريد عن طريق ادق القيم ، وكل قيمة مفيدة ، ان تحلل وان تشرح اوضاعاً وقضايا سائدة .

— ٣ —

وعلى هذا حاولت ، في نقدي موضوع البحث . حيث بلغ الصراع الذروة عند صدور المجموعة الشعرية الموسومة بأباريق مهشمة التي لم تكن لها سوى قيمة عادية لولا ذلك الصراع ، حاولت ان اعبر عن الاشياء التالية :

(١) الكشف عن قيم واقعية حديثة في الشعر لها ميزاتها وخصائصها ولها مسالكها الذي لا بد ان يؤدي عن طريق التجربة ، والمحاولات الجديدة ، وابداع قيم اخرى ، الى خصبها ونمائها وازديادها ثراء وغنى على مر الايام .

(٢) وان هناك « شعراً عربياً حديثاً » اتيت على ذكر بعض اسماء رواده ، وان هناك ايضاً « شعراً عربياً « حديثاً واقعياً » تخطى بعض الحدود ، وعلى اولئك الذين يريدون ان يزجوا اتباع إزرا باوند ، و ت . س . اليوت لغايات سياسية وفكرية مفضوحة ، في صميم هذه المدرسة ، وان يستغلوا هذه القيم لطعن انصارها الحقيقيين ، على هؤلاء ان يدركوا ان القارىء العربي لن يخدعه تضليل بعد اليوم .

(٣) وان أبين ، ان الشعر لم يعد ذلك الذي كنا نعرفه في السابق : مجرد التعبير « بلغة فصحى » عن عواطف وصور فارغة من اي محتوى ساحر ، وان اصدق الشعر لا اكذبه ! بل احفله بعناصر المضامين الحديثة والصدق المحض ، واخصبه في الوقت ذاته بالمشاعر الانسانية العميقة الشاملة، الذاتية الى حد ما ، لانه ما من صراع الا وينقدح الى شطرين ينسحب احدهما الى ذات الانسان ، ويضطرب الثاني في مدى المجال الانساني الاجتماعي حيث تحتك الانا بالآخرين . ان بعض شعرائنا يتمتعون بحس مرهف ، وشعور حاد ، ولكن الذي نستشفه ان اشعارهم فارغة من ذلك المحتوى ، من ذلك المضمون الذي يثيرك ، ويرغمك على الاعتراف بانك امام شاعر « يشعر ويفكر » ويخوض صراعات حادة .

(٤) وانني عندما اسرفت في ضرب الامثلة لمدى تأثر صاحب المجموعة الشعرية ، فلكي اثبت أن شخصية هذا الشاعر ممزقة ، تتعيش على ذوات الآخرين ، مبعثرة « بين وجودية مفتعلة ورومانتيكية خائبة ، وواقعية غامضة تستمد صورها من خارج المجتمع ومن ضوضاء التخيل » .. واذاً فان انتاجي ذلك السبيل الذي كشف عن بعض السرقات والقى التشكك على كل المجموعة ، لم يكن هو ذات النهج الذي سلكه النقاد القدماء . كل ما اردته ان اثبت ان ذلك الشاعر لم يكن سوى قارىء غير « مجرب » وان مجموعته الشعرية بكاملها مستوحاة مما قرأ . صور مشوهة منقولة لاغير، ومن يدري فلعل غيري سيجد في مثل قصيدة « موت الفلاح محمود » حيث تنتصب شخصية ناظم حكمت ، يونس الاعرج !! وترتعش ملامح اجوائه النفسية ، وعندما يقرأ قول الشاعر في قصيدته «الرحيل» .

والى خطى ساعي البريد
تصغي ، وتصغي « لبس في الدنيا جديد » !
فيتذكر قول بلند الحيدري :
ساعي البريد
ماذا تريد؟
انا عن الدنيا بمنأى بعيد
اخطأت لا شك فما من جديد ..

وعندما يعثر على اشياء اخرى غير التي اتيت على ذكرها في كلمتي موضوع النقاش ، اقول ، لعل غيري هذا سيصدر حكماً اكثر قسوة ، واشد قوة في الحكم الادبي الحاسم . والآن ، وبالرغم من هذه العجالة ، سأترك للقارىء الحكم بيني وبين الكاتبة روز غريب التي اشعرتني مراجعتها للعدد الاسبق انها كانت كمن يريد ان يلقي عن كاهله عبئاً فادحاً ، ولهذا جاءت احكامها باترة ، وارجو ان تسمح لي اذا فات انها لا تدل على تروٍ في محل آخر كقولها إنني « مصيب في ان الاتجاه الواقعي في الفنون صفة خاصة بالطور الانساني الذي نعيش فيه ، فالشاعر وغيره من اهل الادب منجرف بتيار العصر ، تيار الالتزام » — وهنا يحس القارىء ان الكاتبة سفحت بعض « العطر » عندما قالت : عن وعي منه — ولكنها نثرت بعض الشوك عندما قالت : أولا وعي ... هنا مصدر الاختلاف ، ان الآنسة الكاتبة ، على خلاف الرأي السائد ، ترى ان الانحراف في تيارات الالتزام في هذا العصر يصدر ايضاً عن « لا وعي» ... اما اين هي حرية الفنان وكيف حدد الاديب نظرته الى قضايا عصره ، وما هو فهمه وتحليلاته لتلك القضايا ، ولماذا اختار هذه الحلول ، ولماذا مثلاً يعزو مأساة الشعب العربي في فلسطين الى الاسباب التي هي نفسها ادت الى انهيار الاخلاق الغربية التي ساندت الصهاينة الفاشست زارعي فكرة الشعب المختار

منذ مئات السنين ، وعلام انجرف في ذلك التيار ولم ينجرف في التيار المعاكس ، او يقف على « الرابية » على الاقل ، فهذا ما لم تحاول الكاتبة توضيح خطوطه لنفسها قبل ان تمسك بالقلم وتهتف : عن لا وعي !

— ٤ —

ولأني اود ان انهي كل نقاش حول هذا الموضوع ، سأجيب الآن على رسالة صديق شاعر من رابطة النهر الخالد في القاهرة ، يرى فيها ان بعض السرقات التي المحت اليها في نقدي السابق ، لم اذكر نصوصها الاصلية كما فعلت في شواهد اخرى ، بل اكتفيت بالقول انها منقولة من القصيدة الفلانية للشاعر الفلاني.

لصديقي صاحب الرسالة الحق في هذ السؤال ، وإليه اجابتي :

يقول الشاعر :

وكأعمى قادني النجم الى الباب المضاء

أخذ هذا القول من قصيدة الشاعر بابلونيرودا (الطريد) The Fugitive وهذا هو النص :

(Blindly I was led by roads and shadows up to the lighted door , to the small star - point that was mine . ...)

اما قوله :

الموت ، والانسان ، من اعماق فطرته يقدم فيسخاء شاراته الاخوية!
الانسان في ليل الصراع ... فأخوذ منقول ذات الشاعر في نفس القصيدة:

« Night is somber but man provides his brotherly signals...

« الطبعة الامريكية للحمة « ليستيقظ محطم الاغلال » منشورات مجلة الجماهير Masses » .

بغداد   **كاظم جواد**

★

رحمة بالقارىء !

كنت أحسبني أكتب الكلمة الاخيرة حول منظومة (آه لو تنفع آه) حين عرضت للأخ الحلي في عدد تموز صورة الجزء الذي أبهم وزنه عليه ، مقطعاً تقطيعاً عروضياً ولم يخطر في بالي أن نسياناً يعتري قلمي ، او ينتاب يد المنضد سيكون سبباً لهراش جديد ، يقتضي من السيد الحلي مقالة عريضة – في عدد آب - تفيض بضروب أخرى من الغمز واللمز ...!

لقد سقط مني أو من المنضد بعض حروف من ذلك المقطع مع تفعيلتها المقابلة ، فاذا هو يهجم عليها بكل قوته ، كأنه المحقق العدلي يطبق على طرف الجريمة ! .. ويطيب له التندر فيهتف بالسارق – أنا ! – على مسمع جمهرة القراء : (أين ولت عبارة (تحت الدجى) يا أستاذ ؟ ماذا حل بها ؟ ولم مسخت ؟..) انظروا أيها الناس .. إنه (يجتث عامداً كلمتين من نتاجه على مرأى من أنظار القراء،وعين الحقيقة التي لن تنام أبدا...)

ثم يحدق باحثاً عن مطعن آخر في (فريسته) فاذا هو يجده في ذكري لزحاف الخبن – حفظ الله شعره من زحاف الخبن وإخوته .. – فيصرخ مقهقهاً : (بشرى سارة إلى الذين يتخذون من الزحاف عكازاً!..) ولا يفوته أن يلون صيحته المدوية بتهاويل بارعة من ألفاظ (الجراد ، والغزو المنظم ، والمسخ ، والبهلوانية ، والانحلالية ...) وما إلى ذلك من تعابير فنية رائعة تذكرنا بقول أمير الشعراء رحمه الله :

ومن النقد والجدال كلام   يشبه البغي ... والفضولا

وأي بغي وأي فضول أوضح من هذا الاستغلال الحماسي لكلمة لم أرد بها دفاعاً عن الزحاف ، وإنما ذكرتها في معرض التقرير لواقع في التفاعيل أبى أن يتفطن له دون تصوير !

على أني لا أجد مندوحة من استكمال النقاش بعرض مجموع المقطع ، مرفقاً بتفاعيله ، ليرى الأخ الكريم أن ما حسبه مطعناً لم يمسك منه بغير تلابيبه هو . فليقرأ معي مشكوراً غير مأمور :

[مللدجتا - فاعلاتن - حجاها - فعلاتن - فحاها - فعلاتن - عصفلغد - فعلاتن - ربهاتح - فعلاتن - تددجىفه - فاعلاتن - يركامن - فعلاتن - من حطامن - فاعلاتن - ودمائي - فعلاتن]

ليت شعري هل بقي شيء مما يصلح للهتاف والتصفيق بعد الآن ؟! هل أدرك الاخ الحلي ، وهو النقادة العبقري : أن صراخه وهتافه وتندره لم تكن ذات موضوع !!

اما والله إني لأكتب هذا في خجل من القراء ، فقد كان الاحرى ببياض (الآداب) أن يسود بما ينفع الناس أما ان نشغله بمناقشة التفاعيل للتثبت من صحتها،فذلك أمر يستدعي الرحمة بالآداب وبقراء الآداب(*).

ومهما يكن من شيء فالقراء علي أن أقدر وقتهم فلا أشارك في هذا اللغو بعد هذه الكلمة . وللأخ الحلي من بعد أخلص تحياتي .

محمد مجذوب

★

نماذج الشعر الحر ..

« ليالي القاهرة » قصيدة الشاعر محمد اسماعيل هاني ، هي خير نموذج حي للشعر الحر ، انتقال بارع في القوافي ، من قافيه لأخرى وتبديل في التفاعيل ، مع محافظة على الموسيقى الكلاسيكية للقافية ، التي يتحتم وجودها في الشعر . وفي الشعر العربي منذ وجد ، فلا احراج للشاعر – في هذه القصيدة – في الاستمرار على قافية واحدة تلزم الشاعر فيما لا لزوم به ، فتضطره الى تزييف خياله ومجاملة القوافي على حساب الشاعرية ؛ ولا تقيد في الاوزان بجعل الصدور والاعجاز مرتبطة - على طول القصيدة - بنغمة واحدة تصبح معها القصيدة كضربات رتيبة على طبل ! ..

ان الشعر الحر يجب ان يحافظ على كونهشعوراً منظوماً ، لا منثوراً ، وكثير من الشعر الحر الذي ينشره شعراؤنا المجددون على ما فيه من دفقات حية ، وانطلاق مجنح في عالم الواقع ، يفتقر الى النغمة الشعرية وهي موسيقية القافية المنفرد بها الشعر العربي والمتناسقة على موسيقانا ...

ان القافية الهة الشعر . مهما تطورت بحوره وكثرت اصنافه ، وان قصيدة الاستاذ محمد اسماعيل ، وعدد ابياتها ٣٥ بيتاً انتقل فيها الى خمس عشرة قافية ، وعدة اوزان ، وحافظ - مع هذا الطواف بين ازهار القوافي وحسان الاوزان - على موسيقى الشعر ونغمه المحبب الجميل .. ان هذا النمط نموذج حي - كما قلت - للشعر الحر ، والا فأن التحلل من القافية نهائياً يفقد القصيدة مجدها الغنى ، ويذهب بما يؤمل من خلود للشاعر وقصيدته رغم ما فيها من معان حية خالدة ..

سدة الهندية - العراق   **عبد الكريم الملا محمد**

* بهذه الكلمة نختم النقاش في هذا الموضوع الذي طال الأخذ به والرد... « الآداب »

روسيا

إصلاحات جديدة في التعليم

عرف التعليم السوفياتي في السنتين الاخيرتين نشاطاً غير معتاد . والواقع ان المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، الذي عقد في اكتوبر ١٩٥٢ ، قد قرّر إصلاحين هامين : تعميم التعليم الثانوي (عشر سنوات دراسة بدلاً من سبع) مع التطبيق الاجباري ابتداءً من عام ١٩٥٥ في جميع المدن الهامة ، ومن جهة اخـرى إدخال التعليم « البوليتكنيكي » الى جميع المدارس . ولا شك في ان هذه التدابير التي تضاعف الى حد كبير عدد الشبيبة المدرسية وتحمل على تغيير طرق التعليم ، تثير في تطبيقها عدداً من المشكلات العملية والنظرية . ولعل ما سيزيد في صعوبة التطبيق هذا قرار جديد نتج عن ان « اكاديمية العلوم التربوية » اعلنت انها توافق على عودة التعليم المختلط .

وكان هذا التعليم قد الغي عام ١٩٤٢ ، حين عادت المدارس الى التعليم المنفصل . وفي هذا العام ، تمّ الاجماع على ترك هذا التعليم . وقد صرح البروفسور ملنيكـوف Melnikov نائب رئيس اكاديمية العلوم التربوية في المجلة الادبية Literatournaia Gazetta بقوله : « إن تجربة عشرة اعوام من التعليم المنفصل قد اظهرت قبل كل شيء اننـــا لم نصل حتى الآن الى رسم الخطوط المميزة للتعليم والطرق التربوية في مدارس البنين والبنات . والواقـع ان الاختلافات الفيزيائية ومميّزات الطلاب الذكور والاناث تنفي ، من وجهـة نظر تربوية ، ضرورة تفريق البرامـج . » ويضيف البروفسور ملنيكوف إن بعض علماء التربية ادّعوا ، حين أقيم نظام التعليم المنفصل ، ان اقبـال الذكور على العلوم يشتد ويزداد . ولكن التجربة هدمت هذه الدعوى هدماً تاماً . والامثال المستشهد بها تثبت ان الاناث ، في حقل الخلق التكنيكي ، موهوبات كالذكور سواء بسواء .

وسيكون من نتيجة تعديل قرار ١٩٤٢ تحويل جميع المدارس الى معاهد مختلطة ؛ وابتداء من العام الدراسي القادم ، سيكون طلاب الصفوف الاربعة الاولى مجموعين ذكوراً واناثاً وهذه التعديلات هي دون شك على غاية الأهمية لاقترابها من المفاهيم التي عمت إثر الثورة . وتبقى هناك مشكلة اللامجانية في عدد من المعاهد ؛ وليس مستبعداً أن يعود المسؤولون قريباً الى مبدأ المجانية العامة . وعلى اي حال ، يبدو من الاهتمام الذي توليه الصحافة والمسؤولون لهذا التدابير الجديدة ، ان كل شيء يتجه الى متابعة التجارب التي شرع بها اخيراً .

المانيا

المسرح في برلين

في برلين عددٌ من المسارح يكاد يوازي عدد الكنائس في روما . والمعروف عن السكان انهم جميعـــاً يهتمون باحداث الحياة المسرحية ؛ وليس من النادر ان تسمع سائق ترام يحدث المسافرين عن رأيه في اخراج هذه المسرحية أو في تمثيل تلك . ويبدأ تمثيل المسرحيات في أوقات متباينة ، ولكن بين السادسة والثامنة دائماً ولاتنتهي الا نادراً بعد الساعة العاشرة ؛ ومعنى هذا ان المشاهدين يقصدونها أثر الخروج من المكتب أو المصنع ، ويتناولون فيها عشاءً خفيفاً في فترة الاستراحة .

وبالرغم من أن الاقبال شديد على حضور المسرحيات ، فإن المسارح لم تطلع في السنوات الأخيرة أي مؤلف درامائي موهوب . ولا تزال المسرحيـــات أمثـــال « انطيغون » لسوفوكليس ، و « وفي انتظار غودو » هي التي تجتذب اكبر عدد من الجمهور . والواقع ان الاخراج هو الذي يستأثر باهتمام المعنيين بالمسرح الالماني في القطاعين الشرقي والغربي على السواء .

هاجلستانج والالتزام والشعر

يعتبر رودلف هاجلستانج R. Hagelstange من أهم الادباء الالمان اليوم ، وهو شاعر وناثر مجيد ، وقد احتل مركزاً مرموقاً في الشعر الغنائي المعاصر بفضل مجموعتيه الشعريتين « أغاني المكفنين الأحياء » و « الكريدو الفنيسي » . وقد نشر مؤخراً كتاباً نثرياً هاماً بعنوان Es Steht In Unserer Macht « ما هو في طاقتنا » ، يضم دراسات تنقسم إلى ثلاثة أقسام يتناول أولها

افكاراً عامة والثاني تأملات روح مسيحية وذكريات شخصية والثالث ملخص سيرته الخاصة .

والمؤلف ناثراً ليس اقل عناية باسلوبه منه شاعراً . وعلى ذلك يظل الشاعر والناثر ، والمفكر والمصوّر كلاً واحداً . فالفكرة المجردة لا تطرد الصور بل تستدعيها طبيعياً .

ويهتمّ هاجلستانج ككاتب بتبعات الأديب اكثر ما يهتمّ . والأديب في رأيه في طريق وسط بين ساحة القتال والبرج العاجي ؛ وحتى الشاعر ينبغي أن يكون ملتزماً ، ولكن كحامل انوار تضيء النفوس اكثر منه كمحارب . « ليس من مهمة الشاعر أن يكون قائداً ، وليس في استطاعته أن يُنهض الذين سقطوا ، ولكن باستطاعته ان يجعل العيون تتفتح » .

ويطلب هاجلستانج من الشعراء «يتنفس الحرية والحب» ، والحرية هي حق ، وينبغي للحب أن يكون هو القانون : وهذان هما قطبا الحياة . وهذا الانسجام الذي يبحث عنه الشاعر ويكتشفه هو نفسه ، يودّ ان يراه ايضاً في عالمه ؛ انه يتذبذب بين الهناءة والقلق ؛ وهناك غريزة « الهية وطفولية » في الوقت نفسه تدفعه إلى أن يجد معنى في تنوع العالم الفوضوي ؛ وإن مهمته هي أن يختلس من الساعات الفارّة العجلى بضع رؤى تبقى وتخلد .

فلسفة التشاؤم

نشر المفكر المعروف لودفيغ ماركوز Ludwig Marcuse الذي اشتهر بدراساته عن هين وستراندبرغ وهوَبتمان ، كتاباً هاماً عن « التشاؤم » تنهض قيمته على أهمية الموضوع وعلى موهبة المؤلف . وماركوز الذي بلغ الستين من عمره ، ويعيش الآن في لوس انجلوس ، انسان متشائم ، ولكن بفرح واندفاع . تشاؤم « ديونيسياكي » كما يقول نيتشه ، ولكن بحكمة باسمة وانسانية . وهو يقيم دعوى التشاؤم منذ مولده ونموه ونضجه وغروبه ، ثم مولده من جديد ، وبالاختصار يُظهر انه خالد سرمدي . وهو لا يشجبه بعد كل حساب ، ولا يحاول ان ينزع قناعه على انه شخص خطر ينبغي تلافيه والحذر منه ، ولا يدخله السجون التي يملك مفاتيحها العقل السليم ، بل هو يبرئه ، ويدعوه إلى ان يعيش بيننا ويرى ان يكون له على مائدتنا مكان محترم . ويقول ماركوز إن التشاؤم هو الثمرة الطبيعية « لعهود النضج » Ein Stadium Der Reife ، وهي قد تكون ثمرةً مرّة ولكنها مغذّية ، فينبغي إذن ان نعرف كيف نتناولها ، وذلك بأن نقبل الألم والحزن كممثلين ثانويين ، ولكن لا غنى عنهما ، في التمثيلية التي نقوم بها في هذه الحياة .

فرنسا

نظرة جديدة الى الانسانية

كتب بيير هنري سيمون الذي نال هذا العام « جائزة السفراء » Prix des Ambassadeurs مقالاً هاماً في مجلة Les Nouvelles Littéraires (العدد ١٤٠١) بعنوان « انسانية لا وهم فيها » يتحدث فيه عن مظاهر التناقض التي تطبع الحياة العصرية . ويشجب الكاتب التفاؤل والتشاؤم ويقول انهما وضعان لا يشرفان الفكر « ففي عالم يمتزج فيه الخير والشر امتزاجاً واضحاً ، وفي وضع انساني تبدو فيه القدرية شيئاً لا مراء فيه ، ويتوازن فيه نصر الانسان وهزيمته ، يبدو من الاجرام والعبث ان يقال إن كل شيء على ما يرام ، لأن ذلك يعني تجاهل دموع الذين يتألمون والمخاطر التي تكتنف اي عمل من الأعمال ، او ان يقال ان لا جدوى من شيء ، ولا شيء يستحق ان يعاش من اجله ، لأن هذا يعني انكار حظوظ السعادة والخلاص ، والتجديف ضد الفرح والجمال والنبل التي تزدهر في العالم ... » إن التفاؤل والتشاؤم وضعان سطحيان يقومان على توخي السهولة ، بعكس الأمل واليأس اللذين لهما وزنهما وعظمتهما واللذان هما جديران بالوجدان الانساني : فالأمل عمل حرّ للارادة الواعية ، واقتبال لشعاع يتسلل عبر الظلمات والأخطار ، والسير نحو نقطة ملحوظة على الارض ؛ واليأس لأنه ينفجر هو ايضاً في الوعي وفي صدمة نتجت عن مطلب داخلي للنظام والحب والخلود ، في الوقت الذي نشعر فيه ان قدراً ما يمنع عنا هذا النظام والحب والخلود ، ولأن اليأس ايضاً يفضي الى الثورة التي هي شكل من اشكال الشجاعة ودعوة الى الخلق . وهذان هما مظهر الانسانية التي لا وهم فيها : الامل واليأس ، لا التفاؤل والتشاؤم .

النشاط الثقافي في الغرب

وفاة كوليت

في الثالث من هذا الشهر (آب) توفيت الكاتبة الفرنسية الكبيرة كوليت عن عمر ناهز الواحدة والثانين . ولا تزال الاوساط الأدبية الفرنسية في حداد على هذه الكاتبة المبدعة التي لم يعرف الأدب الفرنسي اعظم منها ولا ابرع منها اسلوباً .

وقد نشرت كوليت عدداً كبيراً من الروايات التي اخرج كثير منها على الشاشة البيضاء . كما كتبت مقالات نفسية رائعة . ومن اشهر كتبها Gigi و « باريس من نافذتي » Paris de ma feuêtre و « النجمة ڤسبر » L'Etoile Vesper « والمرأة المختبئة » La Femme Cachée و « هذه الـلذات » Ces Plaisirs و « الرحلة الانانيـة » Le Voyage Egoïste و « بيت كلودين » La Maison de Claudine

المؤتمر الشعري الثاني

تستعد مدينة «نول لزوت» ببلجيكا لاستقبال ممثلي ثلاث وعشرين امة سيشتركون هذا الشهر في المؤتمر العالمي الثاني للشعر الذي سينعقد بين الثاني والسادس من ايلول ويتناول موضوع « الشعر واللغـة » الذي سيناقشه عدد من الادباء والشعراء الفرنسيين والالمـان والبلجيك والاميركيين واليابانيين والايطاليين والدنمركيين والبرازيليين الخ ... وسيمثل فرنسا في هذا المؤتمر عدد من الأدباء المعروفين على رأسهم جان كاسو Jean Cassou رئيس المؤتمر وجـاك ديرون Duron ومرسيل ارلان Arland وغايتان بيكون Picon وسواهم .

الولايات المتحدة

كتب جديدة

● صدرت اخيراً للروائي الشهير شتاينبك رواية جديدة « الخميس اللذيذ » Sweet Thursday . وفي هذه الرواية يعود صاحب « عناقيد الغضب » و « في معركة مشكوك فيها » الى ذكريات غرامياته الاولى ورفاق شبابه المستهتر الذي قضاه في مدينة « مونتيري » الكاليفورنية ، والى الاشخاص الذين خلدهم في « شارع السردين » .

● صدرت للقصاص المعروف ارسكين كالدويل المجموعة الكاملة من اقاصيصه ،وهي تضم ستاً وتسعين اقصوصة تكشف كلها عن مقدرة المؤلف وابداعه في معالجة القصص القصيرة .

● «تاريخ الأدب الاميركي» مؤلف ضخم شارك في وضعه خمسة وخمسون من اشهر المؤرخين الادبيين في الولايات المتحدة وعلى رأسهم هنري كانبي Canby ووكتر Wecter وبلاكمور Blackmur ومالكولم كاولي Cowley .

● « لا احد يقول كلمة » وقصص اخرى ، مجموعـة قصصية جديدة لمارك فان دورن Van Doren . وابداع هذا الكاتب يتجلى خصوصاً في حسّه للطبيعة وفي الطريقة الـتي يسجل بها الانفعالات الإنسانية التي تفرّ من الزمن .

● « الموسيقى كفنّ » كتاب يحاول فيه مؤلفه هربرت وينستوك H. Weinstock ان يعالج الموسيقى كلون من الفن ينبغي ان يفهم فكرياً حتى يتذوّق تذوقاً صحياً .

● « كامينو على حقيقته » رواية مسرحية اثارت كثيراً من المناقشات وجذبت الجمهور الاميركي لدى تمثيلها في العام الماضي. وهي من تأليف المؤلف المسرحي الشهير تنسي وليامس.

النشاط الثقافي في العالم العربي

لبنان

الفائزون بجوائز اهل القلم

وأخيراً ، أعلن الاستاذ صلاح لبكي رئيس جمعية أهل القلم ، في مؤتمر صحفي ان الجمعية قررت منح الجوائز التالية عن انتاج عام ١٩٥٣ :

١) المسرحية : نال جائزتها الاستاذ سعيد تقي الدين في مسرحيته « المنبوذ »

٢) السيرة : قسمت الجائزة بين الاستاذ مارون عبود (عن كتابه امين الريحاني) والاستاذ جميل جبر (عن كتابه : مي في حياتها المضطربة) .

٣) القصة : قسمت الجائزة بين الاستاذ مارون عبود (عن قصته الامير الأحمر) والدكتور سهيل ادريس (عن قصته الحي اللاتيني) والاستاذ يوسف يونس (عن قصته مسبحة الراهب) .

٤) الشعر : حجبت الجائزة .

٥) الدراسة : حجبت الجائزة .

ولم تكد تعلن هذه النتائج حتى ثارت الاعتراضات ، وارتفع الاحتجاج من كل جانب ، حتى أصاب الرشاش جمعية اهل القلم نفسها فكاد يعصف بها ويقوض اركانها ... لولا صمود الاستاذ صلاح لبكي في وجه الناقمين والمتدخلين والمتوسلين ...

ومن بين جميع الذين تقدموا للمباراة لم يكن راضياً عن النتيجة إلا فرد واحد هو الاستاذ سعيد تقي الدين الذي نال ثلاثة آلاف ليرة عن منبوذه فرأى لأول مرة أن الادب يملأ الفم بسكويتاً ، والجيب آلافاً من الليرات . ! .

ومن الغريب ان بعض الذين لم يكونوا يحلمون بنيل جائزة اذ انهم اشتركوا تفاخراً ، وتذكيراً للناس بأنهم يكتبون ويؤلفون كتباً ... ، من الغريب ان هؤلاء ماكادوا يطلعون على منحهم جزءاً من الجائزة حتى ارسلوا برقيات يحتجون بها على « القسمه العشائرية » ويطالبون بالجائزة كاملة .. !

كنا اول من حذر اهل القلم من الانتهاء الى أنصاف الجوائز ، لاننا لم نكن نتوقع ان نرى الجائزة ثلاثة اثلاث ... اما وقد جاءت النتيجة على هذا النحو ، فليس لنا الا ان نرى فيها دليلاً صافعاً على ان المحكمين الذين اختارتهم الجمعية قد عجزوا عن التمييز ، فلم يسمح لهم فهمهم ان يقولوا : هذا احسن من ذاك ، بل اكاد اقول ، لم تسمح لهم جرأتهم ان يعلنوا ذلك . والجائزة كلها تكمن وراء صيغة التفضيل هذه . اما ان يقولوا : هذا حسن وذاك حسن ، فهذا ليس من كلام المحكمين الذين يوازنون ويقارنون ويحكمون .

أفهم ان يتساوى طالبان في موضوع انشائي لا تتجاوز صفحاته ثلاثاً او اربعاً ، فيتردد المدرس في تفضيل واحد على آخر ، اما في كتب طوال عراض وفي قصص يتحدد فيها عمق الفكرة ونبل الغاية ، وأناقة الفن ، وإحكام الاسلوب ، ونصاعة

اشتات ادبية

● اقترح بعض المصطافين في لبنان من الادباء العرب ، ان تنشىء جمعية أهل القلم فروعاً لها في مختلف الاقطار العربية ، غير ان الاتجاه منصرف الى ان يتولى ادباء كل قطر إقامة جمعية محلية تتعاون مع الجمعيات الأخرى .

● وجهت ادارة مؤتمر الشعر الذي سينعقد في ٦ ايلول القادم في بروكسل (باجيكا) دعوة الى الحكومة اللبنانية لإيفاد شاعرين يمثلان لبنان في المؤتمر ، وكان الرأي قد استقر على اختيار الاستاذ جورج شحادة شاعر لبنان باللغة الفرنسية ، والاستاذ صلاح لبكي . وبالرغم من أن بيننا وبين موعد افتتاح المؤتمر اياماً معدودات ، فان وزارة التربية لم تنجز بعد الترتيبات اللازمة لهذا الوفد ، وليس بعيداً أن يلغي أهمال الوزارة اشتراك لبنان في المؤتمر ...

● من المتوقع أن يصدر الجزء الثاني من « معجم » الاستاذ عبدالله العلايلي في الاسبوع الاول من ايلول .

● أدركت الاستاذ امين نخله حماسة النشر ، فأخرج للقراء ثلاثة كتب : دفتر الغزل ، كتاب الملوك ، تحت قناطر أرسطو .

ومن المنتظر ايضاً أن ينشر كتباً أخرى دفعة واحدة !

● عقد اتفاق بين الحكومة الهندية وبين ورثة المرحوم وديع البستاني تصبح الحكومة الهندية بموجبه مالكة لحقوق طبع مترجمات البستاني . وقد ترجم المرحوم وديع البستاني ستة مؤلفات من روائع الادب الهندي ، لم يطبع منها سوى المهبراتة .

وفي نية الحكومة الهندية أن تطبع الكتب الباقية قريباً .

● لم يوافق الدكتور طه حسين على الموضوع الذي اختارته له جمعية أهل القلم لإلقائه في اسبوع الادب ، فقد رأى انه « قد لا يكون ملائماً للاجتماع الاول لانه قد يغضب غير واحد من الادباء . وقد اضطر - يقول الدكتور طه - الى ان اقول ان فنوننا الادبية الحديثة كلها ما زالت في طور الطفولة بالقياس الى الآداب العالمية ، فالقصة عندنا ما زالت ناشئة وعيوبها اكثر من مزاياها . والتمثيل ادنى الى الطفولة القاصرة من القصة ، والشعر يعاني ازمة في كثير من الاقطار العربية » .

اللغة ، فمن اليسير على الناقد ان يميز الأدب من الثرثرة ، والقصة من الحكاية ، والدراسة من النقل ، والشعر من النظم !

قلت : من اليسير على الناقد ان يفعل ذلك ، غير ان لجان التحكيم ، التي اختارها اهل القلم ، لم تكن تستطيع ان تنهض بمهمة الناقد ، والا فكيف تفسر حجب الجائزة عن كتاب لم يكن له منافس ، في حين ان صاحبه نال به درجه M. A من جامعة بيروت الاميركية . وكيف تعلل نجاح قصة ظهر أنها مسروقة من اديب لبناني ، وان الامر لم يعد سراً بعد ان نشرت المجلات الادبية خبر هذا السطو الادبي !

صحيح ان المتبارين ، في قبولهم الاشتراك في المباراة ، عليهم ان يذعنوا لحكم لجان التحكيم ، ولكنهم لم يكونوا يتوقعون ان يكون بعض اعضاء اللجان من مستوى علمي غير محتمل ... حتى ان احد الذين نالوا جوائز اهل القلم قال : اشعر بذلة حين اذكر بعض الذين حكموا لي بالجائزة !

ومهما يكن من امر ، وبالرغم من جميع هذه الاخطاء وغيرها ، تظهر من جمعية اهل القلم ، فاننا نشعر شعوراً يملأ نفوسنا ان هذه الجمعية ثروة كبيرة يجب ان نحافظ عليها ، وان نصونها من ايدي العابثين الذين يسوؤهم نجاحها واستمرارها . وأملنا كبير في ان تكون هذه الاخطاء مقومات للخطوات المقبلة ، ودروساً يتعلم منها اعضاء الجمعية كيف يضعون مشروعاتهم وكيف ينفذونها .

وقبل ان أن نسدل الستار على حديث الجوائز نقترح على

اسبوع الادب في لبنان

اذاعت جمعية أهل القلم برنامج محاضرات اسبوع الادب الذي سيعقد بين ١٨ و ٢٦ ايلول الحالي في فندق بيت مري الكبير كما يلي: السبت في ١٨ ايلول: افتتاح الاسبوع:

اولاً : التقديم للاسبوع : رئيس جمعية اهل القلم

ثانياً : كلمات : رئيس الادرة الثقافية في الجامعة العربية ورؤساء الوفود .

ثالثاً : كلمة فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية

الاحد في ١٩ منه : برنامج يعده الاستاذ رينه حبشي .

الاثنين في ٢٠ منه : كلمة ممثل لبنان الاستاذ فؤاد افرام البستاني . الأدب العربي المعاصر ومشكلة اللغات العامية والانتاج الادبي الشعبي .

الثلاثاء ٢١ منه كلمة المعلق على محاضرة أمس (مناقشة)

كلمة ممثل مصر . الفنون الادبية العربية التي ما تزال في طور الطفولة بالنسبة الى الاداب العالمية ، كيف ننميها ونسمو بها بحيث تصبح مساوية لما هي عليه عند الامم الراقية

الاربعاء في ٢٢ منه : كلمة المعلق على محاضرة أمس (مناقشة)

كلمة ممثل العراق : الاساليب الفعالة التي تؤدي الى ايجاد مفردات تعبر عن حاجات المجتمع الحديث في العلم والفلسفة والأدب ثم توحيد هذه المصطلحات في جميع الاقطار العربية .

الخميس ٢٣ منه : كلمة المعلق على محاضرة امس . (مناقشة)

كلمة ممثل سوريا — الوسائل العملية التي يجب ان تعتمدها النخبة في البلدان العربية ووزارات التربية الوطنية لتنمية الذوق الادبي والدعاوة للرسم والنحت والتمثيل وكل تعبير غير كتابي عن المشاعر الجمالية .

الجمعة ٢٤ منه : كلمة المعلق على محاضرة امس (مناقشة)

كلمة ممثل المملكة الاردنية الهاشمية — واجبات الدولة نحو الادباء من حيث تسهيل وسائل الانتاج وحماية الملكية الادبية واطلاق حرية التفكير والقول وتأمين العيش الكريم لهم .

السبت ٢٥ منه : كلمة المعلق على محاضرة أمس (مناقشة)

كلمة ممثل المملكة العربية السعودية : الوسائل المؤدية الى توثيق العلائق بين الأدباء في الاقطار العربية ، وافادة بعضهم من بعض ونشر مؤلفاتهم ، ووضع تشريع خاص يؤمن للكتاب الانتقال الحر ، واقامة رابطة ادبية في كل بلد عربي .

الاحد في ٢٦ منه : كلمة المعلق على محاضرة امس (مناقشة)

كلمة عن دائره الثقافة في الجامعة العربية .

كلمة رئيس جمعية اهل القلم ، مقررات ادباء العرب .

أهل القلم ، قبل أن يعلنوا عن جوائز السنة الحالية (١٩٥٤) ، أن تدخل الجمعية على موضوعات جوائزها بعض التعديل فتمنح الجوائز في أحسن كتاب في الموضوعات التالية :

١) مجموعة قصص قصيرة .
٢) أثر منقول عن لغة أجنبية .
٣) دراسة في جانب من جوانب الادب العربي .
٤) ملحمة شعرية .
٥) كتاب أدبي ينشره مؤلف لم يتجاوز عمره ثلاثين سنة .

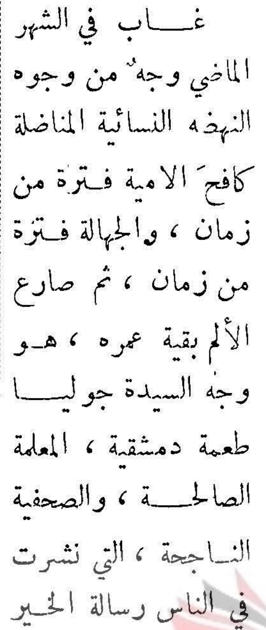
ونتمنى في الوقت نفسه أن تعنى الجمعية باختيار اللجان المحكمة . فما هو المانع الذي يحول دون اشتراك هؤلاء في التحكيم : ميخائيل نعيمة ، فيليب حتي ، شارل مالك ، ايليا ابو ماضي ، شفيق معلوف ، توفيق عواد ، خليل تقي الدين ، قسطنطين زريق ؟ وما المانع الذي يحول دون اشتراك بعض ادباء العالم العربي المتخصصين في بعض اللجان؟ بل ما هو المانع الذي يحول دون اشتراك بعض المستشرقين العالميين في تقدير الكتب ذات الصبغة الدراسية ؟

عندئذ يكون للجائزة معنى كبير ، ويكون لصاحبها حق الفخر والاعتزاز ..

ونتمنى أخيراً أن تعدل الجمعية عن سياسة الكتمان والغموض في اختيار اللجان ، فعلى كل عضو أن يملك الجرأة في ان يكون مسؤولاً عن تقديره، كما نتمنى أن تبيح الجمعية نشر تقارير أعضاء اللجان ، بعد اعلان النتائج .

« بابي »

صاحبة «المرأة الجديدة»





غاب في الشهر الماضي وجهٌ من وجوه النهضة النسائية المناضلة كافحَ الامية فترة من زمان ، والجهالة فترة من زمان ، ثم صارع الألم بقية عمره ، هو وجه السيدة جوليا طعمة دمشقية ، المعلمة الصالحة ، والصحفية الناجحة ، التي نشرت في الناس رسالة الخير والحق والحب في مجلتها «المرأة الجديدة» والتي جاهدت من اجل تحرير المرأة جهاداً لم تعرف فيه هوادة ولا مساومة .

واذا لم يكن للفقيدة الأدبية آثار مطبوعة غير أعداد المجلة التي سكبت فيها عصارة قلبها وروحها فليس من شك في ان آثارها الكبرى خالدة في ذلك الجيل الضخم من الامهات والمربيات والعائلات في حقل النهضة النسائية ، ذلك الجيل الذى ما يفتأ يرفع الشعلة التي أخرجتها جوليا طعمة دمشقية في زمنٍ عزّ فيه الكفاح والمكافحون .

رحمها الله واجزل ثوابها .

سوريا

لمراسل « الآداب » سعد صائب

عوامل أزمة التأليف في سوريا

... « أما في سورية ، فإن التأليف يعاني أزمة مزمنة ، أزمة قلة لا كثرة ، وإذا اردنا تعليل عوامل هذه الأزمة رددناها إلى عاملين : غلبة السياسة على كافة نواحي الحياة الفكرية والاجتماعية حتى يخيل للمرء أن السياسة تستنفد قوى السوريين العقلية والروحية . والمظنون أن لا سبيل إلى الخلاص من هذه الحالة حتى تستقر أوضاع الحكم في البلاد وتهدأ الهزات العنيفة التي تجتاح سورية خاصة ، والعالم العربي عامة (١) ... »

واني لاتساءل بيني وبين نفسي : ترى ، هل استطعنا انتزاع هذا العيب الذي لحق بحياتنا الفكرية ، وقد انقضت خمس سنوات على نظرة المجلة المصرية إلى اتجاه التأليف عندنا؟ . وهل سرنا به سيراً صحيحاً حثيثاً، يتكافأ وما نحن فيه من ثقافة واعية ، اقمنا دعائمها وركزنا الويتها ، حتى غدت ترتعش بها نفوسنا ، وتنطق بها نهضتنا الحية ، ويحياها وجودنا النامي؟؟.

أمن العار أن نعترف بعجزنا عن أن نخلق آثاراً فكرية ، وان نضع انفسنا عند مستوى بعض شقيقاتنا الذي ما برح يتسابق إلى الانتاج الخصب ، بالرغم من غلبة السياسة على كافة نواحي الحياة الفكرية والاجتماعية فيه ؟. اليس من الغلو أن

(١) من مقال في مجلة (الكتاب) المصرية المحتجبة — الجزء العاشر كانون الاول (٩٤٩) بعنوان « اتجاه التأليف (١٩٤٩) » .

النشاط الثقافي في العالم العربي

نرجع أزمة القلة التي يعانيها التأليف في بلادنا ، إلى غلبة السياسة عندنا ، كما ارجعتها المجلة المصرية ؟ ونحن الذين عانينا من قبل مثل هذه السياسة في زمن المستعمر ، بل عانينا اشد منها واقسى ؟.

لقد كانت سياستنا السابقة سياسة سلبية عنيفة أشد ما يكون العنف ، اشترك فيها الأفراد من متباين طبقاتهم ، وتعاون في خوض غمارها الشعب الأبي من مختلف درجاته ، وما كانت هذه السياسة السلبية لتحول دون ابداع مفكرينا ، وشحذ قرائح شعرائنا . وما كانت قط لتستنفد قوانا العقلية ، أو الروحية ، وانما كنا مع هذه السياسة شديدي المراس ، بعيدي النظر اقوياء العزيمة ، أفكارنا خصبة ، ونشاطنا الفكري جم ، ومواهبنا فذة ، وانتاجنا خصب ، لذلك لم نستشعر أية أزمة ، بل ولم نفكر بوجودها قط ، واذاً فقد كانت تلك السياسة بالنسبة لمفكرينا خيراً لا شراً وبركة لا ضراً ونفعاً لا وبالاً .

ان واقعنا اليوم يزخر بالمثقفين وبالمواهب ايضاً ، ولكن ما نفتقر اليه هو شعور المثقفين والموهوبين بمسؤوليتهم تجاه الفكر ، وهو ايضاً تنظيم جهودهم للأفادة منها على اتم وجه وأكمله .

ولسنا بحاجة إلى التدليل على خطأ رأي القائلين بأن غلبة السياسة ، دليل على ضمور النشاط الفكري في سوريا، لأن مجرد القاء نظرة خاطفة على الكتب التي قامت بترجمتها (دار اليقظة العربية بدمشق) مستعينة بلجنة تضم صفوة مختارة من مثقفي وأدباء سوريا ، نقول ان مجرد القاء نظرة خاطفة على الكتب المترجمة تعطينا الدليل على مساهمة سوريا في المجال الفكري، وان اقتصرت هذه المساهمة على الترجمة وحدها ، ولم تتعدها إلى الكتب الموضوعة التي تحتاج — في رأينا — إلى ثقة الناشر من جهة وهي مفقودة ، وإلى ثقة القارىء من جهة ثانية ، بعد أن اعوزته الكتب المترجمة ، وأخيراً إلى عجز المؤلفين عن الانفاق على آثارهم من مالهم الخاص، وهو ما لا قدرة لهم عليه في هذه الازمة الاقتصادية الخانقة ، التي تعاني بلادنا اليوم مرائرها ، ولا قدرة لها على فضها .

نشاط الأندية

كنا في فصل الشتاء نبحث عن النشاط الأدبي في دمشق فنجده في أنديتها ، ونلقاه في تسابقها فيما بينها إن في القاء المحاضرات الأدبية والثقافية ، او في اقامة المعارض الفنية ، فكانت على الاجمال تتصف بالحركة والنشاط ، وتتميز بالانتاج الأدبي والفني والاجتماعي على السواء فما ان يقبل الصيف بوهجه حتى يخمد النشاط ، ويضعف الانتاج ، وتسكن تلك الحركة. عندها نتطلع إلى هذا النشاط المادي الذي تتميز به دمشق في هذه الآونة ، ولعل معرض دمشق الذي سيفتتح في اليوم الثاني من شهر ايلول ٩٥٤ دليل حسي على اهتمامها وحماستها البالغة ، ونحسب ان المعرض سيكون تظاهرة اقتصادية كبرى لم تشهدها دمشق من قبل ، وسيحدث تبدلاً في المفاهيم ، وسيعكس ذات يوم معانيه على لوحات الفنيين وأقلام المفكرين في سوريا .

رأي الاستاذ فؤاد الشايب في الحركة الأدبية

حين سألنا الأديب الكبير الاستاذ فؤاد الشايب عن الحركة الأدبية في سوريا ، ايد قولنا في مطالعتنا عن هذه الحركة ، واشار إلى ابنية معرض دمشق الدولي وإلى حواشي الشام في « ابي رمانة » واجنحتها شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً ، وعن الأبنية المتصاعدة ساعة بعد ساعة وقال : « الحديد » حامي ولكن (الورق) بارد . وان سوريا تمر لا في منعطف واحد بل في عدة منعطفات من مراحل نموها الفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي .

جناح في معرض دمشق الدولي لمطبوعات الدعاية

سيقام جناح خاص في معرض دمشق الدولي باشراف المديرية العامة للدعاية والأنباء لعرض المطبوعات العربية والأجنبية التي تتحدث عن سوريا والقضايا العربية ، بحيث يجد الزائر معلومات ضافية عن سوريا والبلاد العربية .

الكتب الأجنبية المترجمة

١ — سلسلة عيون الأدب العالمي :

من الكتب الأجنبية التي قامت بترجمتها «دار اليقظة العربية» في الشهرين الماضيين كتاب ١ — « الحرب والسلم » لليو تولستوي (المجلد ١ و ٢) وقد قامت بالترجمة لجنة الدار . ٢ — وكتاب « بين جوركي وتشيخوف — مراسلات » ترجمة جلال فاروق الشريف . ٣ — « عقل وعاطفة » لجين اوستن ترجمة رضا حوراري

٤ — « قوي كالموت » لجي دي موباسان ، ترجمة ابراهيم الحلو. ٥ — « النفوس الميتة » « لنيقولاس جوجول » ترجمة انطون حمصي ويوسف بنا . ٦ — « سقوط باريس » لايليا اهرنبورغ. ٧ — « بين الناس » لمكسيم جوركي . ٨ — «مرتفعات ويذرنج» لاميلي برونتي . ٩ — « روائع الأدب الألماني » ١٠ — «حب وحرب » لرومان رولان . ١١ — « المؤلفات الكاملة » لانطون تشيخوف . ١٢ — « تولستوي » لستيفان زفايج . ١٣ — « روائع الأدب السوفيتي » ترجمة سهيل ايوب . ١٤ — « الساعة الخامسة والعشرون » لكونستانتان جيورجيو ١٥ — « ابنة الضابط » لبوشكين ترجمة سامي الدروبي١٦ — «الجريمة والعقاب » لدوستوفيسكي ، الجزء الثاني ١٧ — « الاخوة كرامازوف » لدوستوفيسكي (الجزء الثاني) .

٢ — سلسلة عيون التاريخ العالمي :

ولم تقتصر جهود « دار اليقظة العربية » على ترجمة عيون الأدب العالمي بل تعدتها إلى ترجمة عيون التاريخ العالمي ايضاً ، فاخرجت للقارىء العربي منها الكتب التالية :

١ — « منكرو الثورة الالمانية الكبرى » لادمون فرمي ترجمة خيرت فخري ٢ — « القادة السوفييت يتحدثون عن الحرب العالمية الثانية » للجنرال س . دكالينوف ترجمة يوسف شقرا ٣ — « اثر التسلح في التاريخ » للجنرال ج . ف . ت . فوللر.

كتب مترجمة تحت الطبع

كما ستقدم هذه الدار قريبا الكتب المترجمة الآتية :

١ « العاصفة » ٢ « الموجة التاسعة » لايليا اهرنبورغ ٣ « قصة زويا وشورا » ليوبوف كوسمود ميانسكايا ٤ « الحصاد » لجالينا نيقولايفا ٥ « بعيداً ... عن موسكو » لفاسيلي اجاييف ٦ « كيف سقينا الفولاذ » لنيقولا اوستروفسكي ٧ « حرس الفتوة » لالكسندر فادييف ٨ «هدوء في الميدان الغربي » لاريخ ماريا رومارك ٩ « درب الآلام» لالكسي تولستوي ١٠ « المتمردون » ١١ « دونباس » لبوريس جورياتوف ١٢ « رأس المال » ١٣ « بؤس الفلسفة » لكارل ماركس ١٤ « السيد دوهرينج يقلب العلم » لفريدريك انجلز ١٥ « اماركسية أم وجودية » لجورج دوكاس ١٦ « المادية والمذهب النقدي » للينين ...

رأي في اتجاه الترجمة

قد يتساءل متسائل لماذا هذا المنحى الخاص الذي تنحوه هذه الدار في الترجمة ؟ وما هي دوافعه ؟ وهل هو مفروض عليها ؟ ام جاء تعبيراً عن حاجة مثقفينا الى هذا اللون من الادب الذي لم يتذوقوه بعد ، وحاجة مجتمعنا الذى ما برح يناضل ضد الاستعمار وضد الاستغلال ، وضد الاقطاعية؟ اهو وليد النظام الاقتصادي ؟ ام النظام الاجتماعي ام الواقع السياسي المضطرب القلق ، فجاءت هذه الكتب تعالج جميع المشكلات التي نعانيها ، وتهدف الى الاصلاح الاجتماعي الذي

النشاط الثقافي في العالم العربي

نحن باشد الحاجة اليه ،والى التأثير بادبنا حتى يتم نضجه فيتحرر من سيطرة تقليد الاقدمين في اسلوبهم ، وتقليد الغربيين في مذاهبهم ؟ ولقد سألت صاحب « دار اليقظة » عن هذا السيل الجارف من الترجمات ذات الطابع الخاص ، فأجابني بصراحة لم اكن اتوقعها : انه يلبي حاجة القارىء في « سوريا والعراق » وان الاقبال المنقطع النظير على هذا اللون من الادب في هذين القطرين حدا به الى طبع المزيد من هذه المؤلفات . وليس من شك في ان هذا اللون يلقى رواجا في بلادنا ويلقى اقبالا يكاد يكون خطرا .

ومهما يكن من امر ، فان ما يعنينا هنا ليس الادب الروسي بعينه لأننا نجد ، وخاصة عند « دوستويفسكي » و« تشيكوف » الوثبة التي كنا نتمناها، على حد تعبير «ابراهيم ناجي » ولكن هذا لايعني اننا نتقبل كل ما يجيئنا من هذا الادب ، وخاصة ادب الثورة الروسية ، وان تجربة التأثير بادبنا يجب الاتتم عن طريقه وحده ، وكذلك الامر في مواجهتنا لمشكلاتنا الاجتماعية ، لاننا لن نفلح اذا ما اخترنا هذا الاتجاه ، لعدم ملاءمته تقاليدنا الوطنية وتنظيمنا الاقتصادي والاجتماعي. ومناقضته لطبيعتنا، وبالتالي تقويضه بنيان قوميتنا الذي نحرص اشد الحرص على دعمه وتثبيت اركانه .

مؤتمر رابطة الكتاب السوريين

ليس من شك في ان النتاج الادبي في سوريا ما برح يتوكأ على نشاط اعضاء « رابطة الكتاب السوريين » الذين ينحون منحى خاصا في التبشير بنوع خاص من الادب ترجمة وكتابة. وما ينقص معظمهم — في رأينا — هو دقة الملاحظة، ومتانة البناء القصصي والتناسق الكامل فيما يكتبون،والظاهر ان تجربة اكثرهم ما انفكت ضئيلة ، وانهم لا يجهدون في معاناتها ، وكل ما في الامر ان كتاباتهم تبقى في الاغلب الاعم صدى لما يلتقطونه من احاديث عابرة لا ما تشربه نفوسهم من تجارب الحياة ، او تندمج به ذواتهم من قضايا المجتمع . ان قصصهم تشبه افلاما سريعة خاطفة قد تعجب بها حين تعرض لك ، ولكن قلما تؤثر فيك التأثير المرجو .

وقد دعوا الى مؤتمر عام للكتاب العرب سيعقد في دمشق في ٩ ايلول وسيستمر ثلاثة ايام . وتمهيداً لهذا المؤتمر فقد عقد في ٩ آب اجتماع تحضيري حضره مندوبون عن المحافظات السورية وعن لبنان وشرقي الاردن والعراق ، درست فيه القضايا التي ترى الرابطة عرضها على المؤتمر العام لدراستها خلال انعقاده وقد قسمت تلك القضايا الى ثلاثة اقسام :

١ — القسم الادبي
٢ — القسم السياسي
٣ — القسم التنظيمي

وقد بحثت في القسم الأدبي تسع نقاط تتعلق بالأدب الجديد الواقعي على حد تعبير اعضاء الرابطة ، وبقضايا احياء التراث العربي والأطلاع على التيارات الفكرية بانواعها كما بحثت قضية اللغة الفصحى واللغة العامية ، وقضية الترجمة ، والنظر في تشكيل لجان لترجمة الكتب العلمية والادبية (التقدمية) خاصة . كما بحثت قضية النقد بانواعه بعد تقسيمه الى عدة اقسام:

١ — النقد الأدبي في الجرائد والمجلات
٢ — نقد القراء للآثار الادبية (يستلزم ذلك دعوة القراء لمؤتمر لعرض النقاط التي لمسها القراء في الكتب والرد عليهم من قبل الكتاب) .

وفيما يتعلق بالقسم السياسي : بحثت قضية الحرية وعلاقتها بالفكر خاصة ، كحرية الرأي وحرية الاجتماع ، وحرية الكلام ، والدفاع عن « الادباء المضطهدين » كما بحثت قضية الدفاع عن الثقافة الوطنية وتطويرها .

اما القسم التنظيمي فتعلق بالدعوة الى مؤتمر عام لرابطة كتاب العرب يعقب مؤتمرهم الجديد لم يحدد موعده بعد .

العراق

لمراسل الآداب الخاص

محنة النقد ... والاخلاق

أثارت الكلمة التي كتبها الأستاذ عبد الوهاب البياتي في جريدة الوادي — الملغاة - تعليقاً على ما نشر في مجلة «الآداب» بصدد ديوانه الموسوم بأباريق مهشمة ، وما انطوت عليه هذه الكلمة من تجريح وتهجم وافتراء على مجلة «الآداب» والدكتور

سهيل ادريس ، والأدباء الذين كتبوا ناقدين هذا الديوان ، استياء الأوساط الأدبية على اختلاف نزعاتها واتجاهاتها الفنية ، لما فيها من تجريح متهافت كشف القناع عن زيف كاتبها وأبان عن عقلية لا ترقى في اسلوبها عن الأساليب البوليسية العتيقة ، في الصاق التهم والافتراءات اذا ما اعوزتها الحجة والتقت والحقيقة في صعيد واحد وجهاً لوجه . والحق ان الكلمة لم تسيء إلى «الآداب» ورئيس تحريرها بقدر ما اساءت إلى كاتبها .. وهي إلى جانب ذلك قد أبانت بوضوح عن مدى العنت الذي يلاقيه النقد والنقادمن الآدباء اذا ماتعرضوا لهم وحاولوا مخلصين تقويم ما في نتاجهم من زيغ وضلال بروح علمي ، وبخلق العالم الناقد الأمين . ولعل في ذلك بعض ما يلقي الضوء على حقيقة تخلف النقد في الأدب العربي وعلى تخلفه عن ركب التقدم الفكري والنهضة الأدبية الحديثة . فقد آن للأدباء ان يتقبلوا آراء النقاد باغتباط وتفهم وعلى الأخص اذا كان النقد موضوعياً لا يتوخى الا التوجيه والفائدة .

وقد كتب الأديب عبد الكريم العاني كلمة في هذا الصدد في جريدة « لواء الأستقلال » جاء فيها : « ان مما يلفت النظر « في هذه الكلمة » تلك السهولة التي سمح بها البياتي لنفسه بأن يرمي جملة من الشعراء الأحرار بانهم مأجورون واستعماريون أي ان الشاعر المتألم بدر السياب والشاعر كاظم جواد والناقد محيي الدين اسماعيل قد باعوا ضمائرهم الى الأجنبي ! »

هذا كما ان جميع المثقفين في الوطن العربي يعلمون خطة مجلة « الآداب » وطابعها . انها منذ ان ظهرت في افقنا العربي اخذت على نفسها اولاً التعبير عن واقع الشعب العربي وخلق ذلك الأدب النضالي الثوري الذي يوقظ في هذا الشعب حريته وايمانه بالقيم العالية ، ويصعد به الى اهدافه في الوحدة والتحرر والأنسانية . وثانياً التعريف بالنتاج العالمي على اختلاف الوانه كيما يتيسر للمثقفين العرب على هدى هذا النتاج البحث عن امكانياتهم وخلق ادبهم العربي الخاص بهم .

وعلى ضوء هاتين الحقيقتين سارت « الآداب » ولا تزال تسير ، وعلى هذا النهج نفسه قام الدكتور ادريس بترجمة « الأيدي القذرة » فهو لم يفعل ذلك ليدعو الى الوجودية وانما لأن المثقفين العرب بحاجة إلى الأطلاع على هذا اللون من الفلسفة الخ ... »

« رسالة الشاعر العربي اليوم »

كتب الاستاذ يوسف عز الدين كلمة في جريدة « لواء الاستقلال » في « رسالة الشاعر العربي اليوم » بيّن فيها أن رسالة الادب في الحياة بصورة عامة تنحصر في التوجيه والنقد والأخذ بيد الأمة في طريق الحضارة والتقدم ، وعلى هذا فالأديب الذي نريده اليوم هو الأديب الذي يتمكن من أداء هذه المهمة والخروج بافقه الى افق الانسانية الرحب ومجالاتها الواسعة ، ولا يتأتى ذلك له اذا لم يتشرب هو نفسه اماني وآلام الوسط الذي يعيش فيه « فمهمة الأديب اذن ليست وصف الصورة فقط وانما العمل على تحقيق هذه الصورة والوصول بها نحو الكمال وبذلك يحقق رغبات الأمة وفق تطور الحياة وسنن الحضارة والتمدن ... فالمشاركة الواقعية الصحيحة للأديب في حياة الأمم تنتج لنا ادباً فياضاً بالعواطف زاخراً بالأحاسيس السامية » . ثم عرض الى مفهوم الشعر الحي فبين بأن ذلك لن يقتصر على الألفاظ الجديدة والمعاني المستحدثة فحسب بل يتمثل بقوة في مقدار ما يحمله من الواقع والصدق وفي مقدار تمثيله للحياة . فان اهم ما يهدف اليه الفن الحديث يتمثل في « التجربة » ومقدار ما فيها من انسانية عميقة شاملة ، ولا يعني هذا ان يكون الشاعر الاجتماعي بعيداً عن جمال الموسيقى وقوة الصياغة والسبك فهما من عوامل الجمال التعبيري للتجربة الشعرية . « اننا لا نحكم على الشاعر باحكام الجرجاني وابن الأثير والجاحظ ولكن كل ما نريده ان يكون الشاعر انساني التجربة رقيق التركيب واقعياً في خياله ونظمه .. »

« الأدب التقدمي »

« هل هناك ادب تقدمي ؟ . وما هو مفهومه ، وما هي خصائصه ومن هم الكتاب الذين يمثلون الأدب التقدمي في العالم والبلاد العربية . ؟؟ »

هذا هو الاستفتاء الذي وجهته مجلة « الكاتب العربي » في عددها الثالث إلى الدكتور عبد العزيز الدوري عميد كلية الآداب والعلوم والدكتور احمد عبدالستار الجواري والاستاذ نهاد التكرلي والاستاذ بدر شاكر السياب . وقد اجاب على

هذا السؤال الدكتور الجواري بقوله « ان الأدب التقدمي ، هو الأدب الحر الذي يجعل نصب عينيه هذه الحقيقة الكبرى : حقيقة تطور المجتمع تطوراً علمياً بكل ما في هذه الكلمة من مفهوم، اما ما يعنيه بعض الناس بالأدب التقدمي الذي يرون ان يتقيد بفلسفة خاصة ، ويتحدد بحدودها ويتمسك بمفاهيمها فأمر اظن انـــه يفتقر إلى الدقة افتقاراً واضحاً . » وأجاب الدكتور الدوري بأن كلمة – تقدميـة – لا تزال مبهمة الحدود غير واضحة المعالم في اللغة العربية ، لأنهـــا حديثة الاستعمال وان كان البعض يعطي لهذه الكلمة مدلولاً خاصاً مستمداً من مفاهيم واتجاهات خاصة الا انه بعيد عـن الدقة والوضوح .. ذلك لأن المفروض في الأدب ان يكون مرآة تعكس احداث الحياة بمفاهيمها وآرائها المختلفة وان يعبر عن اماني الأفراد والمجتمعات ويبين مدى ما فيها مـــن حيوية وركود . ثم قال : « وقد ينسب الأدب إلى اسلوبه او إلى مدرسة فكرية او حركة واضحة الحدود يعبرعنها او إلى جماعة كالأدب الشعبي وعلى هذا فليس للتقدمية مفهوم يذكر بالنسبة للأساليب وليس بين المذاهب الفكرية والأجتماعية والسياسية مذهب يسمى بالتقدمية » .

ورأى الأستاذ التكرلي « بانه لا يعرف هنـــاك تعبيراً مخصوصاً في الآداب العالمية يوصف بـه ادب معين فيسمى بالأدب التقدمي ومن الممكن اطلاق عبارة الأدب التقدمي على الأدب الماركسي اذا اخـــذنا بنظر الأعتبار مفهوم (التقدم) ... وان كان يفضل تسميته بالأدب البروليتيري او أدب الطبقة العاملة ... الذي يستقي تقنيته اي طريقـــته الفنية مـــن النزعة الطبيعية نفسها ومن الواقعية بانواعها المختلفة .. ». وأجاب الأستاذ السياب بقوله : « ما دمنا نؤمن بأن الحياة في كل مجال من مجالاتها ما تزال منذ البدء في تطور وتقدم إلى الأمام فان من البديهي بعد ذلك ان يكون في كل زمان أدب تقدمي او سمه ما شئت مـــن الأسماء ما دامت التسمية تحمل هذا المفهوم .. والأدب التقدمي هـو الأدب الذي يعبر عن افكار القوى النامية في مجتمع ما.. اماخصائص هذا الأدب فهي :.. التفاؤل والثقة بالمستقبل والايمان بالأنسان واحترامه كفرد وكمجموع وتفهم حقيقة الروابط التي تربط الأفراد الى جانب اتساع افقه وخروجه من حيز عالمه المحدود الى « العالمية » أي باهتمام الأديب باحداث مجتمعه الى جانب اهتمامه باحداث العالم . ثم قال : « اما عن الأدباء الذين اعتقد بانهم يمثلون الأدب التقدمي في العالم والبلاد العربية فقدوضعت مقياساً لا يعسر على من يطبقه بصورة صحيحة ان يعرف من هم الأدباء التقدميون» .. وان كان الأستاذ التكرلييرى عدم وجود من يمكن ان نطلق عليه اسم أديب تقدمي في البلاد العربية وعلى الأخص في العراق ...

النشاط الثقافي في العالم العربي

ادباؤنا والأدب المسرحي

منذ القديم ذهب ارسطو الى ان وظيفة المسرح تختصر في تطهير النفس من شرورها وذلك باثارة عاطفتي الرحمة والخوف، ولم يكن ارسطو ليعبر الا عن جانب من هذه المهمة، فمما لا شك فيه بأن للمسرح مهمة اخلاقية قومية اجتماعية إلى جانب ما اطلق عليه ارسطو بالتطهير .. فإذا ادركنا هذه الحقيقة ادركنا ما للمسرح من دور في التوجيه والنقد والمتعة . فليس اذاً بغريب ان نجد بوادر انتعاش مسرحي تنمو على ايدي نخبة من الشباب ، وان يلاقي هذا الاهتمام التزايد من المثقفين والعاملين في هذا الحقل ، فتفرد له المقالات وتنشأ مجلة فنية تعالج شؤونه ومشاكله ، ومن هذه المقالات مقالة نشرت في جريدة «صدى الأهالي» للسيد سامي عبد الحميد نوري -- من فرقة المسرح الحديث -- بعنوان « ادباؤنا والأدب المسرحي » ، عرض فيها إلى تخلف الأدب المسرحي بالنسبة للفنون الأخرى كالشعر والقصة وغيرها على الرغم من حيوية وأهمية هذا اللون في حياتنا وما له من خطر في النقد والتوجيه والتسلية ، وتساءل عن أسباب هذا التخلف ، في الوقت الذي نرى فيه عظم العناية التي يوليها إياه الأدباء في الغرب ، فان الجهود التي بذلها الأدباء للمسرح العربي لم تكن الا محاولات لقيت حظاً قليلاً من التوفيق والنجاح « محاولات بدأها في مصر النقاش والقرداحي وسلامه حجازي ثم جاء عزيز عيد وشوقي وتوفيق الحكيم وعلي باكثير وغيرهم ممن كانت رواياتهم ضعيفة ، اما في الشكل او المضمون. أما حركة التأليف للمسرح في العراق فقد كانت اكثر تأخراً وضعفاً ، ففي العصر الحديث سمعنا بسليم بطي ونديم اطرقجي وصفاء مصطفى ويوسف العاني ، الفوا روايات قليلة لا تختلف في شيء عن الروايات المصرية ان لم تكن اكثر ضعفاً في كثير من الأحيان وكذا الحال في لبنان ... » وانتهى من ذلك إلى افتقار المسرح العراقي إلى التمثيلية القوية وإلى دعوة الأدباء إلى المشاركة في النهوض بالمسرح وذلك بتقديم المسرحيات الملائمة له والتي تتناسب والظروف التي نجتازها . .

وكتب الأستاذ يوسف العاني المحامي -- سكرتير فرقة المسرح الحديث -- كلمة في معرض الحديث عن العقبات التي يلاقيها القائمون على شؤون المسرح -- نشرت في ملحق جريدة صدى الأهالي الأدبي -- والتي تبرز في وضوح في اختيار المسرحية وما يكتنف ذلك من صعاب اذ لا بد للمسرحية من ان تنال قبول لجنة قراءة المسرحيات كما يجب ان لا تضم عدداً من العناصر النسائية لأن المرأة لا زالت متخلفة عن مشاركة الرجل في العمل المسرحي . إلى جانب ضعف ميزانية الفرق التمثيلية وعدم وجود مسرح ملائم والذي لا يتوفر في كثير من الأحيان في الشكل والوقت المطلوب .

واخيراً فهناك عقبة الأمكانيات الفنية كالأدوات والأجهزة وكافة الوسائل التكنيكية الأخرى بالأضافة إلى عقبة ايجاد ممثلين متفرغين لهذا العمل لعدم امكان الاعتماد في العيش على العمل المسرحي في الوقت الحاضر . وفي الحق انه مهما كانت هذه العقبات فان الجهد الذي يبذل في هذا السبيل على الرغم من دائرته الضيقة سيدفع المسرح إلى الأنتعاش والنمو شيئاً فشيئاً الا ان ذلك يتطلب من العاملين في سبيله الكثير من الجهد والتضحية ليتكامل نموه ويؤدي رسالته في المجتمع والحياة.

مصر

لمراسل « الآداب » اكرم الميداني

الشهرة وطه حسين والقصة المصرية



إن هذا ليس دفاعاً عن طه حسين ... فلا شيء في القيظ .. سوى عويل حول أدب طـــه حسين .. فقد نشر فتحي غانم في مجلة « آخر ساعة » خلال شهري يوليو وأغسطس ١٩٥٤ ، ثلاث مقالات عن طه حسين ، كانت جميعها بعنوان : « طه حسين عقبة ضخمة في طريق القصة .. »

وكانت أولى هذه المقالات نقداً لاسلوب طـــه حسين . وكانت الثانية نقداً لنقـــد طه حسين . وكانت الثالثة نقداً لاسلوب طه حسين مرة أخرى ... وفتحي غانم يزعم ان طه حسين قاص ، وانه يكتب القصة كما لا ينبغي ان تكتب ، وهو يأتي بمثل يشير فيه الرجل إلى ان ما يكتبه ليس قصة ، وأنه لهذا لايود أن يخضعه لما تخضع له القصة .

فطه حسين يعترف بانه ليس قاصاً ، والنقاد يذكرون اكثر من مرة ان ما يكتبه ويبدو كأنه القصة لايعدو أن يكون رواية لأحداث سمعها أو عرفها أو تأثر بها .

أما فتحي غانم فإنه يأبى إلا ان ينقد الرجل على انه صاحب قصة ، ويملأ صفحة كبرى بقارص الكلم حول اسلوب طه حسين ، وقصة طه حسين .

وأخيراً يذكر غانم .. « .. ما حيلتي وهذه الاوصاف التي اكيلها لطه حسين انما هي نفس الاوصاف التي أملاها هو بنفسه منذ ثلاثين عاماً ونشرها في جريدة « السياسة » مهاجماً بها كاتباً عظيماً في ذلك الوقت اسمه مصطفى صادق الرافعي .... وليقل من يشاء مايشاء في تهوري واستهتاري ورعونتي وطيشي وتطاولي على أديب عظيم كطه حسين ... »

وهنا يشير فتحي غانم بشكل واضح إلى الهدف الذي ينطوي عليه نشر مثل هذه المقالات ، الــتي لاتتخذ لنفسها مذهباً معيناً في النقد ، ومن ثم لاتتناول بالدرس عملاً بعينه لطه حسين .

ذلك ان هناك قصة يرددها جميع الناشئين من المتأدبين في مصر ..

فمنذ سنوات قام طه حسين يهاجم الرافعي . وقام المازني والعقاد يهاجمان شوقي وشكري والمنفلوطي ... وبعد سنوات أخرى لمع اسم طه حسين والمازني والعقاد .. وبدا للشباب ان هذا هو أقصر الطرق للشهرة والمجد .

والقصة خرافية مكذوبة .. وهي تروى دائماً كي ترضي غرور الشباب وتصرفهم عن الجد والعناء الذي بذله طه حسين والمازني والعقاد .. حتى بلغوا الشهرة والمجد . ولاشك في ان هجوماً عنيفاً ساقـــه هؤلاء على الادباء القدامى وكان منهم الرافعي وشوقي وشكري والمنفلوطي .. ولكن الذي لاشك فيه أيضاً انهم – أي المحدثون – لم يلبثوا ان قدموا أعمالاً أدبية جديدة كانت دليلاً على صدق كفاحهم من أجـــل أدب جديــــد ..

وكانت هذه الأعمـــال الأدبية سبب شهرتهم التي سارت باسمائهم في طريق المجد ..

تلك هي قصة الصراع بين القدامى والمحدثين إذا استطعنا روايتها على حقيقتها .

نقد غير علمي

على ان المقالات والبحوث التي هاجم بها المحدثون القدماء كانت تسير وفقاً لاصول نقدية سليمة ولم تكن تخبطاً او توسلاً بحجة لا صلة لها بما يدور حوله الجدل ..

ولقد جاء في المقالة الثانية التي نشرها فتحي غانم ....

« .. مضى طه حسين يحطم – كناقد – كل محاولة لكتابة القصة في مصر ، وقد استشعر في قرارة نفسه انه عاجز عن كتابتها .. وانقلب طه إلى مدرس سخيف للغة العربية يصحح اخطاء الكتاب ويتباهى بقدرته على اجادة لغة قحطان وسيبويه ... »

ثم يضرب غانم مثلين لما ذهب إليه من تحطيم طه حسين – كناقد – كل محاولة لكتابة القصة ...

أولهما نقده لاخطاء لغوية في « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم ، والثاني نقده لاخطاء لغوية أيضاً في « ثورة الأدب » لحسين هيكل ..

ولم يشر غانم إلى ان الكتابين لا صلة لهما بالقصة في مصر .. فأهل الكهف .. مسرحية ، وثورة الأدب .. مجموعة مقالات في الأدب والنقد ..

ولم يشر غانم ايضاً إلى ان النقاد ما زالوا حتى اليوم يذكرون الجانب المهم من نقد طه حسين لاهل الكهف واثره في تقييم وتقديم توفيق الحكيم ، حتى اتهمه بعضهم بالمبالغة ..

الشهرة .. والآخرون

ويمضي فتحي غانم في حملته يذكر مرة نقد طه حسين ومرة اسلوبه ، ويتناول حينا تاريخه السياسي وحينا تاريخه الأدبي ..

كل هذا ولا تنشر أية صحيفة في القاهرة رداً من طه حسين ، بل ان محرر « الرسالة الجديدة » عندما أشار إلى ما كتبه غانم لم يذكر اسمه ابداً .

أية مؤامرة تلك التي يحيكها الآخرون ليعرقلوا سبيل فتحي غانم إلى الشهرة .. الشهرة التي يسعى إليها دون ان يكتب بحثاً أو دراسة أو مسرحية أو قصة .. سوى عويل في الصحف المصورة ، وقصص مصورة في الصحف ذاتها ..

حماية التراث الفكري

غير انه خلال (حملته) هذه ظهر رأي هادىء متزن ، فقد نشر لطفي الخولي في مجلة « روز اليوسف » ٢٦/٧/١٩٥٤ ، مقالاً بعنوان « تراثنا الفكري » جاء فيه :

.... « .. ليست الدعوة إلى أدب جديد توجب هدم كل قيم الأدب القديم ، بل هي على العكس تعمل على ان يشرق الأدب الجديد على الناس بحكم كونه تطويراً وامتداداً طبيعياً للأدب القديم ، ذلك التراث الفكري الذي يكون مع رقعة الاقليم والمصالح الاقتصادية واللغة والنفسية المشتركة للمجموع . العناصر النفسية لقوميتنا . على انه ليس معنى ذلك ان نقدس نتاجنا الأدبي والفني القديم تقديساً ينزهه عن النقد ، بل على العكس ، من واجبنا ان نسلط عليه نظرتنا النقدية ولكن في ضوء الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي خرج فيها إلى الناس ، لنرى ما إذا كان – حينذاك – عاملاً من عوامل التقدم أو الانتكاس ؟

إن حديث عيسى بن هشام للمويلحي مثلاً لا يمكن اعتباره اليوم أدباً تقدمياً بكل معنى هذه الكلمة ، ولكنه بلا شك كان كذلك عند صدوره ، وايضاً الايام لطه حسين وعودة الروح ويوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم .

ومن هذه الأعمال الأدبية – التي دفعت بمجتمعاتها نحو غايات انسانية وكانت تعبيراً عن ارادة التمرد على القيود والتأخر والاستعمار والرجعية – يتكون التراث الفكري للأمة .... »

فنان من اللد ..

عرض اسماعيل شموط وهو فنان من اللد مجموعة من اللوحات في معرض اللاجىء الفلسطيني (يوليو ١٩٥٤) في القاهرة .

ولم تكن هناك لوحة واحدة من هذه اللوحات غير ملتزمة ، فقد استغرقت المأساة حياة الفنان وأعماله ، ولم يعد هناك مكان لشيء آخر ..

وكانت أروع هذه اللوحات .. « سنعود .. » ... « إلى أين .. » ... « بداية المأساة .. » .. « قطرة ماء .. »

تأملات في السياسة ..

يصدر عند مطلع هذا الشهر كتاب جديد لتوفيق الحكيم بعنوان «تأملات في السياسة».

والكتاب جديد .. قديم ، نشر معظم فصوله خلال الحرب العالمية الثانية ، وقد كتب مقدمة الكتاب أحمد بهاء الدين ..

دفتر الغزل

– التتمة من صفحة ٧ –

وبعد كل ما قلنا تظل سامرية امين قصيدة غراء على ما فيها من كلف ، ولا يضيرها التعريب الذي ضار الانجيل . انها عقلية عتيقة جداً ، وربما كان امين متأثراً هنا بهاشميته .. لا ادري كيف هذا الزعم ، وإذا كان في البيان غير العربي شين فلماذا جعل امين قصيدة باناقوس اليونانية لديوانه خرزة عين ... !

فلنمش . وكما نظم ابو امين ، رحمه الله ، قصيدة ام القميص الزهر كذلك نظم امين قصيدة لام القميص الأزرق ، ولكنه قصر في شعره جدا جدا عن زجل ابيه .

واظن ان ما سبق من غزل امين يكفينا ، فقصيدته (ام موسى) تنتظرنا . ولكن قبل ان بلغناها لفتت نظرنا قصيدة تذكار فذكرني فيها قول امين :

يامن رآني وأبي مرة   هذا أخي في جانبي بل أخي

بقول شوقي في ابيه ايضاً :

وتمشيت يدي في يده   من رآنا قال عنا أخوين

إن من حق ولي العهد ان يتصرف بالتركة ، ولكن قصيدة امين – ما خلا هذا البيت – خير من قصيدة شوقي التي أسف فيها حين اراد ان يتصرف ، فوقع الحافر على الحافر ...

وفي اثناء مرورنا قبل بلوغنا قصيدة (ام موسى) نقرأ أخوانيات وخصوصيات يبدع فيها امين ، وخصوصاً حين يصف الغناء ومجالسه وذويه . اما في قصيدة ام موسى فما أراه عمل شيئاً بالقياس الى ابي نواس ، فاسمع كيف يقول :

يارب خمارة في ظاهر البلد   ايقظتها، وجواد الصبح لم يعد

قالت : من الطارق الملهوف قلت لها   بل فتية المرح المختال والصيد

وكل هذه القصيدة منسوجة على ذلك النول الذي تكسر بعد النواسي ، ولكن شوقي قال لامين في ذلك الفرمان :

او من حديث ابن هاني   يعيد فيه ويبدي

فصدق امين كما صدق شوقي من قبل انه بزّ ابا نواس . ان هذه القصيدة مطبوعة على غرار مضى وقته ، وفيها يريد امين ان يكون له ظرف ابن هاني ، ولكن من اين له ولغيره ذلك ؟

وبعد هذا كله يطلع علينا شيء مما قيل في امين وماذا اجاب امين : لكل خطاب يابثين جواب . حك لي أحك لك ...

واخيراً نقول ، ونحن في صدد الغزل : ليس الغزل في معانيه الطريفة ، ولا في لغته اليابسة . الغزل ملاكه عاطفة متقدة يسعرها الحرمان ، ويذكيها التحرق ويعبر عنها بكلام بسام غير جهم . وهنا لا بأس علينا من سرد نكتة توافق المقام .

كان في كسروان شاعر مفلق يحفظ الكثير من شوارد اللغة واوابدها . وإذا استعرنا له نعت امرىء القيس لحصانه ، قيد الاوابد ، لا نكون بعيدين عن حقيقة حاله . كان هذا الشاعر يحمل كل يوم قصيدة غزلية ينشدها الشيخ رشيد الخازن ، وكان الشيخ يسمعها له ، وكان كلما انتهى من تلاوة قال للشيخ : كيف رأيت ؟

فيجيبه الشيخ بتلك البساطة التي عرفت عنه : عال . سلم بوزك .

واطال الشاعر زياراته حتى صار يصبح الشيخ بقصيدة ويمسيه بأخرى ، ثم يسأله : كيف ؟

واخيراً قال له الشيخ بلهجته المشهورة : بدك مني الصحيح بما ابن عمو ؟ هالمرة الجواب منوش عالكيف . اسمع يامعلم بولس . كل شعرك حكي ما منو نتيجة . بتعرف كيف تغزلت انا مرة ؟

فقال الشاعر : سعادة الشيخ اعلم . تفضل .

فقال الشيخ : قلت لواحدة مثل التي اخذت عقلك :

عيونك سود وخدك وردي   في شي والا منمشي

وهكذا انتهى كل شيء ، وصار الحب يحكي عنا ...

ان المتنبي الذي تغزل حتى شبع ، وابدع في معانيه كثيراً ، لم يعد احد يذكر شيئاً مما قال . وكأنه ادرك ان الغزل الذي تصدّر به القصائد بعيد عن الصدق فقال :

اذا كان مدحٌ فالنسيب المقدم   أكلُّ فصيح قال شعراً متيمّ ؟

لا يا ابا الطيب ، ان عصرنا هذا قد استقل فيه الغزل . ولشعرائنا فيه جولات حسان ، وامين نخله ابدع فيه واجاد ، ولكن فصاحة بشارة الخوري ضاحكة وفصاحة امين عابسة . ان كل عمل فني هو مخاطرة . وآخيراً نقول : لو لا سخف شوقي وطمع امين في الولاية لظل لهذا الديوان أبهته ووقاره ، ولكن الطمع ، كما قالوا ، ضر وما نفع .

مارون عبود

لا بد أن نكون متمتعين بحواس سليمة ، ويومئذ لن يحدث بيننا ذلك الاختلاف الشنيع الذي يأتي نتيجة للأهواء والعوامل الخارجية وفساد الحواس . وعندئذ نستطيع أن نعلل لكل حكم جمالي نصدره تعليلاً مقبولاً يستطيع أن يشاركنا فيه أكبر عدد ممكن من المتذوقين ؛ ذلك أننا سنلمس من أجل هذا التعليل عناصر واقعة محققة في الشيء موضوع الحكم .

وإذا كانت المسألة في تذوق التفاحة والحكم عليها مسألة حواس ، فإن تذوق العمل الأدبي والحكم عليه أصعب من ذلك بكثير . صحيح أن هناك عناصر حسية واقعية في العمل الأدبي ، وأن تأليف هذه العناصر وتركيبها له خطره في تقرير جمال العمل الأدبي أو قبحه ، ولكن هل ينكر أحد أن في العمل الأدبي عناصر فكرية وروحية تشارك مشاركة فعالة في تقرير جمال هذا العمل أو قبحه ؟ إن العمل الفني نشاط روحي قبل كل شيء ، ولا بد إذن - كيما نحكم عليه حكماً عادلاً وصادقاً - أن يكون نشاطنا الروحي مدرباً تدريباً يمكننا من تلقي العمل الأدبي بكل ما فيه من عناصر الجمال ، والتفاعل مع ما فيه من ألوان النشاط الروحي والفكري . وهذا يحتاج الى كثير من المزاولة التي يفتقر إليها كثيرون ممن يتحدثون في النقد أو يصدرون أحكاماً نقدية . والحس الجمالي الصادق الذي يصلح أساساً لحكم نقدي صادق هو ذلك الذي يتمثل في الالتقاء بين النور وعيوننا .

القاهرة

عز الدين اسماعيل
عضو الجمعية الأدبية المصرية

صندوق البريد

العدد الماضي من « الآداب »

اصدرت وزارة الداخلية العراقية قراراً يقضي بمنع دخول العدد الثامن من « الآداب » - العدد الماضي - إلى العراق « وذلك استناداً الى قانون منع دخول الدعايات المضرة » على حد تعبير القرار .

وقد احتجت كبريات الصحف العراقية على هذا المنع ووقع كثير من الشباب القومي العربي في بغداد عريضة استنكروا فيها القرار وطالبوا بالغائه .

وكتبت جريدة « لواء الاستقلال » لسان حزب الاستقلال واحدى كبريات صحف الجبهة الوطنية في العراق كلمة تعلق فيها على قرار المنع وتقول :

« غني عن القول ان مجلة « الآداب » من ارفع المجلات الادبية في العالم العربي ، وأشدها تعبيراً عن الادب القومي الصحيح . وقد استطاعت خلال فترة وجيزة ان تعين الفرد العربي على التماس الطريق الصحيح في مصطرع الافكار ، ليعرف ذاته . وقد ساهم فيها كبار ادباء العربية المؤمنين بالذاتية العربية وامكانياتها الواسعة على التحرر والانعتاق ، ومن ثم المساهمة مع الآخرين في سبيل تحقيق انبل الغايات . ولا تزال مجلة « الآداب » سائرة في سبيل محجتها لحرس اصوات الرجعيين الجوف والشعوبيين ممن ينكرون على الشعب العربي المجيد كل حق في الحياة ، واسماء المزيفين باسم الوطنية والقومية » .

ثم استنكرت الزميلة العراقية هجوم من سمتهم بـ « طغمة باغية من الشعوبيين المتاجرين بشتائم العروبة والعرب » على هذه المجلة ورئيس تحريرها ونقلت الكلمة التي نشرت في العدد الماضي بعنوان « يتهمون الآداب » .

ونحن نشكر للزميلة عاطفتها الطيبة كما نشكر القراء الكثر الذين كتبوا الينا مستنكرين قرار المنع ، ونعاهدهم على ان تمضي « الآداب » قدماً في حمل رسالتها والدفاع دونها ، مهما كلفها ذلك من تضحيات .

« الى شاعر النخبة »

هذا هو عنوان المقال القيم الذي تلقيناه ، في وقت متأخر ، من الاستاذ انطون المقدسي ، احد اساتذة الجامعة السورية ، ينتقد فيه كتاب الاستاذ سعيد عقل «مشكلة النخبة في الشرق » وكنا قد نشرنا في العدد الماضي مقالاً في الموضوع نفسه للاستاذ عبد الله عبد الدائم . وسننشر مقال الاستاذ المقدسي في العدد القادم .